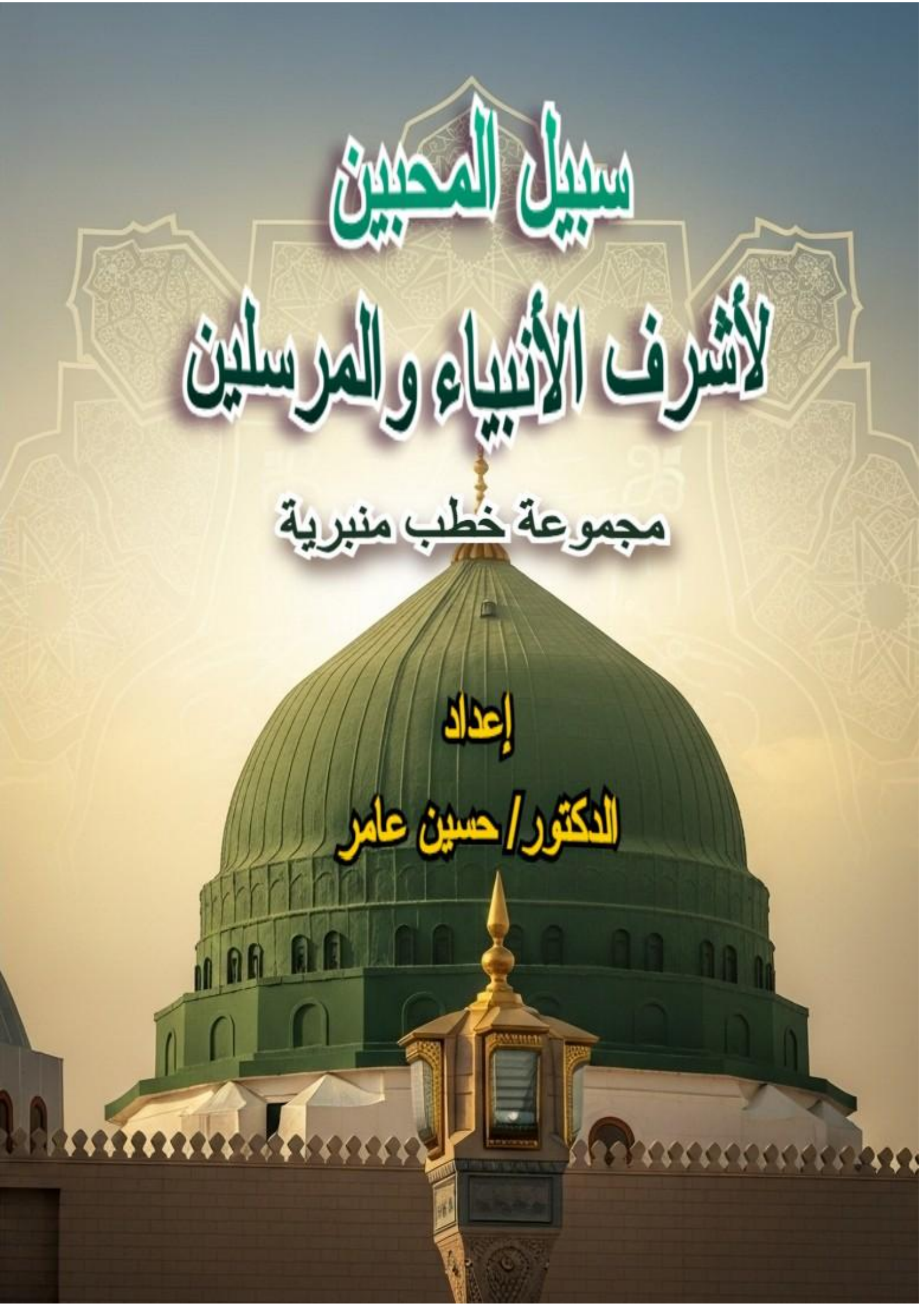
سبيل المحبين
لأشرف الأنبياء والمرسلين
مجموعة خطب منبرية
إعداد
الدكتور/ حسين عامر

بسم الله الرحمن الرحيم

من الوحي الإلهي

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ النبي المصطفى، المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
وبعد/

يشرف الإنسان بشرف من يتحدث عنه؛ فعندما يتحدث عن ملك من الملوك تراه يتيه فخرا وشرفا لرفعة وشأن من يتحدث عنه، فما بالنا ونحن نتحدث عن المصطفى ﷺ فشرفنا أعظم شرف وفخرنا أعظم فخر.

وما أطيب أن يكتب المسلم عن حبيبنا وقرة عيوننا وشفيعنا يوم الدين ليعبر عن بقاء صلتنا برسول الله ﷺ، تلك الصلة التي ينبغي أن تجمع بين الاتباع والاقتداء، مع استحضار سيرته العطرة وأخلاقه العظيمة والحرص على العمل بسنته المطهرة، لقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: 21].

وقد جاءت المؤلفات الكثيرة على مرّ العصور لتعرّف الناس بسيرة رسول الله ﷺ، وتكشف لهم عن دقائق حياته، وتدلهم على هديه وشمائله، وتقرّبهم من شخصه الشريف علماً وحالاً؛ فأردت أن أشارك بهذا الكتاب الذي بين أيدينا :

(سبيل المحبين لأشرف المرسلين)

راجيا من الله تبارك وتعالى أن أنال شرف الحديث عن الحبيب ﷺ، وإحياء ذكراه في القلوب، وغرس محبته في النفوس، وتربية الأجيال على الاقتداء به والاعتزاز بسيرته، فيكون هذا الكتاب دليلاً للمحبين، وسبيلاً للسالكين، ليتعرفوا على حبيبهم ونبيهم كأنهم يرونه أمام أعينهم، فيزدادوا به حبًا، ويلتزموا بمنهجه عملًا وسلوكًا.

وقد تم جمع مادته من مجموعة خطب منبرية أعدت وألقيت في شهر ربيع الأول طوال سنوات عديدة، وتصلح أن تكون خطباً جاهزة للأئمة والخطباء، ومادة نافعة للباحثين والدارسين، ومعيناً تربوياً للأسرة والمعلم والمربي.

وقد صيغت الخطب بلغة سهلة قريبة من القلب، تجمع بين الجزالة والوضوح، وبين الاستشهاد بالآيات والأحاديث وبين الترغيب والترهيب، مما يجعلها خطبا أو خواطر نافعة خاصة للدعاة والخطباء وطلبة العلم.

أهداف هذا الكتاب:

1. **تعميق معرفة المسلم برسوله ﷺ** :إذ يتعرّف القارئ على صفاته الخَلقية والخُلقية، وعلى مكانته وفضائله، فيزداد حبه وتقديره له.
2. **غرس المحبة والاقتداء** به ﷺ :فالخطبة المؤثرة تبعث في القلب مشاعر الشوق لرؤية النبي ﷺ، والرغبة في اتباع سنته والالتزام بهديه.
3. **تيسير مهمة الخطباء والدعاة** : حيث يجد الإمام مادة مرتبة جاهزة للخطبة، غنية بالأدلة والآثار، مما يخفف عنهم عناء البحث والتجميع.
4. **التربية الأسرية والتعليمية** :فالآباء والمربون يمكنهم الاستفادة من مضامين الكتاب لغرس محبة النبي ﷺ في نفوس الأبناء، وتعليمهم أخلاقه وسننه بطريقة عملية مؤثرة.
5. **إحياء السيرة في الواقع المعاصر** : فالكتاب لا يكتفي بذكر الماضي، بل يجعل من سيرة النبي ﷺ منطلقاً لمعالجة قضايا المسلمين اليوم، كضرورة الاعتزاز بالهوية، ومواجهة التيارات الفكرية الوافدة، وتربية الأجيال على الثبات.

وخلاصة القول: إن هذا الكتاب فيه جهد دعوي تربوي، ويقدّم لمحات من السيرة النبوية في ثوبٍ وعظي عملي، يسهُل على المسلم أن يعيشه ويعمل به؛ فهو يقرّب القلوب من رسولها، ويجدّد الصلة بهديه وسنته، ويربّي جيلاً يعرف قدر نبيه ويعيش حياته على نوره.

أسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل مني، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله صدقة جارية لوالديّ، وأن ينفع به المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأن يرزقنا شرف الاقتداء بالحبيب المصطفى ﷺ، وشرف الاجتماع به في دار كرامته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وكتبه

د. حسين عامر

1/ ربيع الأول 1446هـ،

الموافق 24 أغسطس 2025

مدينة لافال ـ كندا

(1)

الرسول ﷺ كأنك تراه

عناصر الخطبة:

أولا / كان النبي أحسن الناس وأجملهم.

ثانيا/ كيف عرفنا الصفات الخلقية للرسول؟

ثالثا/ وصف الرسول ﷺ كأنك تراه

رابعا/ كيف أرى النبي ﷺ في الرؤيا ؟

(1)الرسول ﷺ كأنك تراه

تمهيد:

مما لا شك فيه أن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يمثلون الكمال الإنساني في أرقى صوره، فهم أطهر البشر قلوبا، وأزكاهم أخلاقا، اختارهم الله تعالى واصطفاهم لنفسه، وما كان عليه نبينا ﷺ من حسن الخُلُق وجمال الخلقة أمرا له أثره الكبير في استجابة الناس له، فكم من رجل دخل في الإسلام بمجرد رؤية النبي ﷺ فهذا عبد الله بن سلام حبر اليهود وأعلمهم بالتوراة، يقول: **(لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه" أي: أسرع الناس إليه ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما تأملت وجهه واستثبته أي تحققت وتبينت منه، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب)** [رواه الترمذي وصححه الألباني]

عناصر الخطبة:

أولا / كان النبي أحسن الناس وأجملهم.

ثانيا/ كيف عرفنا الصفات الخلقية للرسول؟

ثالثا/ وصف الرسول ﷺ كأنك تراه

رابعا/ كيف أرى النبي ﷺ في الرؤيا ؟

أولا / كان النبي أحسن الناس وأجملهم

فرسولنا ﷺ كان أحسن الناس وأجمل الناس، لم يصفه واصف قط إلا شبهه بالقمر ليلة البدر، حتى لقد كان يقول قائلهم: لربما نظرنا إلى القمر ليلة البدر فنقول: "هو أحسن في أعيننا من القمر ﷺ، أحسن الناس وجها وأنورهم لونا، يتلألأ تلألؤ الكوكب.

يَقُولُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وَأَجْمَلَ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي * وَأَفْضَلَ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ**

خُـلِقْتَ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ * كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَـشَاءُ**

ثانيا/ كيف عرفنا الصفات الخلقية للرسول؟

جاء وصف النبي ﷺ في أحاديث كثيرة، وحفظ الله لهذه الأمة وللأجيال المتأخرة

والتالية لها صفة نبيها ﷺ ، وجاءت صفته في الأحاديث كأن الإنسان ينظر إليه إذا قرأها فقد وصفه الواصفون وصفا دقيقا ، نقله لنا الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

وهذا مِن دلالات حب الصحابة رضوان الله عليهم للنبي ﷺ، فنقلوا لنا وصفه حتى كأننا نراه.

إن رسول الله ﷺ بشر كما قال تعالى : ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾ [الكهف: 110] ولكنه ﷺ لم يكن بشراً عادياً، فمبلغ العلم أنه بشر ولكنه خير خلق الله كلهم .
وكل مسلم صادق محب له يحلو له ذكر الحبيب محمد ﷺ .. ويحلو له أن يتصوره وأن يتخيله وأن يعيش بقلبه من خلال كتب الأثر مع وصف الحبيب وما صفة وجهه ؟ وما صفة شعره ؟ وما صفة لحيته ؟ وما صفة مشيته ؟

قال ثابت البناني لأنس بن مالك رضي الله عنه : (أعطني عينيك التي رأيت بهما رسول الله ﷺ حتى أقبلها).

وعن جبير بن نفير عن أبيه قال جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوما فمر به رجل فقال : طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت وشهدنا ما شهدت) رواه الإمام أحمد وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح.

ثالثا/ وصف الرسول ﷺ كأنك تراه

فتعالوا بنا نَصفُ المصطفى ﷺ كما نقل ذلك لنا صحابته رضوان الله عليهم :

أولا/ وجه النبي ﷺ :

1-عن البراء رضى الله قال: (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنه خلقاً ليس بالطويل البائن ولا بالقصير) رواه البخاري
2-وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ أزهر اللون) رواه البخاري ،

أزهر اللون : أي: أبيض مستنير مائل إلى الحُمرة.

ومن أحسن ما قيل في وصف الرسول ﷺ:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثِمَال اليتامى عصمة للأرامل[1]

3-وعن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (رأيت رسول الله ﷺ وما على الأرض رجل رآه غيري. قيل له : كيف رأيته ؟ قال : أبيض مليحاً مُقصَّداً) رواه مسلم.

4-وكان على بن أبى طالب يصف النبي ﷺ ومما قال: (فكان في وجهه تدوير) رواه الترمذي

5-وعن عبد الله بن كعب قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن تبوك قال : فلمَّا سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه . رواه البخاري.

6-وعن جابر بن سمرة والحديث حسن بشواهده أنه قال :رأيت النبي ﷺ في ليلة أضحيان (أي في ليلة مقمرة) فجعلت أنظر إليه ، وأنظر إلى القمر ، أنظر إلى النبي ، وأنظر إلى القمر ثم قال : فو الله لقد كان النبي ﷺ في عيني أحسن من القمر . أخرجه الدارمي والبيهقي.

7-[2]وعن الربيع بنت معوذ رضى الله عنها : قيل لها صفى لنا رسول الله ﷺ يا ربُيِّع . قالت : لو رأيت النبي ﷺ لقلت أن الشمس طالعة . أخرجه الدارمي والبيهقي

ومن مجموع هذه الآثار الصحيحة نجد أن النبي ﷺ كان :

---

[1] هذا البيت من أجمل وأشهر أبيات المديح النبوي، وهو من قصيدة قالها حسان بن ثابت رضي الله عنه، شاعر الرسول ﷺ. والمعنى: وأبيض :أي أن وجهه عليه الصلاة والسلام كان مشرقًا مشوبًا بنور وبياض. يُستسقى الغمام بوجهه :أي أن الله يُنزل المطر بدعائه، فوجهه عليه الصلاة والسلام سببٌ في رحمة الله للناس، ثمال اليتامى :الثِّمال هو الملجأ والمعين، أي أن النبي ﷺ كان مأوى لليتامى، يسندهم ويهتم بشؤونهم. عِصمة للأرامل :أي أنه كان حاميًا وكافلاً للأرامل، يمنع عنهن الأذى، ويهتم بهن، ويحفظ لهن الكرامة والعيش الكريم.

- أحسن الناس وجها كالقمر ليلة البدر.
- أبيضاً مليحاً ، في وجهه تدوير.
- أزهر اللون أي أبيض مستنير مائل إلى الحمرة.
- إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر .

الله أكبر .. هذا وجه الحبيب !! اللهم صلى عليه واجمعنا به في الجنة .

ثانيا/ شعر النبي ﷺ:

كان شعره كما يصفه علي رضي الله عنه : ليس بالسبط ولا الجعد القطط

وعن قتادة رحمه الله قال : (سألت أنساً رضي الله عنه عن شعر رسول الله ﷺ ؟ فقال : شعر بين شعرين ، لا رجِلٌ ولا جَعدُ قططٌ كان بين أذنيه وعاتقه . رواه البخاري

والمعنى: أن شعره ليس مسترسلاً كشعر الأوربيين ولا جعداً مفلفل كشعر السودان ، بل هو وسط، شعر رجل : إذا لم يكن شديد الجعودة ، ولا شديد السبوطة .

ولم يحلق النبي ﷺ رأسه (أي بالكلية) إلا عام الحديبية ثم عام عمرة القضاء ثم عام حجة الوداع).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه، وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، فسدل النبي ﷺ ناصيته ثم فرق بعد)، أخرجه البخاري ومسلم.

وسدل الشعر : إرساله

و(يفرقون) مفرق الرأس : وسطه ، وفرق الشعر أي جعله فرقتين

والناصية هي مقدم الرأس .

وكان يبدأ في ترجيل شعره من الجهة اليمنى، فكان يفرق رأسه ثم يمشط الشق الأيمن ثم الشق الأيسر.

وكان رسول الله ﷺ يترجل غباً، أي يمشط شعره ويتعهده من وقت إلى آخر.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله ﷺ يحب التيمن في طهوره، أي الابتداء باليمين، إذا تطهر وفي ترجله إذا ترجل وفي انتعاله إذا انتعل أخرجه البخاري

ويصل شعره إلى أنصاف أذنيه حيناً ويرسله أحياناً فيصل إلى شحمة أذنيه أو بين أذنيه وعاتقه، وغاية طوله أن يضرب منكبيه إذا طال زمان إرساله بعد الحلق.

وبهذا يجمع بين الروايات الواردة في هذا الشأن، حيث أخبر كل واحدٍ من الرواة عما رآه في حين من الأحيان وقد وردت عدة أحاديث:

1- (كان رَجِلاً وليس بالسَّبِطِ ولا الجعد ، بين أذنيه وعاتقه)

2- (كان يضرب شعره منكبيه)

3- (كان شعر رسول الله ﷺ إلى شحمة أذنيه)

4- (كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أذنيه)

5-**وعن عائشة رضى الله عنها قالت : (كنت اغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء ، وكان له شعر فوق الجُمَّة ودون الوفرة)**

والوفرة : الشعر الواصل إلى شحمة الأذن .

والجُمَّة : الشعر الواصل بين المنكبين .

وكان في شعره عشرين شعرة بيضاء :

كما جاء في صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : **(مات رسول الله ﷺ في الثلاثة والستين ولم يكن في شعره إلا عشرين شعرة بيضاء)**

وكان يقول ﷺ (شيبتني هود ، والواقعة ، والمرسلات ، وعمَّ يتساءلون ، وإذا الشمس كورت) صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي

وعن جرير بن عثمان رحمه الله قال : إنه سأل عبد الله بن بُسْرٍ قال : أرأيت رسول الله ﷺ كان شيخاً ؟ قال : كان في عَنْفَقَتِه شعراتً بيض) رواه البخاري

والعنفقة هي ما تحت الشفة السفلي .

إذن نرى من مجموع هذه الآثار أن شعر النبي ﷺ:

- ليس بالسَّبِط أي الناعم شديد النعومة ولا الجعد أي الخشن .
- وكان شعره ﷺ يضرب منكبيه.
- وكان يسدله ثم فَرَقَه ﷺ.
- وكان في شعره عشرين شعرة بيضاء .
- وكان في عَنْفَقَتِه شعراتً بيض

ثالثا/ صفة جبينه:

كان ﷺ واسع الجبين أي ممتد الجبين طولاً وعرضاً، والجبين هو غير الجبهة، الجبين هو: ما اكتنف الجبهة من يمين وشمال، فهما جبينان، فتكون الجبهة بين جبينين، والعرب تحمد سعة الجبين وتمتدحها، وهي صفة جمال عند أصحاب الذوق السليم.

1-فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أسيل الجبين أخرجه عبد الرازق. والأسيل: هو المستوي.

2-وعنه أيضًا أنه قال: كان رسول الله ﷺ مُفاض الجبين) رواه ابن عساكر، ومُفاض الجبين: أي واسع الجبين.

3-**ولقد وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت: كان ﷺ أجلى الجبهة، إذا طلع جبينه من بين الشعر، أو طلع في فلق الصبح، أو عند طفل الليل، أو طلع بوجهه على الناس، تراءوا جبينه كأنه ضوء السرج المتوقد يتلألأ)** رواه البيهقي في دلائل النبوة

4-وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: كان ﷺ صلت الجبين) رواه ابن سعد، وابن عساكر.

وصلت الجبين: أي واسع، وقيل: أملس. وقيل: بارز الجبين.

رابعا/ حاجبيه :

قال هند بن أبي هالة :" كان رسول الله – ﷺ – فخماً مفخماً ...أزج الحواجب

سوابغ في غير قَرَن ، بينهما عرق يدره الغضب)
والحاجب الأزج المقوس الطويل الوافر الشعر .

خامسا / عين النبي ﷺ :

كان أدعج العينين أي كان ﷺ مشرب العينين بحمرة.

ومعنى مشرب العين بحمرة: هي عروق حمر رقاق وهي من علاماته ﷺ التي في الكتب السالفة.

وهذا رسم تقريبي لرجل أدعج العينين (الرسم لتوضيح المعنى وليس أنه تخيل لشخصه الكريم ﷺ)

وكانت عيناه واسعتين جميلتين، شديدتي سواد الحدقة، ذات أهداب طويلة – أي رموش العينين – ناصعتي البياض وكان ﷺ شديد سواد العينين إذا رأيته من بعيد تظن أنه مكتحل .

عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ ضليع الفم ، أشكل العينين ، منهوس العقبين ، ضخم القدمين)

قيل لسماك : ما ضليع الفم؟ قال عظيم الفم .

قيل : وما أشكل العينين ؟ قال طويل شق العين .

قيل ما منهوس العقب ؟ قال قليل لحم العقب . رواه مسلم

وعن جابر بن سمرة قال : (.... وكنت إذا نظرتُ إليه قلت : أكحل العينين ، وليس بأكحل ﷺ . رواه الترمذي بسند حسن

وكان يكتحل بالإثمد كل ليلة في كل عين ثلاثة أطراف عند النوم .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كانت عيناه ﷺ نجلاوان أدعجهما)،

والعين النجلاء الواسعة الحسنة والدعج: سبق معناه .

فهذه العين التي أشرقت بنور الإيمان، وبكت من خشية الله ، وهي العين التي فرحت بانتصار دعوة الحق، وسُرَّت بانكسار راية الباطل، وهي العين التي ترقرقت فيها دموع الذل والانكسار بين يدي الله سبحانه وتعالى، ولمع فيها شعاع العزة والتعالي على الكفرة والمشركين.

سادسا/ رموش العينين :

عن على بن أبي طالب رضى الله عنه قال في وصف النبي ﷺ : (....أدعج العينين ، أهدب الأشفار) أهدب الأشفار : الذي شعر أجفانه كثير مستطيل .

سابعا/ صفة خديه :

وكان ﷺ سهل الخدين ليس فيهما تجاعيد أو غيره .

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يسلم عن يمينه وعن يساره حتى يرى بياض خده) أخرجه ابن ماجه

ثامنا / أنفه ﷺ :

كان ﷺ أقنى الأنف أي طويلاً في وسطه بعض ارتفاع، مع دقة أرنبته والأرنبة هي ما لان من الأنف يعنى أسفل الأنف .

وهذا رسم تقريبي لرجل أقنى الأنف (الرسم لتوضيح المعنى وليس أنه تخيل لشخصه الكريم ﷺ)

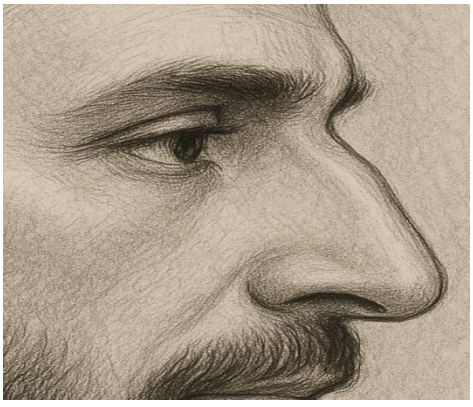

تاسعا/ فم المصطفى ﷺ :

تقدم حديث جابر بن سمرة : (أنه ﷺ كان ضليع الفم أي واسع الفم)

والعرب تمدح بذلك وتذم صغر الفم وقيل واسع الفم من البلاغة فإذا كان الرجل

ضليع الفم يكون بليغاً مفهوماً .

قال هند بن أبي هالة رضي الله عنه: (كان رسول الله ﷺ أشنب مفلج الأسنان). أخرجه البغوي في شرح السنة.
الأشنب: هو الذي في أسنانه رقة وتحدد.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ، ضليع الفم (أي واسع الفم) جميله، وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم.

وكان ﷺ وسيماً أشنب – أبيض الأسنان مفلج أي متفرق الأسنان، بعيد ما بين الثنايا والرباعيات أفلج الثنيتين –

والثنايا جمع ثنية بالتشديد وهي الأسنان الأربع التي في مقدم الفم، ثنتان من فوق وثنتان من تحت.

والفلج هو تباعد بين الأسنان .

إذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه، – والمقصود من التشبيه ما يخرج من فمه من أحاديثه الشريفة وكلامه الجامع لأنواع الفصاحة والهداية .

عاشرا/ صفة ريقه:

لقد أعطى الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ خصائص كثيرة لريقه ، ومن ذلك أن ريقه ﷺ فيه شفاء للعليل، ورواء للغليل وغذاء وقوة وبركة ونماء، فكم داوى ﷺ بريقه الشريف من مريض فبرئ من ساعته بإذن الله.

فقد جاء في الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ وكلهم يرجو أن يعطاها ، فقال ﷺ:
أين علي بن أبي طالب؟
فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه.
قال: فأرسلوا إليه.

فأتي به وفي رواية مسلم: قال سلمة: فأرسلني رسول الله ﷺ إلى علي، فجئت به أقوده أرمد فتفل رسول الله ﷺ في عينيه، فبرئ كأنه لم يكن به وجع)

ومما يروى في عجائب غزوة أحد، ما أصاب قتادة رضي الله عنه بسهم في

عينه قد فقأتها له، فجاء إلى رسول الله ﷺ وقد تدلت عينه، فأخذها ﷺ بيده وأعادها ثم تفل بها ومسح عليها وقال (قم معافى بإذن الله) فعادت أبصر من أختها.

فقال الشاعر:

اللهم صل على من سمى ونمى ** ورد عين قتادة بعد العمى**

حادي عشر/ لحيته :

وكان ﷺ كث اللحية كانت لحيته تملأ صدره ﷺ :

1-عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ مربوعاً ، عريض ما بين المنكبين كث اللحية ، تعلوه حمره ، جُمته إلى شحمة أذنه ، لقد رأيته في حُلَّةِ حمراءَ ، ما رأيت أحسن منه) سنن الترمذي

2-(وكانت عنفقته بارزة (الشعر تحت الشفة السفلى)، وحولها كبياض اللؤلؤ، في أسفل عنفقته شعر منقاد حتى يقع انقيادها على شعر اللحية حتى يكون كأنه منها) أخرجه أبو نعيم والبيهقي في دلائل النبوة وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق.

3- وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: (كان في عنفقة رسول الله ﷺ شعرات بيض). أخرجه البخاري.

4-وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: (لم يختضب رسول الله ﷺ إنما كان البياض في عنفقته). أخرجه مسلم.

ثاني عشر: شاربه :

لم يصف الصحابة لنا صفة شاربه ﷺ ؛ لكن الذي تدل عليه بعض الأحاديث الصحيحة أن النبي ﷺ كان يقص شاربه ويأخذ منه:

ورد في الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: (كان النبي ﷺ **يأخذ من شاربه** ما لا يجاوز الشفة).

وعن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ : (من لم يأخذ من شاربه فليس منا) رواه الترمذي وصححه الألباني.

ولعل المؤلفين في الشمائل قد اكتفوا بالأحاديث التي وردت بالأمر بقص

الشارب والأخذ منه ، وذكر ابن القيم أن من هديه ﷺ قص الشارب. والله أعلم.

ثالث عشر/ صفة عنقه :

وكان عنقه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم معتدل الطول، لا هو طويل ولا قصير، وكان ظاهر الوضاءة متلألئا، وكأنه في البياض والبهاء إبريق فضة في صفائه ونقائه.

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان عنق رسول الله ﷺ إبريق فضة. رواه البيهقي.

رابع عشر/ صفة منكبيه:

المنكب هو مجمع العضد والكتف، وكان ﷺ أشعر المنكبين (أي عليهما شعر كثير)، واسع ما بينهما، والمراد بكونه بعيد ما بين المنكبين أنه عريض أعلى الظهر ويلزمه أنه عريض الصدر .
فعن عليٍّ رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ضخم الكراديس) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

الكراديس: جمع كردوس، وهو كل عظمين التقيا في مفصل، نحو: المنكبين والركبتين والوركين. وقيل: رؤوس العظام.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ بعيد ما بين المنكبين.) متفق عليه.

خامس عشر/ صفة خاتم النبوة:

وهو خاتم أسود اللون مثل الهلال وفي رواية أنه أخضر اللون، وفي رواية أنه كان أحمراً، وفي رواية أخرى أنه كلون جسده.

والحقيقة أنه لا يوجد تدافع بين هذه الروايات لأن لون الخاتم كان يتفاوت باختلاف الأوقات، فيكون تارة أحمراً وتارة كلون جسده وهكذا بحسب الأوقات.

ويبلغ حجم الخاتم قدر بيضة الحمامة، وورد أنه كان على أعلى كتف النبي ﷺ الأيسر .

وقد عرف سلمان الفارسي رسول الله ﷺ بهذا الخاتم .

فعن عبد الله بن سرجس قال: (رأيت النبي ﷺ وأكلت معه خبزاً ولحماً وقال

ثريداً. فقيل له: أستغفر لك النبي؟ قال: نعم ولك، ثم تلى هذه الآية: (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) [محمد/19]
قال: (ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى عليه خيلان كأمثال الثآليل) أخرجه مسلم .

قال أبو زيد رضي الله عنه: (قال لي رسول الله ﷺ اقترب مني، فاقتربت منه، فقال: أدخل يدك فامسح ظهري، قال: فأدخلت يدي في قميصه فمسحت ظهره فوقع خاتم النبوة بين أصبعي.

قال: فسئل عن خاتم النبوة فقال: (شعرات بين كتفيه)، أخرجه أحمد والحاكم وقال (صحيح الإسناد) ووافقه الذهبي.

سادس عشر/ كفيه :

كان ﷺ رحب الراحة (أي واسع الكف) كفه ممتلئة لحماً، غير أنها مع غاية ضخامتها كانت لينة أي ناعمة.

قال أنس رضي الله عنه: (ما مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ).

وأما ما ورد في روايات أخرى عن خشونة كفيه وغلاظتها، فهو محمول على ما إذا عمل في الجهاد أو مهنة أهله، فإن كفه الشريفة تصير خشنة للعارض المذكور (أي العمل) وإذا ترك رجعت إلى النعومة.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: (صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً.

قال: وأما أنا فمسح خدي. قال: فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جونة عطار). أخرجه مسلم

وكان ﷺ رحب القدمين والكفين كما تقدم من حديث جابر بن سمرة .

وعن أنس وأبى هريرة قال : (كان رسول الله ﷺ ضخم القدمين ، حسن الوجه ، لم أر بعده مثله)

وفى رواية عن أنس : (ضخم اليدين ، لم أر قبله أو بعده مثله)

وفى أخرى : كان ضخم الرأس والقدمين ، لم أر بعده ولا قبله مثله . رواه البخاري

وعن أنس رضي الله عنه وفى قال :ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ﷺ . صحيح البخاري

وفي الصحيحين عن أنس قال : " ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكاً ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله ﷺ " .

سابع عشر/ صدره :

كان أشعر المنكبين والذراعين وأعالي الصدر؛ دقيق المسربة وهى الشعر الدقيق من الصدر إلى السرة كالقضيب

ثامن عشر/ بطنه :

وكان ﷺ : سواء البطن والصدر دون ارتفاع أو انخفاض بينهما (ليس له كرش)

تاسع عشر/ صفة إبطيه:

كان ﷺ أبيض الإبطين، وبياض الإبطين من علامة نبوته إذ إن الإبط من جميع الناس يكون عادة متغير اللون.

قال عبد الله بن مالك رضي الله عنه: (كان النبي ﷺ إذا سجد فرج بين يديه (أي باعد) حتى نرى بياض إبطيه). أخرجه البخاري.

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: (كان رسول الله ﷺ إذا سجد جافى حتى يرى بياض إبطيه). أخرجه أحمد.

العشرون / مشيته :

وكان ﷺ إذا مشى كأنما تطوى له الأرض، ويجدَّون في لحاقه، وهو غير مكترث .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (ما رأيت أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجرى في وجهه ، قال : وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله ﷺ ، لكأنما الأرض تطوى له ، كنا إذا مشينا معه نجهد أنفسنا ، وإنه لغير مُكْتَرِث) أخرجه الترمذي

وفي حديث علي : (... شثن الكفين والقدمين ، إذا مشى تقلع كأنما يمشى

من صبب ، إذا التفت التفت معاً ...) رواه الترمذي بسند حسن

شثن الكفين والقدمين : أي أنهما يميلان إلى الغلظ ، والقصر ، ويحمد ذلك في الرجال ؛ لأنه أشد لقبضهم ويذم في النساء .

فدلت هذه الأحاديث وأمثالها أن مشيته ﷺ فيها قوة مع تواضع بلا ضعف ولا كبر.

والصبب : الموضع المنحدر من الأرض، وذلك دليل على سرعة مشيه مع قوة، وقال ابن عباس: أراد به أنه قويّ البدن، فإذا مشى فكأنه يمشي على صَدْر قدميه من القوة .

إذًا فقد كانت مشيتُه ﷺ مفعمة بالحيوية والنشاط والهمة مع القوة وتتابع الخطي الثابتة الرزينة بلا توقف ولا عجلة ولا اختيال أو تبختر،

وكان ﷺ يرفع رجليه من الأرض رفعًا بائنًا بقوة، ويمشي ﷺ كأنما يصعد موضعًا عاليًا، وهذا الوصف دليل على التواضع والمثابرة وعلو الهمة أيضًا، والنشاط والتفاؤل .

واحد وعشرون/ التفاته :

وكان إذا التفت التفت جميعاً ،ومعناه أنه ﷺ كان لا ينظر من طرف عينه ، وهذه من علامات التواضع ، فكان ﷺ خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء .

اثنان وعشرون/ كلامه:

أما كلامه ﷺ فتدبر ما تقول أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضى الله عنها : **(أن النبي ﷺ كان يحدث لو عَدَّهُ العادّ لأحصاه) رواه البخاري**

وفى سنن الترمذي قالت رضى الله عنها : (ما كان رسول الله ﷺ يسرد كسردكم هذا ، ولكنه كان يتكلم بكلام يُبَيِّنُهُ ، فصل ، يحفَظُهُ من جلس إليه)

ثلاث وعشرون/ عرقه :

يقول أنس : كان ﷺ يدخل بيت أم سليم ، فينام على فراشها وليست فيه . قال : فجاء ذات يوم فنام على فراشها ، فأتيت ، فقيل لها : هذا النبي ﷺ نائم في بيتك على فراشك ؟

قال : فجاءت وقد عرق ، واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش . ففتحت عتيدتها ، فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ، ففزع النبي ﷺ ، فقال : ما تصنعين يا أم سليم ؟ فقالت : يا رسول الله ، نرجو بركته لصبياننا ، قال أصبت .

وفى رواية قالت (هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو أطيب الطيب) رواه البخاري
قوله : (ففتحت عتيدتها) شيء كالصندوق الصغير ، تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها .

وأخرج الإمام أحمد والبيهقي عن على بن أبى طالب قال : (كان العرق في وجهه ﷺ كحبات اللؤلؤ)

وصف أم معبد :

لما هاجر الرسول ﷺ ومن معه إلى المدينة، مر على خيمة امرأة عجوز تسمى (أم معبد)، كانت تجلس قرب الخيمة تسقي وتطعم، فسألوها لحماً وتمراً ليشتروا منها، فلم يجدوا عندها شيئاً.
فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في جانب الخيمة، وكان قد نفد زادهم وجاعوا.

وسأل النبي ﷺ أم معبد: ما هذه الشاة يا أم معبد؟
قالت: شاة خلفها الجهد والضعف عن الغنم.
فقال رسول الله ﷺ: هل بها من لبن؟
قالت: بأبي أنت وأمي، إن رأيت بها حلباً فاحلبها!!!
فدعا النبي ﷺ الشاة، ومسح بيده ضرعها، وسمى الله جل ثناؤه ثم دعا لأم معبد في شاتها حتى فتحت الشاة رجليها، ودرت، فدعا بإناء كبير، فحلب فيه حتى امتلأ، ثم سقى المرأة حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا (أي شبعوا)، ثم شرب آخرهم، ثم حلب في الإناء مرة ثانية حتى ملأ الإناء، ثم تركه عندها وارتحلوا عنها.

وبعد قليل أتى زوج المرأة (أبو معبد) يسوق عنزاً يتمايلن من الضعف، فرأى اللبن، فقال لزوجته: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاة عازب ولا حلوب في البيت!، فقالت: لا والله، إنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا.....
فقال أبو معبد: صفيه لي يا أم معبد!!!

فقالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه (أي مشرق الوجه)، لم تعبه نحلة (أي نحول الجسم) ولم تزر به صقلة (أنه ليس بناحلٍ ولا سمين)، وسيمٌ

قسيم (أي حسن وضيء)، في عينيه دعج (أي سواد)، وفي أشفاره وطف (طويل شعر العين)، وفي صوته صحل (بحة وحسن)، وفي عنقه سطع (طول)، وفي لحيته كثاثة (كثرة شعر)، أزج أقرن (حاجباه طويلان ومقوسان ومتصلان)، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأجلاهم وأحسنهم من قريب، حلو المنطق، فصل لا تذر ولا هذر (كلامه بين وسط ليس بالقليل ولا بالكثير)، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربعة (ليس بالطويل البائن ولا بالقصير)، لا يأس من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره، محشود محفود (أي عنده جماعة من أصحابه يطيعونه)، لا عابس ولا مفند (غير عابس الوجه، وكلامه خالٍ من الخرافة)، فقال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه، ولأعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا. حديث حسن قوي أخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.

رابعا/ كيف أرى النبي ﷺ في الرؤيا ؟

ثبت في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار."

فإذا رأى المسلم النبي ﷺ في المنام بأوصافه الثابتة في السنة فقد رآه حقيقة .

أما ما هي الأسباب التي تجعل الشخص يراه في المنام؟

فالأمر متوقف على طاعة الله ومتابعة الرسول ﷺ، فكلما كان الإنسان أتقى لله وأكثر اتباعاً لسنة رسول الله ﷺ كان توقع رؤياه للنبي ﷺ أكثر احتمالاً من غيره، كذلك الإكثار من الصلاة والسلام على النبي ليلاً، ونهارًا، ولا يلزم من عدم الرؤية له عدم صلاح الشخص، ولا يلزم أيضاً من شدة التقوى والمتابعة رؤية الرسول ﷺ، فالأمر في النهاية توفيق من الله تعالى، وفضل من الله يؤتيه من يشاء.

****

(2)

قدر الرسول ﷺ

ومكانته عند الله

عناصر الخطبة:

أولا/ فضل النبي ﷺ في آيات القرآن.

ثانيا / فضل النبي ﷺ في أحاديث السنة.

(2) قدر الرسول ﷺ ومكانته عند الله

تمهيد:

من فضل الله على أمتنا أن بعث فيهم خير رسله، وأفضل خلقه محمدا ﷺ ، فهو الرسول المصطفى، والنبي المجتبى، ختم الله به أنبياءه، واختصه دون غيره من الرسل بفضائل وخصائص كثيرة، تشريفا وتكريما له، مما يدل على جليل قدره وعلو منزلته عند ربه، قال الله تعالى: { **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات** }(البقرة من الآية: 253) .

ومعرفة فضائل النبي ﷺ ، من أهم وسائل تحقيق محبته في قلوبنا وقلوب أبنائنا، ولهذا نخصص هذه الخطبة للحديث عن فضائل النبي ﷺ من القرآن والسنة :

عناصر الخطبة:

أولا/ فضل النبي ﷺ في آيات القرآن.

ثانيا / فضل النبي ﷺ في أحاديث السنة.

أولا/ فضل النبي ﷺ في آيات القرآن

1-مدح الله عز وجل عظيم أخلاقه ﷺ :

فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]

قال السعدي في التفسير: فكان له منها أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها، في الذروة العليا، فكان ﷺ سهلًا لينا، قريبًا من الناس، مجيبًا لدعوة من دعاه، قاضيًا لحاجة من استقضاه، جابرًا لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم.

ولم يكن يعاشر جليسًا له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلي عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال ﷺ.

2- أرسله الله رحمة للعالمين:

وقال تعالى: { وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) [الأنبياء: 107] وكان صلوات الله وسلامه عليه يقول: **(إنما أنا رحمة مهداة)** رواه الحاكم .

قال ابن عباس: رسول الله بعث رحمة للبار والفاجر، فمن آمن بالنبي ﷺ تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة .

فما أرسل هذا النبي الكريم إلى الخلائق إلا رحمة لهم، لأنه جاءهم بما يسعدهم وينالون به كل خير من خيري الدنيا والآخرة إن اتبعوه، ومن خالف ولم يتبع فهو الذي ضيع على نفسه نصيبه من تلك الرحمة العظمى.

3–رفع الله ذكره :

ومنها أن الله عز وجل رفع له ذكره في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ [الشرح: 4]

عن ابن عباس قال في معنى الآية : " ما ذكرت إلا ذكرت معي في الأذان، والإقامة والتشهد، ويوم الجمعة على المنابر، ويوم الفطر، ويوم الأضحى، وأيام التشريق، ويوم عرفة وعند الجمار، وعلى الصفا والمروة، وفي خطبة النكاح، وفي مشارق الأرض ومغاربها "

وقال مجاهد: لا أذكر إلا ذكرت معي، أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله " .

وقال قتادة: " رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله " ..
وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

ضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن: أشهد

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

4-ومن فضائله أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم:

قال تعالى: ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ [الأحزاب: 6].

قال الشوكاني في تفسيره "فتح القدير": "فإذا دعاهم النبي ﷺ لشيء ودعتهم

أنفسهم إلى غيره، وجب عليهم أن يقدموا ما دعاهم إليه، ويؤخروا ما دعتهم أنفسهم إليه، ويجب عليهم أن يطيعوه فوق طاعتهم لأنفسهم، ويقدموا طاعته على ما تميل إليه أنفسهم، وتطلبه خواطرهم"

5- قسم الله بحياته:

أقسم الله تعالى بحياته ، فقال تعالى: **{لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ}** [الحجر :72]

قال ابن عباس، أنه قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره.

ومعنى الآية وحياتك يا محمد إن أهل الكفر في ضلالهم يترددون ويتخطفون ويتحيرون.

6- خطاب الله له يا أيها النبي ويا أيها الرسول:

خاطب الله جميع الأنبياء والمرسلين بأسمائهم مجردة إلا نبينا محمد ﷺ

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: 35] و ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا ﴾ [هود: 48] و ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الصافات: 104]

أما نبينا محمد ﷺ فنادى عليه ربه بقوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: 45] و ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ [المائدة: 41]

7-أخذ الله الميثاق على جميع النبيين والمرسلين إن بعث فيهم محمد أن يؤمنوا به وأن ينصروه:

قال جل وعلا: **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾** [آل عمران: 81]

ثانيا / فضل النبي ﷺ في أحاديث السنة

1-أنه ﷺ خليل الرحمن:

وهذه الفضيلة لم تثبت لأحد غير نبينا ﷺ ونبي الله إبراهيم عليهما الصلاة والسلام؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **(ألا إني أبرأ إلى كل خل من خله، ولو كنت متخذا خليلا، لاتخذت أبا بكر خليلا، إن صاحبكم خليل الله)** رواه مسلم .

2- أنه ﷺ سيد ولد بني آدم:

وأشرف الخلق، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول من يشفع، وأنه أرسل للناس كافة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "كنا مع النبي ﷺ في دعوة، فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، وقال: أنا سيد القوم يوم القيامة" متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع) رواه مسلم.

يقول النووي – رحمه الله قال العلماء: وقوله ﷺ: **(أنا سيد ولد آدم)** لم يقله فخرا، بل صرح بنفي الفخر في غير مسلم في الحديث المشهور (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) وإنما قاله لوجهين:

أحدهما :امتثال قوله تعالى: ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ [الضحى: 11]

والثاني: أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه، ويعتقدوه، ويعملوا بمقتضاه، ويوقروه ﷺ بما تقتضي مرتبته كما أمرهم الله تعالى.

وهذا الحديث دليل لتفضيله ﷺ على الخلق كلهم ؛ لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة، وهو ﷺ أفضل الآدميين وغيرهم.

3-ومن فضائله صلوات الله وسلامه عليه أنه خاتم النبيين وأفضلهم:

لقول الله تعالى: { ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين }(الأحزاب الآية: 40)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ : (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة!، قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين) رواه مسلم .

فنبينا ﷺ خاتم النبيين وأفضلهم، والأنبياء جميعا عليهم السلام لو قدر لهم أن يجتمعوا في وقت واحد ويعاصروه صلوات الله وسلامه عليه ما وسعهم إلا أن يؤمنوا به ويتبعوه، فقد قال ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : **(لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي) رواه أحمد، وفي رواية أخرى: (لو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي) .**

يقول السعدي: فكل الأنبياء لو أدركوا محمدا ﷺ لوجب عليهم الإيمان به واتباعه ونصرته، وكان هو إمامهم ومقدمهم ومتبوعهم .

4-أنه أول من يدخل الجنة:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟، فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك) رواه مسلم.
وفي رواية الطبراني : (ولا أقوم لأحد بعدك)

5-إعطاؤه" الوسيلة " أعلى منزلة في الجنة:

الوسيلة هي أعلى درجة في الجنة، لا ينالها إلا عبد واحد من عباد الله، وهو رسولنا محمد ﷺ:

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة، صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة) رواه مسلم.

6-إعطاؤه الشفاعة والمقام المحمود:

فمن تفضيل الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ أن جعله صاحب الشفاعة العظمى يوم المحشر؛ لإراحة الناس من هول الموقف وتعجيل الحساب يوم القيامة، وفيه جاء قوله تعالى: ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما**

محمودا ﴾ [الإسراء: 79]

عن كعب بن مالك رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: (يبعث الناس يوم القيامة، فأكون أنا وأمتي على تل، ويكسوني ربي تبارك وتعالى حلة خضراء، ثم يؤذن لي، فأقول ما شاء الله أن أقول، فذاك المقام المحمود) رواه أحمد في المسند

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينا هم كذلك، استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ، فيشفع ليقضى بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا، يحمده أهل الجمع كلهم) رواه البخاري

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون: أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا عند ربنا. فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ويقول: ائتوا نوحا، أول رسول بعثه الله، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ائتوا موسى الذي كلمه الله، فيأتونه فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته، ائتوا عيسى، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ائتوا محمدا ﷺ، فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

فيأتوني، فأستأذن على ربي، فإذا رأيته وقعت ساجدا، فيدعني ما شاء الله، ثم يقال لي: ارفع رأسك، سل تعطه، وقل يسمع، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمني، ثم أشفع فيحد لي حدا، ثم أخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجدا مثله في الثالثة، أو الرابعة، حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن) رواه البخاري.

وقول الأنبياء عليهم السلام: (لست هناكم): أي: لست أهلا لذلك، يقولونه تواضعا وإكبارا لما يسألونه.

و(هناك) إذا ألحق به كاف الخطاب، يكون للبعيد من المكان المشار إليه، أي أنا بعيد من مكان الشفاعة ومقامها.

قال ابن تيمية رحمه الله: (اتفق المسلمون على أنه ﷺ أعظم الخلق جاها عند الله، ولا جاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه، ولا شفاعة أعظم من

شفاعته).[3]

7- ادخر دعوته المستجابة لأمته يوم القيامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا) رواه مسلم.

قال النووي رحمه الله في معنى قوله: (لكل نبي دعوة مستجابة): (أن كل نبي له دعوة متيقنة الإجابة، وهو على يقين من إجابتها، وأما باقي دعواتهم فهم على طمع من إجابتها، وبعضها يجاب، وبعضها لا يجاب.

وفي هذا الحديث: بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته، ورأفته بهم، واعتنائه بالنظر في مصالحهم المهمة، فأخر النبي ﷺ دعوته لأمته إلى أهم أوقات حاجاتهم)..[4]

8-نهر الكوثر:

وهو نهر عظيم وعده الله به نبيه في الجنة، وهو المراد في قول الله تعالى : { **إنا أعطيناك الكوثر** }(الكوثر الآية: 1)

وعن أنس رضي الله عنه قال: (بينما نحن عند النبي ﷺ إذ غفا إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسما فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟

قال: نزلت علي سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم { إنا أعطيناك الكوثر } إلى آخرها، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم.
قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة) وفي رواية الترمذي: (الكوثر نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت) وفي رواية أحمد: (ذاك نهر أعطانيه الله أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل) .

ويكرم الله تعالى رسوله محمدا ﷺ في الموقف العظيم بإعطائه موردا كريما، وحوضا عظيما، واسع الأرجاء، منبعه من نهر الكوثر في الجنة، فهو امتداد

---

[3] مجموع الفتاوى، (1/ 145).
[4] شرح النووي على صحيح مسلم، (3/ 75، 76)

له، ترد عليه أمة المصطفى ﷺ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر؛ لأن عرضه وطوله سواء، ماؤه أبيض من اللبن، وطعمه أحلى من العسل، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (أنا فرطكم (سابقكم) على الحوض، من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدا) رواه البخاري .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا) رواه مسلم

قوله: (زواياه سواء): أي: أنه مربع، لا يزيد طوله عن عرضه شيئا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: (إن حوضي أبعد من أيلة من عدن، لهو أشد بياضا من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه).

قالوا: يا رسول الله! أتعرفنا يومئذ؟ قال: (نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تردون علي غرا محجلين من أثر الوضوء) رواه مسلم

قوله: (إن حوضي أبعد من أيلة من عدن): أي: بعد ما بين طرفي حوضي أزيد من بعد أيلة وهي مدينة العقبة في الأردن عن مدينة عدن في اليمن.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال نبي الله ﷺ: (ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء) رواه مسلم

هذه بعض فضائل وخصائص نبينا ﷺ ، الذي اختاره الله عز وجل ليكون خاتم الرسل والنبيين، ورحمة للخلق أجمعين.

فنسأل الله أن يجمعنا به، وألا يحرمنا شفاعته، وأن يسقينا من يده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبدا .

(3)

لماذا نحتفل بميلاد النبي ﷺ؟

عناصر الخطبة

أولا / ما معنى كلمة احتفال؟

ثانيا / ليس كل متروك بدعة .

ثالثا / حاجة الأجيال الناشئة للتعرف على الرسول.

رابعا / كيف نربي أبناءنا على حب الرسول ؟

خامسا/ فلتعرف الدنيا من هو محمد ؟

(3) لماذا نحتفل بميلاد النبي ﷺ؟

تمهيد:

حينما يهل علينا شهر ربيع الأول فإنا نتذكر دائما أنه شهر ميلاد رسول الله ﷺ هذا النبي العظيم الذي شرفنا الله بأن نكون من أتباعه ومن أمته ، وأكرمنا الله بحبه واتباع سنته ، فهذا شرف كبير لنا نسأل الله أن نكون أهلا لهذا الشرف.

ودائما ما يثار بيننا مسألة الاحتفال بميلاد النبي ﷺ ، وهل هي سنة أم بدعة ؟ وتجد هذا الجدال يكثر ويحتد حتى نخرج من الشهر بدون فائدة غير أن كل فريق حشد الأدلة التي تعزز رأيه وتؤيده، ولم نسأل أنفسنا ما هو واجبنا تجاه رسول الله ﷺ ؟

وهناك قضايا كثيرة مهمة تتحول يا للأسف لمادة للجدال ، ونحن في عصر يتسم بالفوضى الكبيرة في التوجيه، ومع كثرة وسائل التواصل والإعلام صار لكل واحد رأيا في كل شيء سواء كان في تخصصه أم خارج نطاق تخصصه ، فهناك من يتكلم في الطب وهو حتى لم ير حائط كلية الطب ، ويفتى في مسائل الدين الكبيرة والقضايا العويصة وهو لا يعرف إلا قصار سور جزء عم !!

فالكثير صار يتكلم في غير تخصصه بل ويجادل لإثبات صحة رأيه فصار حب الجدال سمة المتعالمين من أهل زماننا !!

عناصر الخطبة

أولا / ما معنى كلمة احتفال؟

ثانيا / ليس كل متروك بدعة .

ثالثا / حاجة الأجيال الناشئة في الغرب للتعرف على الرسول.

رابعا / كيف نربي أبناءنا على حب الرسول ؟

خامسا/ فلتعرف الدنيا من هو محمد ؟

أولا / ما معنى كلمة احتفال؟

معنى احتفل واحتفى يعنى أظهر اهتمامه بشيء كما قال إبراهيم عليه السلام لأبيه : " **(سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا)** [مريم/47] حفيا أي يحتفي

بي إذا دعوته وسألته سبحانه وتعالى.

فأنا حينما أقول أنا أحتفي أو احتفل برسول الله ﷺ هذا معناه أنه احتفال يقع في الإطار العام للشريعة وهو محبة رسول الله ، والحديث عن سننه وإحياء ما اندثر منها عند الناس ، وهذا بلا شك مما نتقرب به إلى الله عز وجل ،

والذين يقولون إنه بدعة يقولون إنه ليس لنا إلا عيدان الفطر والأضحى وما سواهما من الأعياد من البدع المحدثة!!!

ولم يقل أحد إن ميلاد النبي ﷺ يوم عيد يعامل عندنا كعيدي الفطر والأضحى، وإلا لنادينا على الناس، وقلنا صلاة عيد مولد النبي الساعة كذا وكذا !!! ولم يقل بذلك أحد ، وهذا كلام لا يقول به عاقل.

ولو أن عند الغرب رجلا بعشر أخلاق النبي ﷺ لملأوا الدنيا ضجيجا بالحديث عنه ، وعن أقواله وأفعاله وحياته وقصصه ، ثم نحن ما زلنا كل عام نتساءل هل الاحتفال جائز أم غير جائز ؟

فلا بد أن نبلغ هذه الرسالة العالمية إلى العالم أجمع هذه هي مهمتنا الكبرى ، أن ندل الناس على هذا النور الذي أكرمنا الله سبحانه وتعالى به ، والإسلام ونور الرسالة ، وأن يكون رسول الله رحمة للعالمين كما قال تعالى (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) [الأنبياء/107] وكيف للعالمين أن يعلموا أنه رحمة وهم لا يدرون شيئا عنه.

ثانيا / ليس كل متروك بدعة

مجرد ترك الرسول ﷺ لفعل لا يدل على حرمة الفعل، وهذا معلوم عند علماء أصول الفقه ، فليس كل متروك إذا فعلناه صار بدعة ، وعلى سبيل المثال لأقرّب المسألة:

القرآن لم يجمع في مصحف واحد زمن رسول الله ﷺ لكن لما رأى عمر أن عددا كبيرا من حفاظ القرآن استشهدوا في معركة اليمامة أول خلافة أبي بكر الصديق في معركة المسلمين مع مسيلمة الكذاب وقومه ، أشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أبي بكر رضي الله عنه أن يجمع القرآن في مصحف واحد ، في بداية الأمر لم يوافق أبو بكر قائلا كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فما زال به عمر حتى انشرح صدره لهذا الأمر ووافق فجمع القرآن لأول مرة في مصحف واحد.

ولك أن تسأل هل معنى ذلك أن القرآن لم يجمع في حياة النبي ﷺ في مصحف واحد؟

نعم لأن القرآن نزل مفرقا في ثلاث وعشرين سنة على النبي ﷺ ووسائل الكتابة لم تكن بالصورة الحديثة التي نحن عليها الآن الأوراق والطباعة إنما كانوا يكتبون على عسب (جريد) النخيل وعلى العظام العريضة والحجارة الرقيقة ، بالإضافة إلى أن القراءة والكتابة لم تكن منتشرة في زمانهم بل كانت الأمية هي الغالبة ، فكان رأي عمر نعم الرأي.

لماذا لم يحتفل الصحابة بميلاد النبي ؟

لم يكن النبي ﷺ ولا صحابته في حاجة لهذا الأمر لأن النبي بينهم ، فلما مات كان الصحابة الذين جالسوا الرسول وعاشوا معه ما زالوا موجودين فلم يكن هناك داع أو حتى مجرد طرح لسؤال هل نحتفل أو لا نحتفل بميلاد الرسول ﷺ ؟

لكن لما امتدت القرون بدأ بعض العلماء في التفكير في هذا الأمر وهو تعظيم رسول الله ﷺ وإحياء سننه وإحياء سيرته في الأجيال الجديدة والكلام عنه وعن أخلاقه ﷺ

ثالثا / حاجة الأجيال الناشئة في الغرب للتعرف على الرسول

ولذا أرى أن المسلمين في الغرب بأمس الحاجة لإحياء هذه المعاني لأننا نشأنا ببلادنا وعندنا رسول الله ﷺ معظم وموقر يتحدث عنه المحيط الذي حولنا نسمع عنه في المدرسة ومن المعلم والأهل والمسجد والعلماء ...الخ ، أي واحد فينا يسمع اسم الرسول يقول مباشرة : ﷺ، عليه الصلاة والسلام ،

لماذا ؟ لأننا تربينا على هذا ، أما الجيل الذي نشأ هنا فإنه لم يتشرب هذه المعاني لم يعشها ولم يرها ، إنما يرى بعينيه الاحتفالات الضخمة بالهالوين والكريسماس وغيرها ، بالإضافة لجو البهجة والفرح والحلوى المحيط بها هنا .[5]

فإذا جئنا إلى الاحتفال بالرسول ﷺ إذا بالاختلاف القائم هل نحتفل بميلاد الرسول ﷺ أم لا ؟

---

[5] أقصد بكندا أو بالغرب عموما.

فإذا به ينشا لا علاقة له بالرسول ﷺ ولا يعرفه ولا يحبه ، والله سبحانه وتعالى قال : **(أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون)** [المؤمنون/69]
هاتوا الجيل الذي ولد ونشأ هنا واسألوهم ماذا تعرف عن رسول الله ﷺ ؟ وهل يتعلق قلبك برسول الله ﷺ ؟

فلنتكلم بصراحة ستجد قلبه معلق باللاعب الفلاني بنادي كذا واللاعب الذي حصل على كذا ، واليوتيوبر الفلاني الذي يحقق في الشهر كذا ...الخ،

فقلوبهم معلقة بالشخصيات المشهورة في الرياضة أو الإعلام فقط ، لكن ما مدى تعلق أبنائنا برسول الله ﷺ ؟

والله يا إخواني هذه مسألة مهمة جدا ، فما أحوجنا نحن المسلمين بالغرب أن نحيي الكلام عن رسول الله ﷺ في نفوس أبنائنا وبناتنا ، وأن نربيهم على حبه والتأثر به وبشخصيته ﷺ

وإذا كانوا يتحدثون عن شخصيات كرتونية ووهمية هنا صارت هي الأمجاد والعظماء في أنفس الأطفال ، فما بالنا ننسى الرسول ﷺ وصحابته هؤلاء العظماء الأجلاء الذين غيروا وجه الدنيا وحولوا البشرية من عبادة الأصنام وعبادة البشر إلى عبادة الله الواحد الأحد.

ماذا نفترض وجوده في عقليات أبنائنا غير هذا العنكبوت الكرتوني الذي صار في معظم الأفلام التي يشاهدها أبناؤنا ويتعلق بها الصغار والشباب، ويكون عندهم هذا الشعور بأن فلان صاحب القوات الخارقة، من العظماء خاصة مع المؤثرات الكبيرة في الجرافيك والتقدم في تقنيات صناعة الأفلام صارت هذه المشاهد الخرافية وكأنها حقيقة وواقع ، والكل يعلم أنها وهمية ، لكن هذه الشخصيات الوهمية صار لها حضور كبير وقدوة ورمز معظم عند الكثير من أبنائنا في اللاوعي أو اللاشعور.

فنحن نحتاج أن نتحدث مع أبنائنا عن رسول الله ﷺ وعن صحابته ونحيي في أنفسهم الاعتزاز بالانتماء لهذا الدين العظيم ، وحبنا لرسول الله ﷺ وسنته وأخلاقه ، فنحيي الكلام عن هذه الأمور.

وأؤكد على أن ما هو عندك بديهي تربيت عليه هو غائب عند ابنك أو ابنتك لم يسمعوا به ولا يعرفونه ، وأنى لهم أن يسمعوا أو يعرفوا وهو شيء غير موجود لا في مدرسة ولا مجتمع محيط ولا إعلام ؟

رابعا / كيف نربي أبناءنا على حب الرسول ؟

فالدور الكبير الذي علينا هو أن نتكلم عن الرسول ﷺ مع أبنائنا ونحيي فيهم هذه المسائل من خلال بعض هذه الخطوات العملية:

1- القدوة الصالحة :

لأن الطفل ابن بيئته يتأثر بها كثيرا حينما يعرض ابنك عليك شيئا تأكله فتقول: أنا صائم ، فيسأل هل نحن في رمضان ؟ كلا، ولكن سنة عن الرسول ﷺ أن نصوم يومي الاثنين والخميس فأنا أصوم اتباعا لسنة الرسول.

ابنك صلى الفريضة ، فتقول هيا بنا نصلي ركعتي السنة ، ماذا تعني ركعتي السنة ؟ نحن نتكلم مع أبنائنا دون أن ندرك أن أبناءنا لا يدركون ما نتكلم عنه ، فتقول له : عندما نصلي الفريضة ربما يكون في الصلاة نقصا أو خطأ لم ننتبه إليه تكون السنة مكملة لهذا النقص ، فسن لنا الرسول ﷺ هذه السنة ونحن نؤديها اتباعا لرسول الله ﷺ

كذلك يتعلم أن يأكل بيمينه ويشرب بيمينه هكذا سنة رسول الله ﷺ ، بخلاف ما يتعلمونه في الاتيكيت أن الشوكة باليد الشمال والسكين باليد اليمنى ويأكل بشماله ، فنعلمه أن الرسول ﷺ قال: **يا غلام سم الله وكل بيمينك ، وقال : إن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ، فلا نتشبه بالشيطان.**

2-نعلمهم أذكار الأحوال:

عندما تركب السيارة ارفع صوتك بالدعاء (**بسم الله الحمد لله {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ}** [الزخرف:1314]
وعندما تخرج من البيت تقول : **بِسْمِ اللَّهِ توكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلا حوْلَ وَلا قُوةَ إِلاَّ بِاللَّهِ**
فالطفل لن يستطيع أن يمسك بكتيب حصن المسلم ليحفظها عن ظهر قلب، ولا حتى أنت ، لكن الأذكار ستعرف بالتكرار.

حينما نأكل من يذكرنا بدعاء الطعام ؟ قل يا فلان:
بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه ، إذا كان حليبا نقول وزدنا منه .
بعد الفراغ من الطعام نقول : الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، أو نقول : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين.

دعاء الحمام يقول عند الدخول بسم الله ، أعوذ بالله من الخبث والخبائث، وبعد الخروج يقول :غفرانك .

عندما يعطس يقول النَّبِيّ ﷺ : (إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، فَإِذَا قَالَ لَهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَلْيَقُلْ : يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ).

يرجع من المدرسة فنعلمه أن يسلم فيقول **السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،** لو دخل كما يفعل الكثير من أبنائنا دون أن يلقى السلام أو يقول أي شيء ويلقى بالشنطة على طول يده ويذهب ليلعب ، نقول له أخرج مرة أخرى وأغلق الباب ثم ادخل وقل **السلام عليكم ورحمة الله.**

نفعل هذا مرة واثنين وثلاثة ، ليتعود ويتعلم.

3-تعليمه آداب الاستئذان:

وأن يدق على باب الغرفة قبل أن يدخل ونقول له: هذه سنة رسول الله ﷺ **الرسول سأله رجل فقال يا رسول الله أستأذن على أمي فقال نعم ، قال الرجل إني معها في البيت فقال رسول الله ﷺ استأذن عليها ، فقال الرجل إني خادمها فقال له رسول الله ﷺ استأذن عليها، أتحب أن تراها عريانة، قال لا قال فاستأذن عليها)**

4-تعليمهم أخلاق الرسول:

نعلم أبناءنا أخلاق الرسول ﷺ هذه الأخلاق العظيمة التي سمت على جميع الأخلاق ، لما مدح الله نبينا لم يمدح فيه الصلاة ولا الصيام ولا طول القيام إنما مدح فيه الأخلاق ، فقال تعالى : **(وإنك لعلى خلق عظيم)** [القلم/4]

فنعلم أبناءنا أخلاقه ﷺ كالرحمة والحلم والكرم والجود ....الخ ، فلما نعلم أبناءنا هذه الأمور بسلاسة ومن خلال مواقف متعددة أو من خلال القصص ، هذا كله ينشئ أبناءنا على حب الرسول ﷺ ومعرفة قدره ومكانته.

5-التعليم بالتلوين:

من الممكن أيضا بالنسبة للأطفال الصغار موضوع الرسم والتلوين، لو تطبع له ورقة مكتوب عليها أحب رسول الله ، أو فيها صورة مصحف ، ومسجد .... الخ.

لو أننا في هذا الشهر نحتفل بالرسول ﷺ ما رأيك أن تكتب رسالة في كارت

صغير كما يعلمونهم هنا بالمدارس ، ونعلقها له بالغرفة أو مكان بارز بالبيت فيفرح ويفخر بما فعله ويشعر بانتمائه وحبه للرسول ﷺ

6-حكاية معجزاته ﷺ:

وربط ذلك بقدرة الله وتأييده ،وخاصة أن الأطفال يبهرهم أي شيء فيه الخروج على المألوف فنحكي لهم مثلا : معجزة انشقاق القمر ،والإسراء والمعراج ، والهجرة ...الخ ، كل هذا بأسلوب مشوق مناسب لعقلية الأطفال.

7-تعليق قلوبهم بالقرآن:

الحديث عن القرآن هذا الكتاب العظيم الخالد الذي لا يعرف على وجه الأرض كتاب بتاريخ وعظمة القرآن الكريم ؛ القرآن الذي كتب وسطر وبقي على حاله لم يزد عليه ولم ينقص منه ، أي كتاب في الدنيا يوجد منه الطبعة الأولى والثانية والعاشرة مع حذف وإضافة وتقديم وتأخير، أما المصحف فهو كما هو، كما أنزله الله سبحانه وتعالى بلا زيادة ولا نقص ، فيعتز بحفظه للقرآن.

الكثير من الآباء عنده همّ أن يحفظ أولاده القرآن الكريم كله ، وهذا شيء طيب ونحبه ونرغب في ذلك ، لكن إن عجز ابنك عن ذلك ؟ أنا يئست ؟ أشعر بأن هذا البلد كذا وكذا ... أقول لك لا داعي لليأس أبدا لا بد من أن نؤمن بالقدرات والملكات المختلفة ، في طفل عنده قابلية للحفظ وآخر متوسط وثالث ضعيف ...الخ.

ودعك من الطفرات التي تشاهدها على اليوتيوب من يحفظ القرآن بالصفحة ورقم الآية ، هذه قدرات ومواهب خاصة ليست متوفرة في جميع البشر ، هذه أشياء متفردة لكن ليس معناه أن تقطع صلته بالقرآن ، إذا عجز عن الحفظ الكثير يحفظ قليلا، إذا عجز عن حفظ القليل يتعلم كيف يقرأ القرآن ، حتى لا يكون القرآن ثقيلا على لسانه ، أنا أحزن عندما أرى بعض أبنائنا يمسكون بمصاحف مكتوبة بالأحرف اللاتينية ، لأنه لا يجيد القراءة بالعربية هذا هو العجز أن نكون عربا وأبناؤنا عجما !!! يقرأون القرآن بالأحرف اللاتينية.

ولا اريد أن تكون الصلاة وحفظ القرآن عقابا للأبناء ، أو أن تهدده بالعقاب إذا لم يحفظ وإذا لم يصلي إنما نجعل أبناءنا عندهم حب على هذه العبادات ، وأصدقكم القول إن أسهل وسيلة في التربية هي التربية بالإكراه والضغط والتهديد بالعقاب (من أطاع عصاك فقد عصاك) لكنها غير منتجة كثيرا ،

الوسيلة الصعبة في التربية لكنها منتجة فعلا هي التربية الإقناعية أن يقتنع ابنك بما يفعل ويحب ويحرص على ما يفعل.

فنربي في أبنائنا حب رسول الله ﷺ وحب سنته ونربي فيهم تعظيمه وتوقيره والحديث عنه بدلا من التعلق بالشخصيات الخرافية والوهمية .

خامسا/ فلتعرف الدنيا من هو محمد ؟

نريد أن نتكلم عن رسول الله في المحيط الذي نحن نعيش فيه الكثير منكم يجيد بدل اللغة ثلاثة لماذا ليس عندنا استعداد أن نتكلم عن رسول الله ﷺ آتاك الله لغة فاكتب وتكلم وأرسل .

ورب كلمة تقولها لا تلقي لها بالا يهدي الله بها خلقا كثيرين ، لتعرف الدنيا من هو محمد ؟

ووسائل التواصل الاجتماعي حاليا تنتشر فيها الأخبار والمقاطع المصورة انتشارا سريعا جدا.

بالإضافة لهذا ليرى من حولك فيك أخلاق رسول الله ﷺ عندما تقرأ أن رسول الله رحمة للعالمين لماذا لا تكون أنت أيضا رحمة لكل من حولك من الناس؛ فتكون رحمة في معاملتك ؛ في بيعك وشرائك، ومع جيرانك رحمة بزوجتك رحمة بأولادك ، وتتعلم الحلم والكرم وسعة الصدر وسائر الأخلاق الحسنة للرسول ﷺ.
فكن أنت سفيرا لهذا الدين العظيم وكن خير خلف لخير سلف.

الخلاصة:

1 الاحتفال بالرسول ﷺ إذا كان من باب إحياء سنته والحديث عن أخلاقه وسيرته فهذا مطلب يقع في الإطار العام للشريعة وليس معنى ترك رسول الله وصحابته الاحتفال أنه حرام ، فالأمور بمقاصدها.

2 إذا نتج عن الاحتفال بعض الأمور المحرمة أو المكروهة فلا شك في حرمتها أو كراهتها لكن لا يعنى هذا أن الاحتفال حرام ، فقل لي كيف تحتفل أقول لك حكم احتفالك.

3 نحتاج لإحياء الحديث عن سنته وأخلاقه وسيرته مع الجيل الذي نشأ هنا ولم يتشرب قلبه حب رسول الله ولم يتعرف عليه ، والأبناء كالتربة الخصبة ترمي

فيها البذرة وترعاها فتثمر ، لكن إذا تركناها هكذا سينبت فيها أي شيء وسيكون عرضة للخرافات والأوهام والعنكبوت والضلال والبدع والتيارات الضالة.

4 أن مسلمي الغرب يقع على عاتقهم واجب التعريف بالرسول ﷺ لغير المسلمين فتعرف الدنيا كلها من هو رسول الله ﷺ الذي نفخر أننا أتباعه وأننا من أمته ﷺ.

****

(4)

محمد ﷺ النبى الإنسان

عناصر الخطبة:

أولا/ ما المقصود بالنبي الإنسان ؟

ثانيا / النبي الإنسان مع أبنائه

ثالثا / النبي مع زوجاته

رابعا/ النبي مع أصحابه

(4)محمد ﷺ النبى الإنسان

تمهيد:

أرسل الله رسوله محمدا بشرا مثلنا ، حتى تتحقق القدوة كاملة فيه ﷺ ، لكن ألاحظ أن الكثير ممن يتكلمون عن رسول الله ﷺ لا يتحدثون إلا عن الغزوات والمعارك فقط ، وهذا ما أطلق عليه البعض:

"عسكرة السيرة "

يعني حينما تتكلم عن السيرة النبوية نكتفي بالكلام عن الغزوات والمعارك فقط ؛غزوة بدر غزوة أحد، الخندق... وهكذا ، مع إهمال القدوة في حياة الرسول في الجوانب الأخرى.

وهذا لا يعني التقليل من القدوة فيه ﷺ في أي جانب من الجوانب، لكن الذي أريد أن أقوله : إن إبراز جانب واحد، وإغفال بقية الجوانب الأخرى في الاقتداء به ﷺ ليس صحيحا ، ولذلك أريد أن أخصص هذا اللقاء للحديث عن:
النبي الإنسان

عناصر الخطبة:

أولا/ ما المقصود بالنبي الإنسان ؟

ثانيا / النبي الإنسان مع أبنائه

ثالثا / النبي مع زوجاته

رابعا/ النبي مع أصحابه

أولا/ ما المقصود بالنبي الإنسان ؟

كلمة الإنسان والإنسانية كلمة استعمالها حديث معناها : جانب المشاعر والرفق والرحمة والجانب العاطفي في حياة أي واحد منا ، لأن الإنسانية ضدها الحيوانية ، أو البهيمية ، أو اللاإنسانية ، أي التعامل مع الغير بقسوة وعنصرية.

فحينما نقول رسول الله الإنسان فإننا نعني جانب القدوة فيه ﷺ كبشر ، نتعامل معه كأب وجد وزوج ، نتعامل معه كإنسان له مشاعر وعواطف يعبر عنها في التعامل مع غيره ، بل والجانب الإنساني فيه كقائد ورئيس دولة حتى والله

الجانب الإنساني في تعامله مع أعدائه.

وتتبع هذه المواقف النبوية في حياته ﷺ وإبراز هذا المعنى الذي لن يختلف عليه اثنان يطول جدا ، وحينما كتب بعض المستشرقين عنه ﷺ صوروه على أنه كان نبيا وحشيا لا يعرف إلا لغة الدم ، وسماه بعضهم نبي الخراب. [6]

وبعضهم أراد أن يكون حياديا فقال عنه : محمد كان ثائرا اجتماعيا قام بثورة ضد الأغنياء بمكة لصالح العبيد.[7]

كذبوا والله في زعمهم وفداه أبي وأمي – بل كان نبي حضارة وإنسانية ونجح في ربط الجانب الإنساني بالمنهج الرباني وربى أصحابه على هذا المنهج.

فالنبي ﷺ كبشر لم يكن قاسيا، ولَم يكن متوحشا، ولا ظالما، بل كان إنسانا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وكان بسيطا متواضعا في كل شيء ، لم يكن له سلطان ولا صولجان ولَم يكن له جبروت، ولا يحب إراقة الدماء، وإزهاق الأرواح كالذين سطروا صحائفهم في التاريخ بالدماء، والظلم، والقسوة، والوحشية، إنما كان رسول الله نبيا معلما وهاديا وقدوة نعم القدوة.

ولذلك فإن إبراز هذا الجانب عندما نتحدث عن رسول الله ﷺ وخاصة مع غير المسلمين أمر هام ومطلوب خاصة أننا نحتك بثقافات عديدة وديانات لا يعرفون شيئا عن الرسول إلا بعض ما يردده الإعلام ويكون أغلبها مشوه ومزيف.

ثانيا / النبي ﷺ الإنسان مع أبنائه

فنجد النبي ﷺ يعبر عن مشاعره في هذه البيئة القاسية حينما دخل عليه الأقرع بن حابس فأبصر النبي ﷺ يقبل أحفاده ويمازحهم فقال متعجبا أو قل مستنكرا أو تقبلون صبيانكم ؟ إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا!!

---

(6) ذكر ذلك الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، في كتابه الشهير "فقه السيرة."

(7) القائل لهذا الكلام هو المستشرق البريطاني مونتجمري وات(Montgomery Watt) ، وهو أحد أبرز المستشرقين الغربيين الذين كتبوا عن سيرة النبي محمد ﷺ من منظور غربي تحليلي؛ في بعض كتاباته، خصوصًا في كتابه المشهور *Muhammad at Mecca*(محمد في مكة)، وصف النبي ﷺ بأنه: "ثائر اجتماعي قام بثورة ضد طبقة الأغنياء في مكة لصالح الفقراء والعبيد والمستضعفين".

وهو يعبر هنا عن الطبيعة القاسية التي نشأوا فيها طبيعة الصحراء بما فيها من قسوة وغلظة فماذا قال له الرسول ﷺ ؟
قال له وما أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك ؟ من لا يرحم لا يرحم.

ونجده ﷺ خارجا للصلاة يحمل ابنة ابنته زينب اسمها أمامة – ودخل الصلاة وهو يحملها ليعلم الأمة الرحمة بالصغار وحب الأطفال والتلطف بهم فكان ﷺ إذا قام رفعها وإذا ركع أو سجد وضعها وهكذا طوال الصلاة.

ففعله ﷺ دليل على جواز حمل الطفل في الصلاة وخاصة الأمهات لأنهن ألصق بأطفالهن الصغار، وربما يتحرك الطفل نحو شيء فيه خطر عليه فالأمان حمله أثناء الصلاة.

وفيه إظهار اللطف والرفق في معاملة البنت الصغيرة في مجتمع كانوا بالأمس يرون إنجاب البنت عارا على أبيها.

ومشهد الحسن بن علي رضي الله عنهما حينما سجد النبي ﷺ يوما فارتحل (ركب) الحسن ظهر النبي ﷺ ، وأطال النبي في السجود حتى رفع أحد الصحابة رأسه يخشى أن يكون النبي ﷺ أصابه مكروه فرأى الحسن فوق ظهره ، وبعد الصلاة قال الصحابة للرسول ظننا أنه يوحى إليك ؟
قال : كلا ولكن ابني هذا ارتحلن فكرهت أن أعجله.

فتتوقف الجماعة كلها ويطوّل السجود خوفا على الطفل الصغير أن يصيبه أذى.

وكان ﷺ يجعل الحسن والحسين على ظهره ويقول: نعم الجمل جملكما ونعم الراحلان (الراكبان) أنتما.

وكان النبي ﷺ قائما على المنبر يخطب يوما ، فأقبل عليه الحسن وكان طفلا صغيرا ، فرآه يتعثر في الناس، يريد أن يصل إلى جده على المنبر والمسجد ممتلئ بالمصلين، فماذا فعل رسول الله ﷺ؟ قطع الخطبة ونزل من على المنبر حتى بلغ مكان الحسن فحمله وأجلسه بجانبه، وهو يتلو قوله تعالى: **(إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم)** [التغابن/15]
ثم قال رأيت ابني هذا يتعثر في الناس فلم أصبر على ذلك.

إنه صاحب القلب الكبير غلبته عاطفة الأبوة فقطع الخطبة ومد يده له وأجلسه بجانبه على المنبر.

قلادة خديجة : [8]

زينب رضي الله عنها ، كبرى بنات النبي ﷺ، زوّجها النبي قبل البعثة من أبي العاص بن الربيع، وهو ابن أخت أم المؤمنين خديجة ، ولما زفت زينب إليه أهدتها أمها خديجة قلادة هدية زفافها .

وتمر الأيام ويكون أبا العاص بن الربيع من جملة أسرى المشركين في غزوة بدر ، وإذا بالنبي ﷺ يفاجأ أن ابنته زينب رضي الله عنها بعثت القلادة التي أهدتها إليها أمها خديجة يوم زفافها ، فكاكا لزوجها من الأسر!!!

ولما رأى النبي ﷺ القلادة رق لها رقة شديدا ، لقد أثارت القلادة في قلبه ذكريات زوجته خديجة رضي الله عنها.

عن عائشة ، زوج النبي ﷺ قالت : " لما بعث أهل مكة في فداء أسرائهم ، بعثت زينب بنت رسول الله ، ﷺ ، في فداء أبي العاص بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص ، حين بنى عليها .

قالت : فلما رآها رسول الله ، ﷺ ، رق لها رقة شديدة ، وقال : إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا .

فقالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه ، وردوا عليها الذي لها " .

ثالثا / النبي ﷺ مع زوجاته

ونجد النبي العظيم صاحب المقام الرفيع مع زوجاته خير زوج ، فكان ليّنا سمحا كريما .

في زماننا بعض الأزواج يعتقد أن الخشونة مع الزوجة والشدة هي من الرجولة وأن التقليل من شأن المرأة وعدم احترامها هذا كله من الرجولة!!

الرجولة الحقة أخبر عنها الرسول ﷺ بقوله: **"خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي "**

لماذا لأهله تحديدًا؟!

الأهل هم زوجتك وأولادك وأقاربك، وهؤلاء الأهل هم الأحق بحسن خلقك وبخيرك وبنفعك؛ لأن الأقربين هم أوْلى بالمعروف، فالحديث يقول لك: إذا كان

---

[8] القلادة : ما يجعل في العنق من حلي ونحوه.

عندك خير فليكن أهلك هم أوّل المنتفعين من هذا الخير؛ لأنهم هم الذين معك ليلاً ونهارًا وسرًّا وعلانية، إن حزنت حزنوا معك، وإن فرحت فرحوا معك، فخير الناس عند الله من كان خيره وبره ونفعه لأهل بيته، ليس في دنياهم فقط، بل في دنياهم وفي دينهم على حدّ سواء.

وتقول عنه عائشة : كان يرقع ثوبه ويحلب شاته ويخصف نعله (يعني يصلح نعله إذا انقطع) تقول فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة.

وبعض الأزواج يرى أنه لو ساعد امرأته في البيت فهذا يخل برجولته يقول مستنكرا أنا رجل أنا أقف في المطبخ ؟! فماذا للنساء ؟!

سبحان الله العظيم قد فعلها من هو خير منك قدوتك رسول الله ﷺ سيد ولد آدم سيد العالمين كان يفعلها فقد كان متواضعا حليما رفيقا في بيته.

إني لأعرف رضاك من سخطك:

يقول لعائشة إني لأعرف رضاك من سخطك: قالت: قلت: وكيف تعرف ذاك يا رسول الله؟ قال: إذا كنت راضية قلت: بلى ورب محمد، وإذا كنت ساخطة قلت: لا ورب إبراهيم قالت: أجل، لست أهجر إلا اسمك يا رسول الله.

ومعنى قولها : "ما أهجر"، أي: ما أترك "إلا اسمك"؛ لغضبي حال غيرتي عليك، ولكن المحبة ثابتة لك لا تتغير بحال.

وفي القصة بيان أن الرضا والغضب بين الأزواج طباع بشرية تقع بين الناس جميعا حتى بين الأنبياء ونسائهم، فينبغي الرفق في معرفة الأسباب وحلها.

أشركاني في سِلمِكما كما أشركتُماني في حربكما:

وجاء أبو بكر يستأذن على النبيَّ ﷺ فسَمِع عائشةَ – رضي الله عنها – وهي رافعةٌ صوتَها على رسولِ الله ﷺ فأذِن له، فدخل فقال: يا ابنةَ أمِّ رُومان – وتناولها – أتَرْفعين صوتَكِ على رسول الله ﷺ ؟! فحالَ النبيُّ ﷺ بينه وبينها، قال: فلَمَّا خرَج أبو بكر جعَل النبيُّ ﷺ يقول لها يتراضها: (ألاَ تَرَين أني قد حُلْتُ بيْن الرجل وبيْنَك؟)

ثم جاء أبو بكر فاستأذن عليه، فوجَدَه يضاحكها، قال: فأذن له فدخَل، فقال له أبو بكر: يا رسولَ الله، أشْرِكاني في سِلْمِكما كما أشْركتُماني في حَرْبِكما.

فانظرْ إلى النبيّ ﷺ القُدوة؛ كيف أنَّه يُحادِث عائشة – رضي الله عنها – وهي

ترْفَع صوتها عليه، ومع ذلك لم يُغضِبْه ذلك ولم يتبرَّم، فالعاقل مَن يستطيع أن يُوازنَ بيْن أموره، ومَن كَرِه خُلقًا رَضِي آخَر، وخطأ اليوم يُصلح في غدٍ، ثُمَّ انظر إلى الصِّدِّيق لم يعجبْه أن ترفع ابنتُه صوتها على رسولِ الله – ﷺ – فهَمَّ بها، فحال النبيُّ ﷺ بينه وبين عائشة – رضي الله عنها – ثمَّ جعَل يسترضيها فرَضِيت، هل يضرُّ رسولَ الله ﷺ أن ترضَى أو تغضَب عائشة؟! كلاَّ والله، بل إنَّ رِضاه هو – عليه الصلاة والسلام – هو المعتبَر، ولكن هذا درسٌ لنا معاشرَ الأزواج؛ حتى نتفَّهمَ طبيعةَ المرأة.

غارت أمُّكم:

وكان النبيُّ ﷺ عندَ بعض نسائه، فأرسَلتْ إحْدى أمَّهات المؤمنين بصَحْفَة (طبق) فيها طعامٌ، فضربتِ التي النبيُّ ﷺ في بيتها يدَ الخادم،(وكانت عائشة) فسقطَتِ الصَّحْفة، فانفلقتْ، فجمَع النبيُّ ﷺ فَلَقَ الصَّحْفة، ثم جعَل يجمع فيها الطعامَ الذي كان في الصحفة، ويقول: (غارَتْ أمُّكم)، ثم حبَس الخادم حتى أُتِي بصَحْفة مِن عند التي هو في بيْتها، فدَفَع الصَّحْفة الصحيحةَ إلى التي كُسِرتْ صَحفتُها، وأمْسَك المكسورَة في بيْت التي كَسَرَت.

النبي يسابق عائشة:

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر، وهي جارية (صغيرة) ، قالت : " لم أحمل اللحم ، ولم أبدن "فقال لأصحابه : تقدموا ، فتقدموا ، فقال تعالي أسابقك ! فسابقته فسبقته على رِجلَيّ ، قالت :حتى إذا حملت اللحم ، وبدنت، ونسيت ، خرجت معه في سفر ، فقال لأصحابه : تقدموا ، فتقدموا، ثم قال: تعالي أسابقك ، ونسيت الذي كان، وقد حملت اللحم ، فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله ، وأنا على هذه الحال ؟ فقال: لتفعلن.

فسابقته فسبقني ، فجعل يضحك وقال: هذه بتلك السبقة.

رابعا/ النبي مع أصحابه

هذا معاملته مع زوجاته أما معاملته مع أصحابه فكان واحدا منهم يجلس حيث ينتهي به المجلس ويدخل الداخل فيقول : أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ؟

وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ ، لم يميز نفسه عن أصحابه، لا بلباس، ولا بأبهة، ولا بطريقة معيّنة في مجلسه ولا في مظهره، ما جعل الرجل يسأل عنه بين صحبه في مسجده (أيُّكم محمد؟)

وقال أبو هريرة : "كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهري أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن نجعل له مجلسًا يَعرفه الغريب إذا أتاه. قال: فبنينا له دُكانًا من طين فجلس عليه، وكنا نجلس بجنبتيه" (رواه أبو داود والنسائي)

والدُّكان هو الدَّكة المصنوعة للجلوس عليها.

وكان إذا جلس للطعام ﷺ يقول : (أنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد)

معاذ يسجد لرسول الله :

لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ ، قال: (ما هذا يا معاذ ؟)

قال : أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم ، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك ، فقال رسول الله ﷺ : (فلا تفعلوا ، فإني لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لغير الله ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)

أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد:

ومر رسول الله ﷺ، برجل فأخذته رعدة، فقال رسول الله ﷺ: "هون عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد"

أي أن هذا الرجل هاب الرسول، وهو حقا ذو هيبة عظيمة، كما قال عمرو بن العاص : وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه؛ إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت، لأني لم أكن أملأ عيني منه.

فهون النبي على الرجل وقال إنما أنا بشر عادي مثلكم، لا تعظموني ولا تخرجوني عن بشريتي، وأمي امرأة من قريش، مثلها مثل باقي النساء، كانت تأكل القديد (اللحم المقطع المجفف).

بأبي أنت وأمي يا رسول الله، وأنت ترسم بهذا الحديث منهج التواضع للشخص الذي قد ينظر إليه بهالة وهيبة، لئلا يرى نفسه على الناس، فكلنا بشر عاديون، والمنهج القرآني في التفاضل هو: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: 13]

والسيرة النبوية زاخرة بالمواقف الدالة على إنسانيته ﷺ ، ورقة مشاعره وعظمة أخلاقه مع أبنائه وأحفاده ومع زوجاته ومع أصحابه ، ومع الناس جميعا

بما يضيق المقام عن الإحاطة به.

أسأل الله أن يرزقنا حب نبينا وحب سنته

وأن نكون مقتدين به في كل أمورنا ،

وأن يفرح بنا قلب نبينا ،

وأن يجعلنا رفقة حبيبه في الفردوس الأعلى من الجنة.

****

(5)

"وإنك لعلى خلق عظيم"

عناصر الخطبة:

أولا /﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

ثانيا /تواضعه ﷺ وزهده في الدنيا

ثالثا/ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

(5)"وإنك لعلى خلق عظيم"

عناصر الخطبة:

أولا /﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

ثانيا /تواضعه ﷺ وزهده في الدنيا

ثالثا/ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

أولا /﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]

هذه الآية المباركة خاطب الله تعالى بها نبينا ﷺ مثنيا عليه في خُلُقه، وثناء الله جل في علاه على عبد من عباده هذا شرف أيما شرف.

وروي مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم قالت لمن سألها) :ألست تقرأ القرآن؟ كان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن).

وفي دنيا الناس عندما يعطي أحد الملوك أو أحد الرؤساء لقبا لأحد الناس يكون له درجة وتشريف وحضور ومكانة.

وكان في القديم أيام الخلافة العثمانية لقب الباشا، ولقب الأعيان في بعض البلاد العربية، وفي إنجلترا لقب اللورد، وهذه ألقاب يسعد بها الناس، ويشرفون بها، وتكون لهم مكانة اجتماعية وسياسية في بلادهم، فما بالك بهذا اللقب وهذا الوسام العالي من رب العالمين جل جلاله لنبينا ﷺ؟!!

وثناء الله تعالى على نبينا إشارة إلى مكانته عند رب العالمين، ومدح الله لنبيه في أخلاقه هو لفت لأنظارنا لنسأل ما هي أخلاقه العظيمة التي أثنى عليه الله بها؟

النبي ﷺ كان يقيم الليل حتى تتورم قدماه.... وجاهد في سبيل الله مبلّغا دعوته في مكة ، وفي المدينة في ثلاث وعشرين سنة جهاد دائم متواصل بلا انقطاع، فلماذا خص الله عز وجل الثناء عليه بأخلاقه؟

لأن الأخلاق هي ثمرة العبادات، فالهدف من العبادات تنقية القلب وتزكيته وتطهيره، فإذا زكي القلب وطهر فإن ذلك ينتج أخلاقا طيبة.

ولذلك حينما تجد إنسانا في جانب العبادة ما شاء الله وفي جانب الأخلاق أعوذ بالله ، لابد وأن نتساءل هل عباداته فعلا صحيحة؟

هل عنده نية مدخولة؟ (يعني عنده رياء أو مرض في القلب)

لأن العلماء دائما يقولون : إن النتائج تنسجم مع المقدمات ، فالمقدمة عبد طائع لله... يصلي الجماعة ، يقرأ القرآن، يصل الرحم ...الخ.
النتيجة تحسن أخلاقه.

قال تعالى:﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [العنكبوت: 45]

، وقال : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة: 103]

ولما قالوا: (يا رسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها؟ قال: هي في النار.
قالوا: يا رسول الله، فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها، وإنها تتصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها؟
قال: هي في الجنة.) صحيح الترغيب

"وتتصدق بأثوار" أي: القطع من الأقط، وهو اللبن المجفف.

فهذا إشارة إلى معنى هام وهو أن العبادات ثمرتها الصحيحة أخلاق، فالعبادات المقبولة، علامة قبولها أخلاق طيبة بين الناس، وهذا الذي أشار إليه نبينا ﷺ عندما قال:**(إنَّكم لن تَسَعُوا النَّاسَ بأموالِكم ولكنْ يَسَعُهم منكم بسطُ الوجهِ وحُسنُ الخُلُقِ)** أخرجه ابن أبي شيبة وسنده ضعيف.

ما السر في ذلك؟

السر هو أن العبادة بيني وبين الله، كل واحد فينا لن ينتفع من عبادة الآخر، هذا شأن بيني وبين الله عز وجل.، أما الأخلاق فهي المحك الذي يدور عليه تعاملات الناس، فأنت لما تعاملني بالصدق يصبح عندي ارتياح وطمأنينة، لكن لما تعاملني بالغش والكذب فأنا لن آمنك على شيء قليل أو كثير، ونفس الحال في أمور كثيرة في حياتنا.

ولو أردنا أن نتكلم عن النبي ﷺ وقدره ومكانته عند رب العالمين لطال بنا

المقام، لكن يكفينا أن نعلم أنه خير خلق الله، سيد ولد آدم، رفعه الله في مكان لم يصله مخلوق، **(عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى)** [النجم 14:16]

دعاؤه ﷺ ربه أن يرزقه حسن الخلق

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه أن يرزقه حسن الخلق، ويدعو ربه تبارك وتعالى أن يحسن خلقه:

عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول :(اللهم أحسنت خلْقي فأحسن خُلقي).

وكان صلى الله عليه وسلم يدعو في دعائه في قيام الليل : (اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها إلا أنت)

وإذا كان صلى الله عليه وسلم يسأل ربه تبارك وتعالى ويستعين به على أن يرزقه حسن الخلق، وعلى أن يحسّن خلقه، فنحن أحوج ما نكون إلى أن نترقى في مكارم الأخلاق، وأن نتعلم من حسن خلقه ﷺ.

ثانيا /تواضعه ﷺ وزهده في الدنيا

ومع هذا الشرف الكبير كان رسول الله ﷺ يفيض رحمة وتواضعا بين الناس بشكل لا تتخيله، فقد درج الناس أن الملوك والرؤساء والسادة يكون لهم وضعية في التعامل وفي الخطاب ، وفي الحركة وكل شيء بحضرتهم يكون بحساب، وكل كلمة بحساب، أما نبينا ﷺ فكان يخالط أصحابه ، ويكلمهم لا يتعالى، ولا يترفع ، ولا يجعل لنفسه حاجزا بينه وبين الناس، وكان إذا دخل المسجد يجلس حيث ينتهي به المجلس، فيدخل الداخل ويقول أيكم محمد؟ أين محمد؟ لأنهم اعتادوا في مجتمعهم حتى رؤساء القبائل أو شيوخ القبائل كان لهم وضعية في المجلس.

أما خير خلق الله فإنه يجلس مع أصحابه كواحد منهم، وكان إذا أراد أن يجلس للطعام مع أصحابه يقول: **إنما أنا عبد اجلس كما يجلس العبد وأكل كما يأكل العبد،** وكان إذا أقبل صلى الله وسلم قام إليه صحابته احتراما وإجلالا له وحق له صلوات ربي وسلامه عليه فيقول لا تفعلوا كما يفعل الأعاجم، ونهاهم أن يقوموا له أبدا.

وقال عنه أنس رضي الله عنه: "خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنوات فما قال لي أفّ قط، وما قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته: لم تركته."

وكان رسول الله ﷺ ذا هيبة، كساه الله جلالا وهيبة؛ لدرجة أن عمرو بن العاص (أسلم سنة 7هجرية) قال **(وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه)**

ورأى رجل النبيﷺ فجأة ارتعد فقال ﷺ: هون عليك يا أخي ، فإنما أنا ابن امرأة من مكة كانت تأكل القديد) [9]

لا تظن اني هبطت من كوكب آخر أو من عالم آخر، أنا واحد منكم.

وهذا معاذ ابن جبل رضي الله عنه لما قدم من الشام سجد للنبي ﷺ قال ما هذا يا معاذ قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك، فقال رسول الله ﷺ: (فلا تفعلوا فإني لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) صححه الألباني في صحيح ابن ماجة.

ودخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ، وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من أدمٍ حشوها ليف... فرأى أثر الحصير في جنبه، فبكى؛ فقال: (ما يبكيك؟) فقال له: "يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله" فقال عليه الصلاة والسلام: (أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة) متفق عليه.

وسادة من أدم: الأدم هو الجلد.

وفي رواية أخرى : (ثم رفعت بصري في بيته فو الله ما رأيت فيه شيئاً يردّ البصر غير أُهبة ثلاثة، فقلت: ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم وُسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله"، وكان متكئا فقال: (أو في

---

[9] والقديد هو اللحم الذي يقطعونه شرائح ثم يعرضونه للشمس وكانت وسيلة من وسائل الحفظ، فلما يجف يحتفظون به ثم بعد ذلك إذا أرادوا تناوله يقومون بغليه في الماء كما هو المعتاد، وهذا كان طعام عامة الناس لأن اللحم لم يكن طعام الأغنياء كما هو متبادر إلى بعض الأعراف هنا لكن كان هو القوت الموجود عند الكثير من الناس.

شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا) متفق عليه.

كان بكاء عمر رضي الله عنه مفاجئاً للنبي ﷺ، الأمر الذي جعله يتساءل عن سرّ بكائه، فقال: "يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله" أَوَ هذا الذي يُبكيك يا عمر ؟، دع طغاة الأرض وملوكها منغمسين في ترفهم فهو متاع قليل.

ولو شاء النبي ﷺ لأجرى الله بين يديه ألوان النعيم، ولكان له من ذلك أوفر الحظّ والنصيب، لكنّه كان راضياً بالقليل، قانعاً باليسير، واضعاً نُصب عينيه قول الحقّ تبارك وتعالى: **{ ورزق ربك خير وأبقى}** (طه : 131).

ويروي لنا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال عن نفسه: (إن عبداً عُرضت عليه الدنيا وزينتها فاختار الآخرة) رواه أحمد.

ونزل إليه ذات مرّة ملكٌ من السماء فقال له: " إن الله يخيّرك بين أن تكون عبداً نبيّاً، وبين أن تكون ملكاً نبيّا "، فأجاب: (بل أكون عبداً نبياً) رواه البخاري في تاريخه.

وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) متفق عليه.

ثالثا/ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]

خلق الله مخلوقا هو محمد ﷺ، وجعل رحمته تفيض على العالمين إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله.
رحمته في منهجه وفي اخلاقه وفي دعوته، رحمة بالصغير والكبير، كان يلاعب الصبيان وكان يحملهم.

وكانت الجارية تأخذ بيده حيث شاءت من المدينة ليقضي لها النبي ﷺ حاجتها، وكان يدخل الى الصلاة يحمل حفيدته أمامة فيصلي بها.

وكان يصلي يوما فاعتلى ظهره الحسن حفيده، فما زال ساجدا ﷺ حتى انتهى الحسن، ونزل من على ظهر جده، وقال إن ابني هذا ارتحلني [10] فكرهت أن أعجله)

---

[10] من يركب الجمل يسمى مرتحل

كره النبي ﷺ أن يعتدل من سجوده، فهذا طفل صغير لا يتماسك ربما انقلب على رأسه فأصابه مكروه، فظل ساجدا ليعلم الصحابة الرحمة بالصغير والكبير.

وأراد ﷺ أن يصلي يوما فيطيل، فسمع بكاء طفل صغير فقصر القراءة والصلاة وقال : **(إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها ، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي ، كراهية أن أشق على أمه »** أخرجه البخاري.

هكذا كان صلوات ربي وسلامه عليه رحمة تفيض على الكبير والصغير.

ويحكي عبد الله بن جعفر رضي الله عنه: أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل حائطاً فرأى جملاً، فحن الجمل لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إليه فأقبل إليه ومسح ذفراه، ثم سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أين صاحب الجمل؟
فجاء شاب من الأنصار فقال: أنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اتق الله فإنه شكا إليّ أنك تجيعه وتدئبه)

يجد النبي صلى الله عليه وسلم وهو صاحب القلب المليء بهموم الأمة كلها يجد في قلبه صلى الله عليه وسلم مكاناً لأن يعتني بشأن بهيمة من البهائم، وكأن هذا الجمل قد أدرك حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم أنه لن يعدم مكاناً لدى هذا الرجل العظيم، ثم يأتي صلى الله عليه وسلم فيسأل عن صاحبه؟ ويوصيه به خيراً.

وعن عبدالله بن مسعود قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فانطلق لحاجته فرأينا حمرة (طائر) معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها.

ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: من حرق هذه؟ قلنا: نحن. قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار»

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم بأمته أن يدعو: (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه).

أخ كريم وابن أخ كريم:

الذين يتكلمون عن الإسلام ويقولون إنه دين الوحشية وكذا ؛ نقول لهم لقد عاد

النبي ﷺ إلى مكة بعد ثمان سنوات من هجرته وهم الذين آذوه وفعلوا ما فعلوا به ، وكان أهل مكة في هذا الوقت في وضع الانهزام ، وقف النبي حوله عشرة آلاف جندي رهن إشارته، فقال لأهل مكة: **ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا خيرا؛ أخ كريم وابن أخ كريم!!!**

الآن وهو في وضع القوة صار أخا كريما؟! ومن قبل كان مجنونا وساحرا وشاعرا، وقالوا ما قالوا فيه ﷺ ، لكنه كان لا يعرف الانتقام لنفسه، ما كان يعرف الدماء ولا الوحشية.

إنما قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء وتمثل كلمة يوسف لإخوته ﴿**قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ [يوسف: 92]لا تثريب أي يعني لا لوم ولا عتاب.

لم يمسكهم واحدا واحدا يحاسبهم، ويقول أنت قلت يوم كذا فيا كذا وأنت فعلت كذا وأنت كذا إنما عفا عن الجميع، ووسعهم بعفو الإسلام وسماحته؛ فدخل الناس في دين الله أفواجا، والدليل على ذلك أنه في فتح مكة جيش المسلمين كان عشرة آلاف هذا في رمضان سنة 8 هجرية ، في شهر رجب سنة 9هجرية خرج النبي ﷺ إلى غزوة تبوك ، وكان قوام الجيش ثلاثين ألفا .
تخيل الجيش يتضاعف ثلاثة أضعاف في أقل من عام، وهذا يبين كيف أن النبي ﷺ برحمته وبأخلاقه مع أعدائه ومع المؤمنين ومع الناس والكبير والصغير دان له الناس.

فهذا بيان كيف أن الإسلام انتشر بهذه الأخلاق الكريمة وأن الإسلام عقيدة ندين بها لله، لا تفرض بإغراء مادي، ولا باكراه على قتل أو أذى أو ضرب، إنما من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

يقول أحمد شوقي:

فإذا سخوت بلغت بالجود المدى وفعلت ما لا تفعل الكرماء
وإذا عفوت فقادراً ومقدراً لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا رحمت فأنت أم أو أب هذان في الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبت فإنما هي غضبة للحق لا ضغن ولا بغضاء
وإذا رضيت فذاك في مرضاته ورضا الكثير تحلم ورياء

وإذا خطبت فللمنابر هزة تعرو الندي وللقلوب بكاء

إن رب العالمين أراد أن تتجسد الاخلاق العظيمة في نبينا الكريم ﷺ، وأشار الى هذا المعنى بهذه الآية المباركة لنكون إن شاء الله تعالى خير خلف لخير سلف، ونتخذ نبينا قدوة في رحمته في تواضعه في عفوه في حلمه في سعيه لهداية الناس، صلوات ربي وسلامه عليه.

وفي الختام فهذه كانت إشارات سريعة لخلقه ﷺ وفيما ذكر الفائدة إن شاء الله.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا صدق اتباعه ﷺ
وأن يقبضنا على ملته

وأن يحشرنا إلى الجنة معه في زمرته

اللهم امين.

****

(٥)

جوانب العظمة في:

-حياة الرسول -ﷺ

عناصر الخطبة

الحديث عن عظمة الرسول ﷺ

من ثلاثة جوانب:

الجانب الأول :الأخلاق الفاضلة.

الجانب الثاني : القدوة الحسنة.

الجانب الثالث :المنهج التربوي.

(6)جوانب العظمة في حياة الرسول ﷺ

حينما نتكلم عن العظماء فإننا بذلك نستشرف للتعرف على هذه النماذج التي قدمت للبشرية عطاء كبيرا ونفعا عظيما .

وكل العظماء في كفة ، ورسول الله في كفة فمهما تكلمنا عن عظمته ﷺ فإن الأنفاس تنقطع عند الشرف الكبير الذي شرفه الله تعالى به وهو شرف الوحي ، قال تعالى : **(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي)** [الكهف/110]
فالوحي من الله عز وجل هو الشرف الكبير الذي تميز به رسول الله ، فهو الذي تنزل عليه نور السماء.

وحينما يتكلم المؤرخون عن العظماء يبرزون جانب الذكاء والنبوغ الفطري والعبقرية ، لكننا عندما نتكلم عن الرسول ﷺ فيكفينا أن نقول أنه خير خلق الله وأعلاهم قدرا وشرفا ، وأنه الذي اصطفاه الله وخصه بتبليغ وحيه إلى خلقه.

عناصر الخطبة

الحديث عن عظمة الرسول ﷺ من ثلاثة جوانب:

الجانب الأول :الأخلاق الفاضلة.

الجانب الثاني : القدوة الحسنة.

الجانب الثالث :المنهج التربوي.

الجانب الأول :الأخلاق الفاضلة:

وهذا من أهم الجوانب ، ونحتاج نحن أتباع النبي ﷺ محمد أن نستوعبه ،لأن الملاحظ تاريخيا أن الكثيرين ممن دخلوا الإسلام لم يدخلوه طمعا في أموال ولا بقوة حجتنا في المناظرة ، إنما أوسع وأكبر باب دخل منه الكثيرون في دين الله عز وجل هو باب الأخلاق الفاضلة.

وإنك لعلى خلق عظيم:

ومهما مدح المادحون في شخص نبينا ﷺ لن يبلغوا قول الله لنبينا **(وإنك لعلى خلق عظيم)** [القلم/4] فلم يمدح فيه طول صلاته ولا قيامه ولا كثرة صيامه ؛ إنما مدحه في أخلاقه.

وقد رأيت بعيني هنا في كندا حينما أسأل من يعتنق الإسلام ما سبب دخولك في الإسلام ؟

قليل منهم من دخل عن طريق الدراسة والبحث ، وآخر دخل الإسلام متأثرا بصديق ، لكن الأكثرية منهم تأثر بموقف أخلاقي لمسلم حدث معه فغير مجرى حياته.

العبادات لها ثمرة أخلاقية:

ولا أبالغ إن قلت إن العبادات التي أمرنا الله سبحانه وتعالى بها لها ثمرة أخلاقية ، فنقرأ قوله تعالى : **(وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)** [العنكبوت/45]

وقال عن الزكاة : **(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)** [التوبة/103] فمن يخرج زكاته يطهره الله من قسوة القلب والبخل والكبر، والأنانية وحب الذات، ويغرس في نفس المذكي الرحمة والتواضع وحب فعل الخير ومنفعة الناس.

وفي الصيام ثمرته **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)** (البقرة/183]

فالثمرة هي لعلكم تتقون ، ولذلك قال النبي ﷺ **(من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)**

وفي الحج قال : (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) [البقرة/197]

فثمرات العبادات ثمرات أخلاقية تنطبع على السلوك ، فحينما ترى عابدا سيء الأخلاق مع الناس فاعلم أن عبادته فيها خلل ، خلل في النية أو في الأداء ، فلا يعقل أن يكون هناك من يركع ويسجد لله، وعنده خلل في المعاملة ، أو يستحل المال الحرام فيسرق أموال الناس بالنصب أو بالغش والكذب لا يعقل هذا ، فلا بد وأن هناك خللا أدى إلى ذلك.

فكان الرسول ﷺ معروفا بحسن أخلاقه وكان يلقب قبل الإسلام بين قومه بالصادق الأمين ، وهذا لقب كبير في مجتمع الكلمة العليا فيه للأقوياء فقط ، حتى لما أراد المشركون أن ينالوا من شخصه ببعض التهم الباهتة الكاذبة فقالوا : ساحر شاعر مجنون كاهن ؛ لم يستطيعوا أن يقولوا عليه أي وصف سيء

من الناحية الأخلاقية.

ولعلكم تتعجبون أنه رغم هذه الحملات القائمة على تشويه الرسول ﷺ إلا أنهم كانوا لا يزالون يأتمنونه على ودائعهم .

والنبي ﷺ لما أراد الهجرة أبقى عليا بن أبي طالب رضي الله عنه فترة بمكة ليرد الودائع إلى أهلها ، فلم ينتهزها فرصة أنه مغادر للبلد كلها ويستولى على أموالهم حاشاه أن يفعل ذلك ﷺ.

فالله حرم علينا أكل الحرام مع المسلم وغير المسلم وحرم الغش أيضا مع المسلم وغير المسلم ، أقول هذا لأن البعض يفسر النصوص النبوية على مزاجه ويقول النبي يقول : **"من غش أمتى فليس منا "** فلا بأس بغش غيرنا ولهؤلاء أقول هل الإسلام يكيل بمكيالين ؟

والحديث ورد بثلاث روايات:

1-من غشنا فليس منا

2-مَنْ غَشَّ ، فَلَيْسَ مِنِّي.

3-من غشَّ المسلمين فليس منهم.

فالغش حرام على المسلم في جميع معاملاته؛ مع المسلمين وغيرهم.

أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ:

لما فتح النبي مكة لم تجر أرضها بالدماء ، ولم يعد مع عشرة آلاف جندي من أتباعه لينتقم ، ولو أوراد بإشارة واحدة قتل هؤلاء انتقاما منهم لجرائمهم وأفعالهم معه هو وأصحابه لأيده الكثيرون في ذلك ؛ لكنه قال لأهل مكة:

ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا: خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: فإني أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، قال اذهبوا فأنتم الطلقاء .

الآن عادوا لمدحه بما يستحق **أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ** ؛ بعد أن قالوا ساحر وشاعر ...الخ ، ولكنه نبي الرحمة الذي لا يعرف الوحشية ولا الانتقام . فعفا النبي ﷺ عن الجميع ليعيش الجميع في سلام.
دخل النبي ﷺ مكة في 20 رمضان 10هـ ومعه 10 آلاف وخرج في شهر شوال لغزوة حنين ومعه 12 ألف مقاتل ، سبحان الله العظيم!!!

فالمعاملة الطيبة والأخلاق الكريمة هي من أفضل أبواب الدعوة إلى الله وتعريف الناس بهذا الدين .

ولن يختلف اثنان على أن البسمة في وجه الناس ، والكلمة الطيبة و حسن المعاملة لها أبلغ الأثر في قلوب الناس، فهذا نبينا كان لينا هينا سهلا ﷺ مع الناس ، قال تعالى : **(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)** [آل عمران/159]

الثاني من جوانب العظمة : القدوة الحسنة:

قال تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) [الأحزاب/21]

والأسوة أي القدوة ، وجاء لفظ (حسنة) نكرة لإفادة التعميم إشارة إلى أنه قدوة لجميع المسلمين باختلاف أنواعهم وطبقاتهم ، ولو تأملنا حياته لرأينا أنه تقلب في كل الأحوال والابتلاءات : نشأ يتيما ، عمل برعي الغنم ، ثم التجارة ، وهو قدوة للاب ، والزوج، والجد والداعية ، والمعلم ، والحاكم ، والقائد العسكري....الخ ، ليتحقق معنى القدوة الكامل فيه ﷺ
لو قلنا مثلا لأتباع عيسى عليه السلام : ما هي القدوة في عيسى كزوج ؟ المسيح لم يتزوج، بالتالي فالقدوة هنا معدومة.

والقرآن أبرز جوانب معينة في الأنبياء كأيوب في الصبر وموسى نموذج الداعية في مواجهة الطاغية ، وهكذا لكن القدوة الكاملة نراها في النبي ﷺ

حكمة إرسال الرسول بشرا:

ولاحظوا أن الله أرسل الرسول بشرا لهذا المعنى وهو تحقيق الاقتداء به ﷺ فكان المشركون يتعجبون قائلين: **(لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك)** [هود/12] فالله أراد أن ينزل منهجا يقوم الرسول بتطبيقه ليكون قدوة لأتباعه ، وليس مجرد تعليمات تبقى حبرا على ورق.

البعض يتصور أن الرسول ﷺ كان جالسا على كرسي يتكلم ليل نهارا قال رسول الله ﷺ وقال رسول الله .... كلا، كان رسول الله يتكلم وينصح ويفعل ويتحرك ويطبق القرآن **(كان قرآنا يمشي)**
ولذلك عرف العلماء السنة بأنها: هي كل ما نقل عن رسول الله من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

غالب السنة المنقولة إلينا فعلية فيها أفعال ومواقف النبي ﷺ ، والصحابة لم

يقصروا في نقل كل ذلك لنا ، فالقدوة في رسول الله ليست مستحيلة بل هي ممكنة ، وليست صعبة .

فلو فرضنا جدلا أن تارك الصلاة أوقف بين يدي الله وسأله يوم القيامة : لماذا لم تصلي ؟ سيقول معتذرا يا رب أرسلت إلينا رسولا ملكا كان لا يتعب من الركوع والسجود ركع ليلة كاملة وسجد يوما كاملا ، وبقي قائما أسبوع فلم أستطع ذلك لأن ظهري كان يؤلمني ورأسي كذلك!!!

وأنت لماذا لم تصم شهر رمضان ؟ يا رب لقد أرسلت إلينا ملكا لا يأكل ولا يشرب أنا صمت إلى الظهر فلم أستطع إكمال اليوم!!!

وأنت لم وقعت في الزنا ؟ يا رب أرسلت إلينا ملكا رسولا لا حاجة له في النساء لكن أنا لم أستطع فغلبتني شهوتي ووقعت في هذا الأمر!!

لكن الله أرسل رسولا بشرا مثلنا يأكل ويشرب ويصح ويمرض وينام ويستيقظ شأنه شأن سائر البشر ﷺ فالمريض يقتدي به في مرضه ، والفقير والغني ...الخ.

فحينما يقال لمن لا يصلي لماذا لا تصلي، وقدوتك رسول وصل به الأمر إلى أنه كان يصلي حتى تتورم قدماه ، فأصابته العوارض البشرية بحكم طول قيامه ﷺ

والمريض يقتدي به في مرضه وصبره واحتسابه، **ولذلك لما دخل ابن مسعود عليه وهو يُوعَك، فقال: يا رسول الله، إنك تُوعَك وعْكاً شديداً، قال :أجل، إني أُوعَك كما يوعك رجلان منكم قلت: ذلك أن لك أجرين؟ قال :أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى، شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته، وحُطت عنه ذنوبه كما تَحُطُّ الشجرةُ ورقها.**

فلا يبقى لصاحب عذر عذرا فيحتج على الله بأي عذر كاذب ، **قال تعالى : (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) [النساء/165]**

فمن أبرز جوانب العظمة في رسول الله ﷺ أنه ليس قدوة مستحيلة فوق طاقات وقدرات الناس إنما كما قال: **(أنا أعلمُكُم باللَّهِ وأخشاكم له و لكنّي أقومُ و أنامُ وأصومُ و أفطِرُ و أتزوَّجُ النِّساءَ فمَن رغِبَ عن سُنَّتي فليسَ منِّي)**

أسرع طرق التربية القدوة:

علماء التربية يقولون : إن التربية بالقدوة أسرع طريقة من طرق التربية لأن الناس يفهمون بعيونهم أكثر من آذانهم، لما ترى موقف عملي متجسد أمامك الكل يتساوى في الرؤية ، الكل يرى ، لكن حينما تتكلم فالناس يتفاوتون في الوعي والإدراك لما قيل ولما يسمع ، والاستجابة بعد رؤية العمل وهو يطبق تأتي أسرع من سماع الكلام فقط

الجانب الثالث : المنهج الذي ربى عليه أصحابه

نتكلم عنه في الخطبة المقبلة إن شاء الله.

خلاصة الخطبة:

1-العظمة الحقيقية للرسول ﷺ تكمن في كونه خير خلق الله شرفه الله بالوحي.

2-دخول كثير من الناس للإسلام كان بسبب الأخلاق الحسنة للمسلمين، وليس فقط المناظرة أو الدراسة.

3-العبادات هدفها ثمرات أخلاقية كالتواضع، والرحمة، وترك المنكرات.

4-النبي ﷺ عفا عن أهل مكة بعد الفتح رغم ما لاقاه من ظلم، وهو مثال للرحمة وعدم الانتقام.

5-البسمة والكلمة الطيبة واللين من صفاته ﷺ، مما يجعل الأخلاق الطيبة من أفضل أبواب الدعوة.

6-الله أمر بالاقتداء بالرسول ﷺ لأنه أسوة حسنة لكل المسلمين .

7-النبي ﷺ كان بشراً مثلنا لتحقيق الاقتداء به.

8-القدوة في النبي ﷺ ليست صعبة ولا مستحيلة، بل واقعية وقابلة للتطبيق.

9-التربية بالقدوة أسرع وأسهل من التربية بالكلام فقط، لأنها تظهر بالعمل الملموس.

(7)

كيف ربى الرسول ﷺ أصحابه ؟

عناصر الخطبة:

أولا / ربى النبي ﷺ أصحابه على حب الله ورسوله

ثانيا/ ملك قلوبهم بتواضعه

ثالثا / استشارته لأصحابه

في المعاملة رابعا / الرفق واللين

خامسا/ غرس فيهم حب بعضهم لبعض

سادسا / تشجيعهم على ترك الدنيا والتنافس على الخير

(7)كيف ربى الرسول ﷺ أصحابه ؟

تكلمنا الأسبوع الماضي عن جوانب العظمة في شخصية الرسول ﷺ وقلنا أننا سنركز الحديث عن ثلاثة جوانب: تكلمنا عن اثنين الخطبة الماضية، وهما :

الجانب الأول :الأخلاق الفاضلة.

الجانب الثاني : القدوة الحسنة.

ونتناول اليوم: الجانب الثالث:المنهج التربوي الذي ربى عليه أصحابه.

تمهيد:

كيف ربى الرسول أصحابه حتى بلغوا ما بلغوا من مكانة عظيمة؟
فالعظيم ربى عظماء جاهدوا وصبروا وصابروا حتى أدوا الأمانة إلينا كاملة ، نسأل الله أن نكون خير خلف لخير سلف.

كيف ربى الرسول أصحابه؟

هل رباهم ليكونوا عبيدا يطيعونه بلا نقاش ؟

هل رباهم ليكونوا قطيعا مطيعا ؟

هل رباهم على الخسة والنذالة ؟

هل رباهم على المذلة والفقر ؟

كلا كلا ، هذا حال المتألهين من الحكام الظلمة ، أما رسول الله ﷺ فقد ربى أصحابه أولا على حب الله عز وجل ، ثم على حبه ﷺ حبا إيمانيا لمكانته ﷺ وحبا قلبيا لشخصه ولحسن أخلاقه ، ثم رباهم على حب بعضهم البعض وغرس فيهم الشجاعة والإقدام وحرية الرأي ، وزرع فيهم علو الهمة ، وهذه أبرز معالم المنهج التربوي الذي ربي رسول الله ﷺ عليه أصحابه.

عناصر الخطبة:

أولا / ربى النبي ﷺ أصحابه على حب الله ورسوله

ثانيا/ ملك قلوبهم بتواضعه

ثالثا / استشارته لأصحابه

رابعا / الرفق واللين في المعاملة

خامسا/ غرس فيهم حب بعضهم لبعض

سادسا / تشجيعهم على ترك الدنيا والتنافس على الخير

أولا / ربى النبي ﷺ أصحابه على حب الله ورسوله

رباهم على حب الله:

فأصل المحبة أن تكون في الله ولله، قال تعالى : **(ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله)** [البقرة/165] والذين آمنوا يحبون ربهم أشد من محبة المشركين لأصنامهم التي اتخذوها أندادا من دون الله.

رباهم على حبه ﷺ:

وجاء البيان الإلهي يوضح لنا أن محبة الله تستوجب محبة نبيه فقال : **(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)** [آل عمران/31]

فكل من كان يدخل الإسلام يتربى أولا على هذه المعاني:

أسلمت لله وأعلنت طاعتك وانقيادك لله وأمره، إذن من تمام انقيادك لأمره أن تسمع وتطيع لرسوله ﷺ فهو الذي جاء بالرسالة وبلغها عن الله فبين مراد الحق من الخلق.

فغرس النبي ﷺ هذا الحب في نفوس أصحابه عقيدة وإيمانا ، وغرسه خلقا ومكانة ، فالقلوب تتعلق بأي شخص من ناحيتين:

الأولى : حب بالعاطفة أي يرتبط بالشخص قلبيا.

الثانية : حب بالعقل ،أي يرتبط بالشخص لمكانته وأخلاقه ومواقفه ، لجميله ومعروفه وإحسانه .

والرسول ﷺ كان يجمع كل هذه الصفات ، فارتبط به أصحابه رضوان الله عليهم عاطفيا فكانوا يحبونه ويشتاقون لرؤيته، وارتبطوا به إيمانيا لسماحته وأخلاقه ﷺ وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : **(كان رسول الله ﷺ أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وأهلينا وأحب إلينا من الماء البارد على**

الظمأ)

وقال أنس: (لما دخل رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء ، ولما توفي أظلم منها كل شيء)

وكان عمرو بن العاص يقول: "ما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه."

وقال عمر بن الخطاب: "يا رسول الله! لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي" فقال ﷺ :لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال له عمر: "فإنك الآن أحب إليّ من نفسي". فقال: الآن يا عمر

ويقول أنس : "خدمتُ رسولَ اللهِ ﷺ عشرَ سنينَ ، فما قال لي أُفٍّ قطُّ ، وما قال لي لشيءٍ صنعتُه : لِمَ صنعتَه ، ولا لشيءٍ تركتُه : لِمَ تركتَه ، وكان رسولُ اللهِ من أحسنِ الناسِ خُلُقًا "

وأرسله رسول الله ﷺ لحاجته فتأخر عنه لأنه انشغل باللعب مع الصبيان (كان عمره عشر سنين) فأمسك النبي بأذنه قائلا : **(يا ذا الأذنين!!)**

ثانيا/ ملك قلوبهم بتواضعه

فكان رسول الله ﷺ يربي أصحابه على معنى الحب ، ولم يكن متعاليا ولا متكبرا ، وكانوا أصحابه إذا رأوه قاموا له فنهاهم عن ذلك قائلا : **لا تقوموا إلى كما تقوم الأعاجم.**

وكان يجلس بينهم كواحد منهم، ولا يُعْرَف مجلسه مِن مجلس أصحابه؛ لأنَّه كان يجلس حيث ينتهي به المجلس، ولم يكن يجلس مجلسًا يميزه عمن حوله كما هي عادة الملوك وسادة القبائل، حتى إن الغريب الذي لا يعرفه إذا دخل مجلسًا هو فيه، لم يستطع أن يُفَرِّق بينه وبين أصحابه!! فكان يسأل: «أَيُّكم مُحَمَّدٌ؟! والنبيُّ ﷺ مُتَّكِئٌ بين ظَهْرَانِيهِم.)

وكان ﷺ بساما ضحاكا لم يكن متكلفا ولا متعاليا ولا فظا ولا غليظا.

يقول جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه : ما رآني رسول الله قط إلا وتبسم في وجهي.

وتقول عائشة: كان رسول الله ﷺ بساما ضحاكا هاشّا باشّا

يعني كثير البسمة والبشر والسرور الذي يرى على وجهه ؛ كيف لا وهو

الذي علمنا **"تبسمك في وجه أخيك صدقة".**

وكان ينظر إلى الجالسين بين يديه ﷺ فيظن كل واحد منهم أنه وحده الذي ينظر إليه رسول الله فيستشعر كل واحد أن له مكانة في قلبه ﷺ وكان يسأل كل واحد عن حاله وأهله ، ويدعو له ويترفق بهم جميعا ﷺ فهل رأيتم زعيما في التاريخ كله يحب لهذه الدرجة ؟

قصة زاهر مع رسول الله:

كان هناك أحد الأعراب من البادية اسمه زاهر كان يأتي للنبي ﷺ ببعض الهدايا ويأت ببعض الأشياء يبيعها في السوق والنبي يبادره ببعض الهدايا، فجاء إلى النبي فسأل عليه؛ فلم يكن النبي ببيته فذهب إلى السوق فلما علم النبي بحضوره تبعه حتى جاء من خلفه وجعل يده على عينه يداعبه أو يمازحه ﷺ ، وأهل البادية فيهم خشونة ؛ فقال بغضب: دعني، أتركني وجعل يهز نفسه ويدفع من وراءه، والنبي ﷺ يقول من يشتري العبد؟ من يشتري العبد؟

حتى عرف زاهر الصوت (صوت رسول الله) قال: تجدني والله كاسدا [11]

قال : ولكنك عند الله لست بكاسد.

ثالثا / استشارته لأصحابه

ويحدث الأمر فينادي في أصحابه أشيروا علي أيها الناس ، أشيروا علي أيها الناس!!

لم يقل كما قال الديكتاتور الأول فرعون **(ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد)** [غافر/29]

أشيروا علي أيها الناس!! فيشيرون عليه ﷺ وهو الملهم المؤيد بالوحي النبي الخاتم خير خلق الله ﷺ، ولم يكن ﷺ يحجر على رأي أو يستمسك برأيه ، أو أن يدعي أن الحق معه لا مع غيره أقصد في المشورة ، إنما كان يسمع ويأخذ برأي الأغلبية كما حدث بغزوة أحد لما جمع أصحابه رضي الله عنهم، وشاورهم في البقاء في المدينة والتحصن فيها أو الخروج لملاقاة المشركين، وكان رأي النبي ﷺ البقاء في المدينة، والرأي الآخر لبعض المسلمين ممن كان فاته بدر قالوا: يا رسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا، وكانوا الأغلبية فنزل النبي ﷺ على رأيهم ، ثم دخل رسول الله ﷺ بيته، فلبس لأمته (عدة الحرب)

---

[11] يقصد أنا لا أساوي شيئا ولم يكن رضي الله عنه حسن الخلقة أو وسيما.

فتلاوم القوم فقالوا: عرض نبي الله ﷺ بأمر وعرضتم بغيره، فاذهب يا حمزة فقل لنبي الله ﷺ: (أمرنا لأمرك تبع) فأتى حمزة فقال له: (يا نبي الله إن القوم تلاوموا، فقالوا: أمرنا لأمرك تبع.
فقال رسول الله ﷺ: **(إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل)**

فالرسول ﷺ عوَّد أصحابه على التصريح بآرائهم عند مشاورته لهم حتى ولو خالفت رأيه، فهو إنما يشاورهم فيما لا نص فيه تعويدًا لهم على التفكير في الأمور العامة، ومعالجة مشاكل الأمة، فلا فائدة من المشورة إذا لم تقترن بحرية إبداء الرأي، ولم يحدث أن لام الرسول ﷺ أحدًا؛ لأنه أخطأ في اجتهاده ولم يوفق في رأيه، وكذلك فإن الأخذ بالشورى ملزم للإمام، فلابد أن يطبق الرسول ﷺ التوجيه القرآني: **(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)** [آل عمران: 159]
أما في زماننا فكل من خالف أحد الزعماء السياسيين رموه بأبشع التهم فهو من الخوارج والخونة والعملاء وأعداء الوطن ،وقائمة الاتهامات طويلة كما نعلم ، فربى الرسول في أصحابه العزة والشجاعة والإقدام وحرية التعبير والرأي.

رابعا / الرفق واللين في المعاملة

وكان ﷺ رفيقا لينا ويقول : **(ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه)**

وأتي أعرابي فرأى النبي ﷺ جالسا بناحية من المسجد فذهب إلى الجهة الأخرى فبال فيها، فقام إليه بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ:
"دعوه ولا تُزرموه" قال فلما فرغ دعا بدلو من ماء، فصبه عليه وقال : "أهريقوا على بوله ذنوبا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين، ثم التفت إليه معلما فقال يا أخي : "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله – عز وجل ، والصلاة، وقراءة القرآن".

فلما صلى الرجل دعا قائلا : اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا فقال له النبي ﷺ : لقد حجرت واسعا)

(لا تزرموه): بضم التاء وإسكان الزاي والإزرام القطع، والمعنى لا تقطعوا عليه بوله.

(بدلو من ماء): وفي رواية أخرى **(بذنوب من ماء)** بفتح الذال وضم النون، والذنوب هي الدلو العظيم ولا يسمى ذنوبا إلا إذا كان مملوء بالماء، والدلو فيها لغتان التذكير والتأنيث فتقول (هذه دلو) و (هذا دلو) وكلاهما صحيح.

(أهريقوا على بوله): أي صبوا على بوله.

(لقد حجرت واسعا) يريد ضيقت رحمة الله.

خامسا/ غرس فيهم حب بعضهم لبعض

المجتمع لا يكون متماسكا قويا إذا كان مفككا ، أو كان الارتباط فيه معتمدا على العصبية القبلية ، وهذا من أهم ما يميز الإسلام ، ولو استعرضت المصلين معي الآن في صلاة الجمعة لبلغوا أكثر من عشرين دولة عربية وإسلامية، الرسول نجح في إذابة كل هذه الفوارق تحت لواء الحب في الله ، يقول **:«والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».**

وعن عبد الله بن سلام ، أن النبي ﷺ قال: أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام.

فآخى بين المهاجرين والأنصار وحرص على هذه الوحدة ، ونزع أي فتيل لفتنة أو عصبية .

قصة شاس بن قيس:

مر شاس بن قيس على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من أخوتهم وألفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة يعني الأنصار الأوس والخزرج بهذه البلاد، فأمر رجلا يتبعه قائلا: اعمد إليهم فاجلس معهم فذكرهم يوم بعاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب فتقاولا، وقال بعضهم لبعض: إن شئتم رددناها الآن جذعة، وغضب الفريقان وقالوا: قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الحرة فخرجوا إليها وتحاوز الناس على دعواهم التي كانت في الجاهلية.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه حتى جاءهم فقال: يا معشر المسلمين الله الله.. أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله

إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع عنكم أمر الجاهلية واستنقاذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا؟!

فعرف القوم أنها نزغه من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ .

فأنزل الله تعالى في ذلك ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: 98-99]

وأنزل في الأوس والخزرج ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: 100-101]

فليس في الإسلام عصبية جاهلية فالإسلام لله ليس لعرق أو بلد أو لون أو جنس ، التفاضل عند الله لا يكون إلا بالتقوى والتقوى محلها القلب لا يطلع عليها إلا الله.

فكوّن رسول الله ﷺ مجتمعا قويا متماسكا مستجيبين لأمر الله تعالى في كتابه **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103]**

فجعلهم جميعا على قلب رجل واحد ؛غايتهم من أعلى وأجل الغايات : الجنة .

سادسا / تشجيعهم على ترك الدنيا والتنافس على الخير

ومن الأشياء التي ربى الرسول ﷺ صحابته عليها التنافس على الخير ، فلم يكونوا يتنافسون على الدنيا ، فكانت غايتهم من أعلى وأجل الغايات : الجنة .

فكل شيء في الدنيا لا يساوي شيئا ، وهذا كان واضحا من أول يوم عندما بايعه الأنصار؛ **قال قائلهم : سل يا محمد لربك ما شئت، ثم سل لنفسك ولأصحابك**

ما شئت، ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله عز وجل وعليكم إذا فعلنا ذلك.

فقال: «أسألكم لربي عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأسألكم لنفسي ولأصحابي أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما منعتم منه أنفسكم».

قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: «لكم الجنة». قالوا: فلك ذلك.

لم يقل لكم الملك أو الكنوز؛ إنما كان التنافس من أجل الجنة .

ويقول الرسول الله ﷺ لأصحابه يوما:

(من أصبح منكم اليوم صائما؟) قال أبو بكر: أنا،

قال: (فمن تبع منكم اليوم جنازة؟)، قال أبو بكر: أنا،

قال:(فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟)، قال أبو بكر: أنا،

قال: (فمن عاد منكم اليوم مريضا؟)، قال أبو بكر: أنا،

فقال ﷺ: (ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة)

شكوى فقراء المهاجرين :

عن أبي هريرة: أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور (المال الكثير) بالدرجات العلا والنعيم المقيم قال: وما ذاك؟ قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول الله ﷺ (أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم، وتسبقون من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم، إلا من صنع مثل ما صنعتم؟

قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (تسبحون الله وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة)

فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله؟

فقال رسول الله ﷺ: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)

من يشتري بئر رومة وله الجنة ؟

ولما قدم النبي ﷺ المدينة قال من يشتري بئر رومة وله الجنة ؟ فاشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه من يهودي، وفي الحديث أن عثمان رضي الله

عنه اشترى منه نصفها باثني عشر ألفا على أن يأخذها عثمان يوما واليهودي يوما، فكان الناس يستقون منها في يوم عثمان لليومين فقال اليهودي أفسدت علي بئري فاشتر باقيها فاشتراه بثمانية آلاف .

لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار:

عن أبي سعيد الخدري قال : لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا ، في قريش، وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء؛ وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم ؟ حتى كثرت منهم القالة، حتى قال قائلهم: لقد لقي والله رسول الله قومه.

فدخل عليه سعد بن عبادة ، فقال : يا رسول الله ، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم ، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت ، قسمت في قومك ، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ، ولم يق في هذا الحي من الأنصار منها شيء .

قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟
قال : يا رسول الله ، ما أنا إلا من قومي .
قال : فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة .[12]

قال : فخرج سعد ، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة .
قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم .
فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال : قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار ،

فأتاهم رسول الله ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : يا معشر الأنصار : ما قالة ، بلغتني عنكم ، وجدة وجدتموها علي في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم قالوا : بلى ، الله ورسوله أمن وأفضل .
ثم قال : ألا تجيبونني يا معشر الأنصار ؟

قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ولرسوله المن والفضل .

قال ﷺ : أما والله لو شئتم لقلتم ، فلصدقتكم ولصدقتم : أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسيناك .

أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما

---

[12] المَكانُ المُتَّسِعُ الذي يُحاطُ عليه.

ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟

فوالذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا ، لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار . وأبناء أبناء الأنصار .

قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسما ، وحظا . ثم انصرف رسول الله ﷺ ، وتفرقوا.

الخلاصة:

1-الرسول ﷺ ربى أصحابه على حب الله أولاً ثم حبه ﷺ حبًا إيمانيًا وقلبياً.

2- ربط النبي ﷺ أصحابه بالحب في الله وأخوة الإيمان.

3- كان ﷺ قريبًا منهم بسيطًا لا متعاليًا يجلس حيث يجلسون.

4- كان بسامًا لينًا يحبهم ويحبونه ويعاملهم بلطف ورفق.

5- شجعهم على حرية الرأي والمشاورة ولم يكن ديكتاتوريًا بل كان يستشير أصحابه ويأخذ بآرائهم.

6- ربطهم بالمحبة والتآخي ونزع العصبية القبلية ليكوّن أمة متماسكة.

7-ربى فيهم التنافس على الخير وغايتهم الجنة لا الدنيا.

8- حفّزهم على الصبر والتحمل ومواجهة الصعاب بإيمان قوي.

****

(8)

كيف ربى الرسول ﷺ أصحابه على العزة والكرامة

عناصر الخطبة

أولا: التحرر من العبودية

ثانيا : حل مشكلة الطبقية في المجتمع

ثالثا: حرية التعبير عن الرأي

(8)كيف ربى الرسول ﷺ أصحابه على العزة والكرامة

أرسل الله رسوله الله ﷺ ليخرج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد ، وجاء لتحرير الإنسان من عبودية الإنسان، أو بتعبير آخر: جاء ليعبّد الخلق لله عز وجل وحده.

عناصر الخطبة

أولا: التحرر من العبودية

ثانيا : حل مشكلة الطبقية في المجتمع

ثالثا: حرية التعبير عن الرأي

أولا: التحرر من العبودية

هذه الكلمات التي رددها ربعي بن عامر في سمع الزمان حينما سأله قائد الفرس قبل معركة القادسية ما الذي أتى بكم؟

قال: الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

هذا هو الملخص في كلمات ؛ جاء رسول الله ﷺ ليحرر الناس من العبودية لبعضهم، هذه العبودية إما سببها :

-عبودية الرق: مسألة العبيد والإماء.

-الطبقية والعنصرية بين الأغنياء والفقراء والبيض والسود.

كيف حل مشكلة العبودية الحقيقية :

العبيد والإماء ، كانوا يباعون في الأسواق بلا كرامة ولا آدمية ويعاملون معاملة البهيمة --أعزكم الله- وكان العبد يوّرث شأنه شأن أي متاع يوّرث لا حق له في كرامة ولا آدمية ولا عيش يليق بنفسه وذاتيته كإنسان.

جاء رسول الله ﷺ بهذا الدين العظيم الذي حل مشكلة العبيد وحررهم ورغب في تحريرهم وعتقهم.

وكان يقول ﷺ من باب التكريم: "لا يقل أحدكم عبدي وأمتي، إنما ليقل فتاي

وفتاتي."

نعم حتى لا يشعر العبد أنك متعالٍ أو مترفع عليه تقول:(**فتاي وفتاتي).**

وجاء القرآن الكريم بهذا اللفظ قال : ﴿**وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ** ﴾ [النساء: 25]

يعني من لم يستطع القدرة المالية أن ينكح امرأة حرة فله أن ينكح امرأة من الإماء ، قال : **(من فتياتكم)** لم يقل من إمائكم إنما قال من فتياتكم المؤمنات.

سبحان الله!

والنبي ﷺ قال : " إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم ."

(خولكم) بفتح الواو أي خدمكم وعبيدكم الذين يتخولون أموركم، أي يصلحونها ، ومنه الخولي لمن يقوم بإصلاح البستان.

هكذا جاء الأمر النبوي أن تحسن المعاملة وألا يساء أبدا معاملة أي إنسان أيا كان ... سبحان الله العظيم !!!

وكان ﷺ يعامل الجميع بهذه المبدأ، مبدأ العبودية لله وحده لا لعبد لأحد من البشر.

ثانيا : حل مشكلة الطبقية في المجتمع

جاء الأمر النبوي بأن يكون الناس جميعا سواسية، لا يستعلي جنس على جنس، لأن العرب في مكة كان عندهم حب التفاخر بالأنساب والأحساب والكبر والعلو والزهو بالقبيلة ؛ فجاء الإسلام ليقول لا فرق لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى، إذا كان الفضل بأنك من عائلة كذا أو من قبيلة كذا أو أنت عربي والآخر أعجمي، هذا ليس بفضل، لأن الخالق لنا جميعا هو الله وحده والتفاضل لا يكون بذاك أبدا ؛ إنما التفاضل عند الله بالتقوى.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: 13]

بلال يؤذن فوق الكعبة :

ولذلك عندما صعد بلال رضي الله عنه على ظهر الكعبة يؤذن يوم فتح مكة تكلم بعض الناس فيه؛ وسيدنا بلال نحن نجلّه ونعظمه لكن حتى نفهم كيف نظروا إليه؛ كان بلال عبدا نشأ في العبودية من صغره فكان أبوه عبد وأمه أمة ، ثم ولداه فكان عبدا رضع العبودية من صغره.

وشاء الله أن يعزه بالإسلام ، وقصته وثباته حينما كان يؤذى في الله معلومة ومشهورة، ولما فتحت مكة وصعد بلال فوق ظهر الكعبة يؤذن! قال أحدهم الحمد لله أن مات أبي قبل أن يرى هذا اليوم. ليتنزل الوحي من الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]

(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) ليس أغناكم ولا أرفعكم نسبا ولا الحاصل على شهادة كذا ولا الذي يملك أموال كذا وكذا.

والتقوى ليست شيئا ظاهرا يرى بالأعين؛ وليست عمامة تلبس ولا لحية طويلة ولا عباءة بيضاء مزركشة بشكل معين ؛ التقوى أمر قلبي لا يطلع عليه إلا الله سبحانه وتعالى .

و(التقوى) شيء قلبي، لا يطلع عليه أحد، لا يستطيع إنسان أن يقول أنا عندي مقياس التقوى كذا وأنت عندك المقياس أقل وهذا مقياس أكثر؛ هذا أمر لا يطلع عليه إلا الله سبحانه وتعالى، فجاء رسول الله ﷺ بهذا الدين العظيم ليقول لأي إنسان : لك مكانة في هذا الدين ولك قدم ثابتة راسخة لا فضل لأحد عليك إنما الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

الآن في كندا [13] يحتفلون بوضع صورة لامرأة سوداء قامت وانتفضت ضد العنصرية ، ورفضت أن تقوم من مقاعد السينما المخصصة للبيض فخلدوا الآن هذا الاسم وجعلوها على ورقة الـ 10 دولارات الجديدة لأنها أول امرأة ثارت على العنصرية .[14]

---

[13] كانت هذه الخطبة عام 2018م

[14] تدعى فيولا ديسموند (1914–1965)كانت سيدة أعمال ومدافعة عن الحقوق المدنية من نوفا سكوشا، كندا، عام 1946، رفضت مغادرة مقعد في القسم المخصّص للبيض في أحد دور السينما ، تم سجنها وتغريمها بدعوى تهرب ضريبي (فرق سنت واحد فقط)، لكن الحادثة أصبحت رمزًا ضد التمييز العنصري في كندا، و في عام 2010، حصلت على عفو تام بعد وفاتها ، وعُرض اعتذار رسمي من حكومة نوفا سكوشا، في عام 2018.

فكان الإسلام سباقا في هذا الأمر أنه لا مكان للعنصرية ، وأن الناس لا يتفاضلون بألوانهم أو أشكالهم أو أجناسهم، وكان رسول الله ﷺ يقول للناس : **(كلكم لآدم وآدم من تراب.)**

ضبط الموازين المقلوبة :

ولما طلب أغنياء المشركين من رسول الله ﷺ أن يخصص لهم مجلسا ، وقالوا : لا يليق بنا أن نكون السادة ونجلس مع الفقراء من أصحابك، فخصص لنا مجلسا، وهنا ينزل القرآن معلما ومنبها قال تعالى:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28]

وحرص رسول الله ﷺ على أن يصحح هذه المعني في نفوس الناس:

روى البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال : " مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لرجل عنده جالس : (ما رأيك في هذا ؟) ، فقال : رجل من أشراف الناس ، هذا والله حري إن خطب أن ينكح ، وإن شفع أن يشفع.

قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل آخر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما رأيك في هذا ؟) ، فقال: يا رسول الله ، هذا رجل من فقراء المسلمين ، هذا حري إن خطب ألا ينكح ، وإن شفع ألا يشفع ، وإن قال ألا يسمع لقوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هذا خير من ملء الأرض مثل هذا) .

جاء رسول الله ﷺ ليلغي هذه النظرة المجتمعية الظالمة، أن يتفاضل الناس لا بإنجازاتهم وأعمالهم إنما يتفاضلون بأجناسهم وأموالهم ووجاهتهم؛ فلغى رسول الله هذه العنصرية البغيضة، وجاء الإسلام ليخرج رجالا لا يعتقد لأحد فضلا منه على أحد.

وكان عمر رضي الله عنه وهو من هو في مكانته وقدمه الراسخة في الإسلام

يقول عن بلال وأبي بكر: **أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا** (لأن أبا بكر هو الذي اشترى بلالا وأعتقه لوجه الله).

هكذا خرج رسول الله هؤلاء الرجال الكرام الذين لا يرى أحدهم لنفسه فضلا على أحد أبدا.

جبلة بن الأيهم:

والشيء بالشيء يذكر: في خلافة عمر بن الخطاب كان جبلة بن الأيهم أحد الأمراء في شمال الجزيرة بإمارة صغيرة تابعة للرومان إثمها إمارة غسان، وجاء جبلة وأعلن إسلامه بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فبينما هو يطوف بالكعبة داس أحد المسلمين على إزاره ؛ فما كان منه إلا أن رفع يده وصفعه!!

فذهب الأعرابي إلى أمير المؤمنين يشكو إليه، وبسرعة تم استدعاء جبلة بن الأيهم. أأنت فعلت هذا بالرجل؟

قال نعم. قال إما أن ترضيه وإما أن يقتص منك.

أتسوي بين الأمراء والسوقة؟

قال عمر؟ قال الإسلام سوى بينكما.

قال أمهلني إلى الغد.

ماذا فعل؟ فر في الظلام هاربا حتى لا يقع في هذا الأمر وارتد عن الإسلام وبقي حتى هلك.

متى استعبدتم الناس ؟ !

وكلمة عمر بن الخطاب التي خلدها التاريخ لما سبق أحد المصريين ابن عمرو بن العاص، وكان حاكم مصر سبقه قبطي فضربه وقال أتسبقني وأنا ابن الأكرمين؟ استعز الولد بوالده أمير مصر فماذا فعل الرجل ؟

الرجل يعلم يقينا أن حقه لن يضيع فذهب إلى عمر بن الخطاب مسافة شهر كامل سفر ، لكنه يعلم أن حقه لن يضيع ، وذكر لعمر بن الخطاب القصة . فأرسل عمر رسالة شديدة اللهجة لعمرو بن العاص يستدعيه للمثول للتحقيق

هو وابنه ، ويأخذ الرجل حقه ويقول عمر بن الخطاب كلمته :

متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟ !

ثالثا: حرية التعبير عن الرأي

ربى الرسول ﷺ أصحابه على العزة والكرامة ، وكان لا يتعالى أبدا عن أن يأخذ بمشورتهم ، وما كان أحد منهم يستحي أن يراجع الرسول ﷺ، فتجد الحباب بن المنذر في غزوة بدر يقول: يا رسول الله أمنزل أنزلكه الله أم هو الرأي والحرب والخديعة؟

سلمان الفارسي يقول كنا إذا جاء العدو تخندقنا فيأخذ الرسول بمشورته بحفر الخندق في غزوة الأحزاب.

قصة سواد بن غزية :

سواد بن غزية رضي الله عنه في غزوة بدر، الرسول ﷺ يسوي الصفوف وسواد تقدم عن الصف قليلا، والرسول يريد الانضباط العسكري لبدء المعركة.... سواد متقدم..... الرسول يقول استو يا سواد ويمضي الرسول إلى نهاية الصف فيرجع فيجد سواد كما هو وفي يده عصا قضيب صغير يشير به فضربه على بطنه.
قال لقد أوجعتني يا رسول الله بهذه الضربة!!!
هل يجرؤ جندي من الجنود أن يقول هذه الكلمة لقائده في زماننا؟
لكن ما كان رسول الله يربي عبيدا، كان يربي سادة، كان يربي أعزة، كان يربي رجالا بمعنى الكلمة.
قال خذ العصا أو القضيب واقتص مني. خذ حقك.
قال لقد ضربتني وبطني عارية. الله أكبر! الله أكبر سبحان الله!
فكشف النبي ﷺ عن بطنه ليقوم سواد بن غزية فيمرغ وجهه في بطن رسول الله ﷺ ويقبلها والنبي يقول كفى يا سواد، كفى يا سواد.
يقول يا رسول الله قد حضر ما ترى ولعله آخر عهدي بالدنيا فأردت ألا أفارقها حتى يمس جلدي جلدك يا رسول الله.

أصابت امرأة وأخطأ عمر:

وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر وأصدر قرارا أن لو بلغ المهر حد أربعمئة أوقية سيجعل الباقي في بيت المال.
فقامت امرأة من مكان النساء بآخر المسجد؛ قالت كيف تقول ذلك ورب العزة

يقول : ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء: 20]

هل سكّتها الرجال وقالوا أسكتي يا امرأة كيف تردين على الخليفة؟
هل أخذت هذه المرأة في ظلام الليل هي وزوجها وأهلها وغيبوا في السجون؟
بعد أن نزل عمر صعد المنبر وألغى القانون وقال أصابت امرأة وأخطأ عمر.

لا سمع اليوم ولا طاعة :

لما صعد عمر وكان من عادته أن يقول أما بعد فاسمعوا وأطيعوا فقام أحد المصلين وقال لا سمع اليوم ولا طاعة.
قال ولم؟
قال وزعت علينا الأكسيات(الملابس) فأعطيت كل واحد ثوبه فما جاوز ركبتيه يعني بالكاد يجاوز الركبة.
أما أنت ثوبك قد جاوز إلى نصف ساقك.
يحاسبونه على عشرة سنتيمترا يا إخواني وليس على مليارات ولا على خزائن الأرض، والله أعجب لهؤلاء اللصوص الذين يعيشون مع شعوبهم في فقر ويجعلون أموالهم في بنوك العالم لا يستمتعون بها ولا يستمتع بها شعبهم.
عندنا فائض كبير في اللصوص بصورة عجيبة عيّشوا الأمة في فقر مدقع رغم ثرواتها الكثيرة ورغم خيراتها التي حباها الله بها.
يحاسبون الخليفة على عشرين سم. يحاسبون الخليفة على طول ثيابه.
فما كان من عمر إلا أن قال قم يا عبد الله بن عمر فارو لعمك ما حدث.
قال يا معشر المؤمنين تعلمون أن أبي رجلا طوالا (سيدنا عمر كان طويل القامة) فلما جاءت الأكسيات، لبس ثوبه فما بلغ أنصاف فخذيه، فوهبته ثوبي فوصله به فصار كما ترون.
قال الرجل: اليوم نسمع ونطيع.

السلام عليك أيها الأجير!!

ودخل رجل على معاوية رضي الله عنه قال: السلام عليك أيها الأجير.
فقال أحد الواقفين مصححا: قل السلام عليك أيها الأمير ظانا أن الرجل قد أخطأ ، قال : بل السلام عليك أيها الأجير.
قال يا رجل تأمل ما تقول.
قال له معاوية دعه فإن الرجل أبصر لما يقول!!

لأن الحاكم أجير عند الأمة، الحاكم موظف عند الأمة ليس إلها ولا من فصيلة

من لا يخطئ ....ولا يسأل عما يفعل.... وليس من فصيلة العباقرة الأفذاذ.
أبدا هو بشر يصيب ويخطئ هو أجير عند الأمة.
فمن هنا كانت عظمة هذا الدين.

-لا يضام فيه أحد.

-لا يظلم فيه أحد.

-لا يضيع فيه حق أحد.

-الحاكم أجير عند الأمة.

-الحاكم لا يغتر بسلطانه أو بما آتاه الله عز وجل.

-متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا.

الخلاصة :

1- جاء الرسول صلى الله عليه وسلم، لترسيخ قيم العزة والكرامة في نفوس المسلمين، وتحريرهم من كافة أشكال العبودية لغير الله.

2-القضاء على عبودية الرق (العبيد) فحث الإسلام على تحرير العبيد، وأمر بالإحسان إليهم ومعاملتهم كإخوة.

3-حل مشكلة الطبقية والعنصرية، فأكد الإسلام على أن الناس جميعًا متساوون لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

4-إلغاء التمييز على أساس الثروة أو المكانة، فرفض الإسلام التفريق بين الناس بناءً على غناهم أو فقرهم.

5-تغيير نظرة المجتمع للحاكم فرسخ الإسلام فكرة أن الحاكم هو "أجير" عند الأمة، ومسؤول أمامها.

6-تربية أصحابه على العزة وحرية الرأي، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه ويأخذ بآرائهم.

(٩)

الرسول ﷺ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ

عناصر الخطبة:

أولا/ قوله تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ)

ثانيا/(عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حريص عليكم)

ثالثا/ (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)

(9)الرسول ﷺ(بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)

أكرم الله هذه الأمة بأن جعلها خير الأمم ، وشرفها بأن أرسل إليها خير الرسل وخاتمهم محمد ﷺ وأنزل عليها خير الكتب القرآن الكريم.

عناصر الخطبة:

أولا/ قوله تعالى : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ)

ثانيا/(عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حريص عليكم)

ثالثا/ (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)

أولا/ قوله تعالى : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ)

يقول الحق تبارك وتعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]

في هذه الآية المباركة يبين الله عز وجل صفة رسول الله ﷺ والتي سنتناولها بالشرح في هذا اللقاء بعون الله وتوفيقه.

قوله تعالى : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) لها تفسيران:

-بشراً مثلكم وليس ملَكا ، ليكون قادراً على أن يتفاهم مع البشر، وتكون الأسوة به سهلة.

- من نفس القبيلة التي تنتمون إليها معشر قريش، فتعلمون تاريخه، ولقد سميتموه الصادق الأمين.

إذن فالرسول كان من أنفسهم بشرا مثلهم تتحقق به القدوة الكاملة ، لم يأت رسول الله ﷺ من السماء ملكا رسولا ولم يسقط على الناس من كوكب آخر، إنما هو رسول يعرفهم ويعرفونه ،عاش بينهم أربعين سنة قبل البعثة يلقبونه بالصادق الأمين ، لم يحتاجوا أن ينقبوا عن تاريخه ولم يبذلوا جهدا كبيرا لتفحص سيرته قبل الأربعين قبل أن يوحى إليه، إنما هو من أنفسهم ولذلك سماه في القرآن في العديد من المواضع بالصاحب فقال تعالى : **(وما صاحبكم بمجنون)** [التكوير/22] و **(ما ضل صاحبكم وما غوى)** [النجم/2]

فهو صاحبكم الذي طالت حياته فيكم وصحبته لكم تعرفونه وتعرفون أهله

وأصله ؛ فهو من أنفسكم ؛ بشر تقتدون به ليس ملكا معصوما أو له قدرات ملائكية لا يستطيع البشر أن يقتدوا به ، فالملائكة منهم من هو قائم يسبح الله ومنهم من هو راكع ومنهم من هو ساجد (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) [الأنبياء/20] أما النبي ﷺ فإنه بشر مثلنا يصيبه ما يصيب البشر من الألم ويصح ويمرض ويجوع ويعطش ويشبع ويرتوي.

ولما جاء الثلاثة نفر إلى أحد بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! فقال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدا وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.

فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: " أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني"

ومعنى رغب عن الشيء : تركه، فمن أعرض عن سنة رسول الله ﷺ فليس على سنته.

الادعاءات الكاذبة على النبي ﷺ:

لما بعث الرسول ﷺ قالوا فيه ادعاءات كاذبة، وكانوا هم أدرى الناس بكذب ما يدّعون ، ومما قالوا من أكاذيب:

1-قالوا : إنه مجنون وهم يعلمون أنه كان من أعقلهم وأحكمهم .

2-وقالوا أيضا: جاء بالقرآن من عند نفسه وأنه افترى هذا القرآن ،وهم يعلمون أنه الصادق الأمين ﷺ.

3-وقالوا عنه كاهن وهم يعلمون أن كلامه ليس سجع الكهان.

4- وقالوا عنه أنه شاعر هم يعلمون أن القرآن ليس فيه أوزان الشعر ولا قوافي الشعر ،إنما هو كلام رب العالمين.

ومن المواقف التي تبين كذب كل هذه الادعاءات:

1-قصة الحجر الأسود

لما بلغ رسول الله – ﷺ – خمساً وثلاثين سنة ـ قبل بعثته بخمس سنوات ـ، اجتمعت قريش لتجديد بناء الكعبة لِما أصابها من تصدع جدرانها، وقد تم تقسيم

العمل في بناء الكعبة بين القبائل، وتولت كل واحدة منها ناحية من نواحي الكعبة، ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود دبَ الشقاق بين قبائل قريش، فكل يريد أن ينال شرف رفع الحجر الأسود إلى موضعه، وكادوا أن يقتتلوا فيما بينهم، حتى جاء أبو أمية بن المغيرة المخزومي فاقترح عليهم أن يحكّموا فيما اختلفوا فيه أول من يدخل عليهم من باب المسجد الحرام، فوافقوا على اقتراحه وانتظروا أول قادم، فإذا هو رسول الله – ﷺ – وما إن رأوه حتى هتفوا: هذا الأمين، رضينا به، هذا محمد، وما إن انتهى إليهم حتى أخبروه الخبر، فقال : (هلمّ إليَّ ثوبا)، فأتوه به فوضع الحجر في وسطه ثم قال : (لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا) ففعلوا، فلما بلغوا به موضعه أخذه بيده الشريفة ووضعه في مكانه.

2-قصة زيد بن حارثة:

واعجبوا معي لهذه القصة عن زيد بن حارثة، والذي كان حرا في ديار قومه بني كلب أحد بطون قضاعة فذهبت أمه لزيارة لأهلها، فأغارت قبيلة على أهلها وأخذ زيد أسيرا فباعوه في سوق عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام ثم أهداه لعمته خديجة بنت خويلد ، فلما تزوجها النبي محمد وهبته له.

ثم مر زمن، وحج أناس من قبيلته كلب، فرأوه فعرفهم وعرفوه، ثم عادوا وأخبروا أباه بمكانه، فخرج أبوه وعمه يفتدونه، والتقوا بالنبي محمد ﷺ وطلبوا فدائه، فدعاهما إلى تخيير زيد نفسه إن شاء بقي، وإن شاء عاد مع أهله دون مقابل.

ثم دعاه النبي ، وخيره فقال زيد: «ما أنا بالذي أختار عليك أحدًا، أنت مني بمكان الأب والأم»، فتعجّب أبوه وعمه وقالا: «ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟!»، قال: «نعم. إني قد رأيت من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي اختار عليه أحدًا أبدًا»

فلما رأي النبي محمد منه ذلك، خرج به إلى الحجر عند الكعبة، وقال: «يا معشر قريش اشهدوا أن زيدًا ابني أرثه ويرثني» فصار زيد يُدعي «زيد بن محمد "ثم حرم التبني كما نعلم فيما بعد.

3-وصف خديجة لأخلاق النبي قبل البعثة:

وانظروا لأخلاق النبي قبل البعثة لما أوحى الله تعالى إليه، ورأى النبي جبريل أول مرة لم يكن يدري ما جبريل ولا الوحي ولا الرسالة ، فذهب فزعا إلى خديجة رضي الله عنها فأخبَرَها الخبر وقال: **(لقد خشيتُ على**

نفسي!)، والإنسان لو تجمل على الدنيا كلها لا يستطيع أن يتجمل على زوجته فهي أدرى وأخبر الناس بحاله .

فقالت له رضي الله عنها: **"كلَّا! والله لن يخزيك الله أبدا وتروى لن يحزنك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدُقُ الحديثَ، وتَحمِل الكَلَّ، وتَكسِبُ المعدومَ، وتَقري الضيف، وتعين على نوائب الحق""**

تَحمِل الكَلَّ: أي تتحمَّل مؤونة الكَلِّ، وهو الضعيف واليتيم وذو العيال، فتُنفِق عليه، وتقوم على حاجته.

تَكسِب المعدوم: أي تكسب المالَ وتبذُل من هذا المال للمحتاج أو المعدوم (المعدم).

تقري الضيف: والقِرى هو ما يُقدَّم للضيف من طعام وشراب، أي: أنت تكرم الضيف.

تعين على نوائب الحق: النوائب جمع نائبة، وهي الحادثة أو المصيبة، أي تُعين الناس فيما يصيبهم من خير أو شر.

فهي رأت من زوجها هذه الأخلاق الكريمة ، وهذا كله قبل البعثة تدري من هو محمد وما أخلاقه فقالت مقسمة : كلَّا! والله لن يخزيك الله أبدًا ، ولذلك خديجة رضي الله عنها كانت أول من آمن به ﷺ

4-ما جربنا عليك كذبا قط

والنبي لما وقف على جبل أبي قبيس ليجهر بالدعوة بعد ثلاث سنوات من الدعوة السرية **قال: يا معشر قريش ، أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ " قالوا : نعم ؟ ما جربنا عليك كذبا قط .** هذا كلامهم ما جربنا عليك كذبا قط .

5-فهل كنتم تتهمونه بالكذب؟

وفي حديث طويل لأبي سفيان في حوار له مع هرقل عظيم الروم لما أرسل النبي له رسالة يدعوه فيها للإسلام سأل هرقل أبا سفيان عدة أسئلة منها:

قال: كيف نسبه فيكم؟

قلت: هو فينا ذو نسب.

قال هرقل: فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قلت: لا.

فقال هرقل لم يكن ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله .

6-أخ كريم وابن أخ كريم:

ولما رجع النبي ﷺ إلى مكة وفتحها ، وأصبح أهل مكة بين يديه بإشارة واحدة منه يأمر بقتل من يقتل ممن يستحق القتل من هؤلاء ، قال لهم ما تظنون أني فاعل بكم ؟ **قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم!!!**

هؤلاء هم الذين كانوا من عدة سنوات يقولون ساحر وكاهن وشاعر ، فهم يعرفون النبي ويعرفون أصله وفصله.

الشاهد : أن الرسول ﷺ كانوا يعرفونه ويعرفون أخلاقه، والإنسان فينا ربما يتجمل أمام الناس بطريقة كلامه بأفعاله ، لكن لن يستطيع أن يتماسك أربعين سنة في وسط أهله وبين زوجته وبين خدمه ، سبحان الله العظيم!!!

ثانيا/(عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حريص عليكم)

(عَزِيزٌ عَلَيْهِ) أي يعز عليه مشقتكم، والعنت : المشقة ، وأصل التعنت التشديد ، فإذا قالت العرب : فلان يتعنت فلانا ويعنته فمرادهم يشدد عليه ويلزمه بما يصعب عليه أداؤه.

والعزيز : الغالب . والعزة : الغلبة . يقال عزّه إذا غلبه ، ومنه **{ وعزني في الخطاب }** [ص : 23] ، فإذا عُدي بعلى دل على معنى الثقل والشدة على النفس.
والمعنى : يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها.

ولذلك يقول تعالى في تصوير هذه الحالة النفسية التي كانت تحدث للرسول ﷺ : **{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ على آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بهذا الحديث أَسَفاً}** [الكهف: 6] ومعنى باخع نفسك أي مهلكها لشدة حرصه على هداية الناس.

وفي الحديث يقول النبي ﷺ «مثلي كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها. وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها. قال: فذلكم مثلي ومثلكم. أنا آخذ بحجزكم عن النار.

هلم عن النار. هلم عن النار. فتغلبوني تقحمون فيها«.

وعن أبي ذر قال . تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه علما – قال : وقال ﷺ : " ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بين لكم. "

حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

معنى الحِرص : توجُّه الإرادة مع التصميم الشديد ، فلان يريد أن ينجح ، وفلان حريصٌ على أن ينجح ، الحرص أشدّ من الإرادة، أيْ حريصٌ على هُداكم ، حريصٌ على سلامتكم ، حريصٌ على سعادتكم ، حريصٌ على فوزكم بالجنة.

ثالثا/ (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)

رءوف : الرأفة أشد الرحمة، فكان ﷺ يدعو لأمته في صباحه ومسائه، كان يدعو لهم في كل حاله، أي إنسان منا أول هم يحمله هم أولاده، وأهله ؛ لكن سبحان الله الرسول كان يحمل هم أمة بأكملها!!

وكما يحكي عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: {رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني} [إبراهيم: 36] الآية، وقال عيسى عليه السلام: {إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم} [المائدة: 118]،

فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال، وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوؤك) رواه مسلم.

دعاء النبي لعائشة ولأمته ؟

ودعا رسول الله يوما لعائشة رضي الله عنها قال : اللهم اغفر لعائشة ما قدمت وما أخرت وما أسرت وما أعلنت فضحكت عائشة،(فرحت فرحا شديدا لأن الرسول يدعو لها بهذا الدعاء) فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها.
فقال رسول الله : أسرك دعائي؟

قالت وكيف لا يسرني دعاءك يا رسول الله.
قال والله إني لأدعو به في كل صلاة لأمتي.

طبت حيا وميتا يا رسول الله ! يدعو لنا ﷺ في كل صلاة، صدق من سماه (رؤوف رحيم)

يا رب أمتي، يا رب أمتي:

حتى في أشد ساعات الموقف العظيم بين يدي الله عز وجل، كل الأنبياء يخافون من هيبة وجلال رب العالمين، كلهم يقول نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري.
حتى يأتي العباد إلى رسول الله ﷺ .... **يقول : (فانطلق، فأسجد تحت العرش، فيفتح الله علي بمحامد يعلمنيها، فيقول الله جل وعلا لنبيه ومصطفاه يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعط، (اسأل ما شئت واطلب الشفاعة فيمن شئت.)**

فلا يزيد ﷺ على قوله:يا رب أمتي، يا رب أمتي.

فيقول الله جل وعلا يا محمد أدخل من لا حساب عليهم من أمتك من الباب الأيمن من الجنة وهم شركاء الأمم فيما سوى ذلك من الأبواب.
والذي نفسي بيده ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر. (15)

فكان ﷺ بالمؤمنين رؤوف رحيم. كان لا ينسى أبدا هذه الرحمة التي كانت سمة من سماته في تعامله مع كل من حوله.

شوق النبي لمن آمن به ولم يره:

بل كان النبي ﷺ يبين شوقه إلينا قبل أن نراه ويرانا، **فقد كان جالسا في أصحابه يوما فقال : وددت أني قد رأيت إخواننا فقالوا : يا رسول الله ألسنا بإخوانك قال : (بل أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد وأنا فرطهم على الحوض) فقالوا : يا رسول الله كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك قال : (أرأيت لو كان لرجل خيل غر محجلة في خيل دهم بهم ألا يعرف خيله) قالوا : بلى يا رسول الله قال : (فإنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين**

---

(15) المصراعين أحد جُزْأي الباب ؛ بالدارجة يقولون دَرْفَة الباب، والأفصح دلْفة الباب وهما مصراعان أحدهما إلى اليمين والآخر إلى اليسار

من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض..."

والمعنى لو أن رجلا عنده **(خيل غر)** الغرة بياض في جبهة الفرس.
(محجلة) من التحجيل وهو بياض في ثلاثة قوائم من قوائم الفرس .

(في خيل دهم) جمع أدهم والدهمة **السواد (بهم)** الذي لا يخالط لونه لون آخر اي أنها سوداء شديدة السواد.

(قال : فإنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين) والمراد بها هنا النور الكائن في وجوه أمته ﷺ.

(وأنا فرطهم) أنا من اسبقهم على الحوض .

اللهم اسقنا بيده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبدا.

رحمة النبى ﷺ بالمخالفين:

روى البخاري ومسلم من حديث عائشة أنها قالت للنبي ﷺ : هل مر عليك يا رسول الله يوم أشد عليك من يوم أحد ؟ فقال المصطفى:" والله لقد لاقيت من قومك ما لقيت يا عائشة، وكان أشد ما لاقيت منهم حينما يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال" وأنتم تعلمون ما فعله أهل الطائف بالنبي طردوه وسبوه وضربوه بالحجارة يقول :" فعدت وأنا مهموم على وجهى ولم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب".

تأملوا كم كان الهم الذى حمله النبى في قلبه لدرجة أنه مشى ما يزيد على سبعة كيلو مترات لم يشعر بشيء.

ولم يستفق من كثرة الهموم في قلبه إلا بسحابة قد أظلته فرفع رأسه فرأى في السحابة جبريل عليه السلام يسلم عليه **يقول: السلام عليك يا رسول الله لقد سمع الله قول قومك لك وقد أرسل الله إليكم ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم".**

يقول ﷺ :" فسلم على ملك الجبال وقال: يا رسول الله لقد سمع الله قول قومك لك ولقد أرسلني فمرنى بما شئت فيهم ثم قال ملك الجبال: لو أمرتني أن أطبق الأخشبين لفعلت ".[16]

---

[16] " والأخشبان جبلان عظيمان يقال للأول: أبو قبيس ويقال للثاني: الأحمر

والله لو كان رسول الله ﷺ ممن ينتقم لذاته ولنفسه لأمر ملك الجبال فتتحطم هذه الرؤوس الصلدة والجماجم المتعنتة العنيدة ، ولكن رسول الله ما خرج ليثأر لنفسه قط وما انتقم لذاته أبدا.

قال ملك الجبال:" لو أمرتني أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت" فقال الرحمة المهداة: " لا إنما أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً". .

إنه الرحمة المهداة هذه رحمته بمن رموه بالحجارة وقذفوه، لأنه في مقام دعوة والدعوة تحتاج إلى رفق وإلى رحمة.

وجاءه الطفيل بن عمرو الدوسي إلى النبى ﷺ وقال: يا رسول الله: كفرت دوس ادع الله عليهم فرفع النبى يديه إلى السماء والله لو دعا عليهم لهلكوا إلا أنه الرحمة فرفع يديه وقال:" اللهم أهد دوسا وأت بهم".

فاستجاب الله دعاء حبيبه ﷺ فهدى الله دوسا وأتى الله بهم وعلى رأسهم الطفيل وأبو هريرة رضوان الله عليهم جميعاً.

قصة إسلام أم أبي هريرة -رضي الله عنهما- :

روى الإمام مسلم في صحيحه؛ عن أبي هريرة، قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره.

فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة.

فقال رسول الله ﷺ :«اللهم اهد أم أبي هريرة».

فخرجتُ مستبشرًا بدعوة نبي الله -صلى الله عليه وسلم-، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء.

قال: فاغتسلتْ ولبستْ درعها وعجلتْ عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

قال: فرجعت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله، أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة.

فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرًا، قال: قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا.
قال: فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «اللهم حبب عبيدك هذا -يعني أبا هريرة- وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين»، فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني.

الخلاصة:

معنى الآية : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)[التوبة 128]

يمتن تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الذي هو من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو ﷺ في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم.
عزيز عليه ما عنتم أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم.
حريص عليكم فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه.
بالمؤمنين رءوف رحيم أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم.
ولهذا كان حقه مقدما على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه وتوقيره وتعزيره.

****

(10)

ما الحكمة أن رسول الله ﷺ كان أميا ؟

عناصر الخطبة:

أولا/ هل الرسول ﷺ كان أميا ؟

ثانيا/ كيف نجمع بين عظمة الرسول ﷺ وأميته؟

ثالثا/ فأتوا بسورة من مثله

رابعا/ إخبار الرسول ﷺ عن المستقبل

(10) ما الحكمة أن رسول الله ﷺ كان أميا ؟

عناصر الخطبة:

أولا/ هل الرسول ﷺ كان أميا ؟

ثانيا/ كيف نجمع بين عظمة الرسول وأميته؟

ثالثا/ فأتوا بسورة من مثله

رابعا/ إخبار الرسول عن المستقبل

أولا/ هل الرسول ﷺ كان أميا ؟

ما معنى الأمية؟

الأمي هو الذي لا يقرأ ولا يكتب وينسب في ذلك إلى أمه، كما قال تعالى: **(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون)** [النحل/78]

فالأمي يبقى على ما هو عليه؛ ليس عنده القدرة على القراءة أو الكتابة أو المعرفة.

هل الرسول ﷺ كان أميا ؟

أي نعم كان أميا؛ والبعض ظن أن وصف الرسول بأنه أمي أن في ذلك انتقاص لقدره ومكانته ﷺ وهناك من أحب أن يتجمل فقال: إن رسول الله كان يقرأ ولا يكتب!!!

وماذا عن كلمة أمي الواردة في القرآن؟ قالوا أمي نسبة لأم القرى!!

وهذه كلها أوهام انتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي لا أساس لصحتها.

الرسول كان أميا والعرب الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ وصفوا في القرآن بهذا الوصف وهاكم الآيات:

قال تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته) – [الجمعة/2] و (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) – [الأعراف/158] و (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) – [العنكبوت/48]

ثانيا/ كيف نجمع بين عظمة الرسول وأميته؟

والسؤال الآن: كيف تكون الأمية مدح لرسول الله حتى أن هذا المدح يذكر في القرآن، ومنقصة لأي واحد فينا بمعنى لو أن أحدنا وصف بأنه أمي لعد ذلك إهانة؟

أي واحد في الدنيا يفخر بأساتذته الذين درسوه وجامعته التي تخرج منها، فماذا نقول عن رسول الله ﷺ الذي جعل الله له مصدرا وحيدا للتلقي وهو الوحي المنزل عليه من الله؟
لا جامعة ولا أساتذة ولا مراكز بحث، وإنما عنده مصدر واحد هو الله ،كما قال تعالى : **(وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) [النساء/113] و (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور)** [الشورى52 /53]

إذن هناك مصدر واحد للتلقي عند رسول الله ﷺ وهو الوحي ، ولو قلنا إن الرسول تعلم هذا الأمر من أحد فالسؤال ممن تعلمه رسول الله ﷺ ؟

والرسول قبل اختراع الأجهزة الطبية الحديثة يبين مراحل خلق الجنين في بطن أمه بمنهى الدقة: **(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)** [المؤمنون12 /14]

وقال رسول الله ﷺ : (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح....)

من أين علم النبي ﷺ هذا الرقم بالتحديد (أربعين يومًا نطفة) ؟
لماذا لا تكون ثلاثين أو أكثر أو أقل؟ من أين له بهذه الدقة؟

فهذه الأمور في زمنه لم تكن معروفة في العالم كله لا في دول كبرى ولا متقدمة ولم يكن عندهم مراكز بحثية ولا أشعة تكتشف مراحل تطور الجنين في بطن أمه فلم يكن عندهم من أدوات العلم ما يكتشفون به ذلك كله.

فحكمة الله أن يكون الرسول ﷺ أميا حتى لا يكون له مصدر للتلقي غير الوحي

المنزل عليه من الله، فلا يبقى مظنة التهمة بأنه يتلقى القرآن من أحد من البشر.

والمشركون كانوا يبنون هجومهم على الرسول من خلال التشكيك في الوحي، فجاء الوحي ليقول لهم ها هو محمد يخبر بأمور ليس في وسع البشر في زمانكم أن يعرفونها.

ولذلك تخبطوا في تهمهم فقالوا عنه ساحر وشاعر وكاهن .... وكلها تهم هم أول من يعلم أن النبي ﷺ غير متصف بشيء منها.

ثالثا/ فأتوا بسورة من مثله

وجاء التحدي لهم إن كنتم تزعمون أن القرآن كلام بشر **(فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين)** [البقرة/23]

وافتتح الله العديد من السور بالأحرف المقطعة الم ، حم وغيرها ليقول لهم هذا القرآن مؤلف من هذه الأحرف فإذا كان بإمكان البشر أن يأتوا بمثله فأفعلوها ، والعرب كانوا أرباب الفصاحة والبلاغة ، وكانوا عندهم أسواق يجتمعون فيها بعد الحج وتأتي كل قبيلة بشاعرها فيذكر مآثرها ومفاخرها وهذا يرد عليه ، وكانوا ينقدون الشعر ، ويعارضونه بمثله وأقوى منه ، فالتحدي كان مع ناس يملكون ناصية البيان ؛ ومع هذا عجزوا عن الاتيان بمثله ، ولهذا قال لهم : **(فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)** [البقرة/24]

وقال : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) [الإسراء/88]

أي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بكلام مثل القرآن ما استطاعوا ذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أي معاونا ونصيرا.

وما زال التحدي قائما إلى يومنا هذا ، ولن يستطيع أحد أن يأتي بمثله لأنه كلام الله ، وكل المحاولات التي حاولوها قديما وحديثا لتأليف بعض السور على نسق القرآن لا ذكر لها ولا وزن لها ، وفيها ركاكة غير مقبولة.

والكلام يكتسب القوة على حسب من أضيف إليه بمعنى كلمة شخص عادي غير كلمة وزير ، غير كلمة رئيس .... وهكذا فما بالك بالقرآن إنه كلام الله العلى الكبير ، قال تعالى: **(الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) [هود/1] و (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم)** [النمل/6] فأراد

الله أن يقطع الشك قديما وحديثا فلا يأتي من يقول : إن محمدا تعلم القرآن من غيره.

ما ضل صاحبكم وما غوى:

ولذلك لما قال مشركو مكة هذا الكلام (**ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر**) [النحل/103] وهم يعرفون الرسول قبل البعثة جيدا فقد عاش معهم أربعين سنة ولذلك القرآن عبر عنه بلفظ الصاحب (**وما صاحبكم بمجنون**) [التكوير/22] فهو صاحبكم تعرفونه جيدا وعاش معكم أربعين سنة فمن أين له أن يتلقى القرآن ؟فلما بحثوا وجدوا أنهم كلهم يعرف بعضهم بعضا جيدا فوقع اختيارهم على غلام رومي !!! لا إله إلا الله!!

لو أني أريد أن أتعلم اللغة العربية أذهب لأتعلمها من كندي؟ فهذا شيء عجيب، **قال تعالى: (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين)** [النحل/103]

قصة بحيرا الراهب:

وبعض المستشرقين الذين كان هدفهم الرئيس هو دراسة الإسلام واستخراج بعض الشبهات لتشكيك المسلمين في دينهم وتشويه صورة الإسلام ، بحثوا فلم يجدوا شيئا في حياة الرسول ﷺ يدللون به على أن القرآن ليس من عند الله ، فطرأ في ذهن أحدهم فكرة من خلال قصة حدثت للرسول ﷺ في صغره كان في التاسعة ، وبعض كتاب السيرة ذكروا أنه كان في الثانية عشر من عمره ، لما كان ذاهبا مع عمه في التجارة ،وقابل بحيرا الراهب وكان على الحنفية مثل ورقة بن نوفل وغيره ممن التزموا بالاعتقاد أنه لا إله إلا الله وأن عيسى عبد الله ورسوله ، والبشارة بمقدم نبي آخر الزمان ، وكان يعرف بعض العلامات عن هذا النبي الذي يبعث كما قال الله تعالى : **(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)** [البقرة/146] فوجد هذه العلامات في النبي ﷺ في قصة طويلة خلاصتها أنه سأل عمه أبا طالب من أبوه ؟ قال أنا أبوه قال ما ينبغي لأبيه أن يكون حيا ،قال فأنا عمه، المهم في الأخير خوفه أن يناله أذى من اليهود وأوصاه أن يعود به إلى مكة حتى لا يصاب بسوء.

هذا المشهد لا يتجاوز دقائق لكن لو فرضنا أن رسول الله ﷺ في هذا السن جلس يوما كاملا مع بحيرا الراهب هل يعقل أن يقال أنه نقل القرآن عنه وهو في سن الأربعين، وهل يعقل أنه في هذا السن في جلسة واحدة ينقل عن بحيرا هذا القرآن كاملا ؟

هذا مستحيل طبعا ، أضف إلى هذا أن المتعلم في مجال معين ومتخصص فيه الإدراك المعرفي عنده أعلى بكثير من غيره فمثلا لو أنا طبيب متخصص لو أمسكت بتقرير طبي سأدرك ما فيه سريعا بمجرد إلقاء نظرة عليه ، لكن لو أنا أمي في الطب سأقرأ وأقلب الأوراق لكن لن أدرك شيئا إلا يسيرا ، فما بالنا بالرسول ﷺ كيف له وهو أمي أن ينقل كل هذه المعلومات أقصد القرآن وهو في سن الثانية عشرة من خلال لقاء واحد مع بحيرا الراهب ؟ ثم ما الذي أسكت الرسول ﷺ من سن الثانية عشرة إلى الأربعين ؟

فهذه قصة باطلة، والعجيب أنهم يرددونها كثيرا، ويدللون بها على أن القرآن أخذه رسول الله عن بحيرا الراهب، ومن الناحية الحديثية فسند القصة غير صحيح.

دلالة افتتاح سور القرآن بالأحرف المقطعة:

إذن أراد الله أن يكون النبي ﷺ أميا ليقطع أي طريق للشك في أن القرآن مؤلف ، أو أن محمد ا قرأ كتبا أو علوما أو معارف فجاء بالقرآن من عند نفسه بل جاء القرآن متحديا **(الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) [البقرة2/1] (الر تلك آيات الكتاب الحكيم) [يونس/1] (الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) [الحجر/1] (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) [فصلت/3]**

فالتحدي قائم للجميع هذا القرآن مكون من هذا الأحرف وهو تنزيل من الله سبحانه ، فإن كان بإمكان البشر الإتيان بمثله فأتوا بسورة من مثله ، والعرب كانوا يقولون عن القرآن أنه شعر، وهم أدرى الناس وأعلمهم أن القرآن ليس على أوزان الشعر المعروفة لديهم ، وأن النبي قبل أن يوحى إليه عاش أربعين سنة فما قال الشعر أبدا رغم فصاحته وقوة بيانه ﷺ **(وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين)** [يس/69]

ولذلك يُذكر عن رسول الله أنه كان إذا روى الشعر كسر البيت فقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام أنشد: **ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك من لم تزود بالأخبار، فقال أبو بكر رضي الله عنه ليس هكذا يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام: إني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي .**

فإذا كان لا يجيد رواية الشعر فمن باب أولى لا يستطيع تأليفه ، رغم ملكته اللغوية الكبيرة وبلاغته وقد أوتي جوامع الكلم ،كل هذا ليبقى الرسول ﷺ بعيدا

عن أي شبهة أو اتهام له بأن هذا القرآن من عنده وليس من عند الله ، ولذلك البعض لما يدرس في مجال من المجالات ربما لقلة فهمه للغة العربية والقرآن وعدم اطلاعه على تفسير العلماء لآيات الله عز وجل يصطدم بآيات القرآن ويقول إن القرآن يتنافى مع كذا وكذا ... كلا الخلل ليس في القرآن الخلل فيك أنت، أو فيما قرأت، وهل كل ما يقرأ صحيحا ؟ وهل كل النظريات العلمية صحيحة ؟

أي شيء ما زال في طور البحث فهو قابل للصواب والخطأ، وهناك آلاف النظريات في الزمن الماضي لو ذكرت لنا لضحكنا منها طويلا ، أما القرآن فهو كلام الله **(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)** [فصلت/42]

وفيه من أوجه الإعجاز الكثير : منها الإعجاز التشريعي ، البياني ، التاريخي ، العلمي .... وهكذا وهناك عشرات بل مئات المؤلفات في هذا الموضوع، وكلها تؤكد على أن القرآن كلام الله عز وجل **(تنزيل من حكيم حميد)** [فصلت/42]

رابعا/ إخبار الرسول عن المستقبل

أطلع الله نبيه ﷺ على بعض الغيب فأخبر عن أمور حدثت بعد وفاته وأخبر أيضا عن أمور لم تحدث بعد ، وكل هذا لتمتد مسألة تصديقه والإيمان به عبر الزمن .

وأذكر أنه من سنين مضت جاء من يشكك في حديث رسول الله ﷺ **(إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه ؛ فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء) رواه البخاري**

وقالوا : لو غمست جناح ذبابة كما جاء في الحديث وكانت هذه الذبابة تحمل مرض الملاريا ، لأدى ذلك إلى إصابة الشخص بمرض خطير فكيف يكون هذا حديث ؟ وينبغي عدم القبول لكل أحاديث البخاري.

وبمرور الأيام أثبت العلم الحديث بالأبحاث التجريبية المختبرية المحكمة والمعتمدة ، أن الذباب يشتمل فعلا على الداء المتمثل بالبكتيريا الضارة ، وعلى الدواء المتمثل بالمضادات لتلك البكتيريا مصداقا للحديث.

فمن أين للنبي ﷺ أن يعلم بهذا في وقت انعدمت فيه وسائل البحث الحديثة عندنا ومختبرات البحث العلمي ؟

إذن علمه الله سبحانه وتعالى – **(وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)** [النساء/113]

خطورة إسقاط الأحاديث الغيبية على الواقع:

والشيء بالشيء يذكر :أريد أن أقول من المبالغات التي وقع بها البعض في عصرنا إسقاط الأحاديث الغيبية أو المستقبلية على الواقع فالرسول ﷺ قال: سيكون بين يدي الساعة كذا وكذا .... فيأخذ البعض هذه الأحاديث ، ويربطها ببعض الوقائع مثل مبالغة البعض بأن النبي أخبر عن طالبان أو داعش أو تفجير برج التجارة العالمي ....الخ وكل هذه أوهام.

ولا ننس لما قالوا إن سورة التوبة هي السورة رقم 9 بالمصحف والآية 110 من السورة كلها تدل على وقوع تفجير برج التجارة العالمي كما **زعموا (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم)** [التوبة/110] وبالغوا فقالوا إن الشارع اسمه (جرف هار) بنيويورك وهذا عبث عجيب.

وذات مرة أرسل لي أحدهم بريدا الكترونيا (قبل اختراع الفيس بوك) وقال جرت محاورة بين رجل مسلم عراقي وعسكري أمريكي قال المسلم : كل شيء عندنا في القرآن ، فقال الأمريكي متحديا : حتى اسمي ؟ قال : ما اسمك قال: " كوك " قال : نعم عندنا (كوك قائما) وهذا طبعا تحريف لقوله تعالى: **(وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما)** [الجمعة/11]) فماذا لو اسمه بيتر أو امرأة اسمها نانسي هذا عبث كبير والقرآن لم ينزل لهذا العبث.

فربما ما قاله الرسول من الأمور الغيبية يحدث الآن أو بعد مئة سنة أو أكثر الله أعلم ، ولذلك لما سئل أحد العلماء عن قول الرسول ﷺ "بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار للسبابة والوسطى " فالرسول مات منذ 1400 عام فكيف نوفق بين ذلك والحديث ؟

قال الشيخ :إن الله تعالى يقول : **(وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون)** [الحج/47] فلم يمر على وفاته ﷺ يوم ونصف فمن الممكن أن تقوم الساعة بعد يوم ونصف أو يومين من أيام الله.

فقبل أن ترسل شيئا تأكد منه ومن صحته ولا تنشر الخرافات والأشياء غير الصحيحة فإن هذا دين وكل واحد منا سيسأل أمام الله هل فرط وضيع أم حفظ الدين وصانه وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى.

الخلاصة:

1-الأمية في حق الرسول ﷺ ليست انتقاصًا، بل هي مدح وحكمة إلهية.

2-تكمن الحكمة في أن يكون مصدر تلقي الرسول الوحيد هو الوحي من الله.

3-هذا ينفي أي شك أو تهمة بأنه تعلم القرآن من البشر أو من مصادر أرضية.

4-تحدي المشركين بالإتيان بسورة من مثله، فكيف لمن لا يقرأ ولا يكتب أن يأتي بهذا الكلام البليغ؟

5-القرآن الكريم نزل على نبي أمي، مما يؤكد أنه كلام الله وليس من تأليف بشر.

6-القرآن تحدى العرب -وهم أرباب الفصاحة والبلاغة- بالإتيان بمثله، فعجزوا.

7-القرآن الكريم افتتح العديد من سوره بالحروف المقطعة ليدلل على أن هذا الكلام مؤلف من نفس الحروف التي يستخدمها البشر، ولكنه كلام معجز.

8-علم النبي ﷺ بأمور غيبية وعلمية دقيقة، مثل مراحل خلق الجنين، وأمور مستقبلية، وهذا يؤكد أن مصدر علمه هو الله.

9-هذا العلم الغيبي والمعجز دليل على صدق نبوته، ويزيل أي شك حول كونه تعلم من أي شخص آخر مثل بحيرا الراهب.

10-القصص التي تدعي أن النبي تعلم القرآن من بحيرا الراهب باطلة، فكيف لشخص في الثانية عشرة من عمره أن يحفظ القرآن من لقاء قصير مع راهب، ثم لا يتحدث عنه حتى سن الأربعين؟

11-الرسول ﷺ لم يكن شاعرًا، ولم يكن يتقن رواية الشعر، مما يؤكد أن القرآن ليس شعرًا، وهو ما يعلمه العرب أنفسهم.

(11)

المهام الخمس للرسول ﷺ وأمته

عناصر الخطبة:

أولا /تكريم الله لنبيه بندائه (يا أيها النبي)

ثانيا / المهام الخمس لرسول الله ﷺ

ثالثا/ وراثة أمته لهذه المهام الخمس

(11) المهام الخمس للرسول ﷺ وأمته

تمهيد:

أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل لهداية الخلق ، ومهمة الرسل تبليغ الخلق مراد الله تعالى منهم ، والله تعالى ما خلقنا عبثا ، بل خلقنا الله لعبادته **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)** [الذاريات/56]

ومن تمام عدله سبحانه وتعالى أنه لا يقيم الحجة على عباده إلا بعد أن يرسل إليهم رسولا يعلمهم ويرشدهم **(رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما)** [النساء/165]

فأرسل الله نبينا ومصطفاه ليبلغ لنا هداية الله إلينا ، وأوامره وتشريعاته سبحانه وتعالى ،وحينما يكلف الله سبحانه وتعالى من يكلف من البشر بالرسالة فإن هذا اصطفاء منه جل وعلا ؛ وهذا الاصطفاء والاختيار لا ينبني لا على نسب بأن يكون من عائلة مميزة ، ولا على أموال بأن يكون من أغنى الناس ، ولا علم بأن يكون من أعلم الناس إنما هو اصطفاء من الله سبحانه وتعالى ،ولذلك قال الله لنبينا ﷺ**(وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم)** [الشورى/52]

نعيش اليوم مع قول الحق جل وعلا- (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا) [الأحزاب45 /46]

عناصر الخطبة:

أولا /تكريم الله لنبيه بندائه (يا أيها النبي)

ثانيا / المهام الخمس لرسول الله ﷺ

ثالثا/ وراثة أمته لهذه المهام الخمس

أولا /تكريم الله لنبيه بندائه (يا أيها النبي)

لما نادي الله سبحانه وتعالى الأنبياء في القرآن الكريم نادى كل نبي باسمه فقال:

- ﴿ يا آدم اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: 35]

-و(يا موسى إني اصطفيتك) [الأعراف/144]

-و (يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) [الصافات/105]

-و (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا) [مريم/12]

-أما النبي المصطفى محمد ﷺ فمن تمام التكريم والتشريف من الله جل وعلا ناداه بـ (أيها الرسول) و (يا أيها النبي)

ونحن كلنا عبيد لله جل وعلا ، خلقنا من العدم وأنعم الله علينا بنعمة الوجود فإذا نادى الله من ينادي منا باسمه ، فهذا هو اللائق بحال العبد مع سيده، لكن أن يكرم الله سبحانه وتعالى أحد عباده ويلقبه فهذا كما قلت منتهى التشريف والتكريم ، وبيان الرفعة والقدر، حينما تنادي على ابنك مهما بلغ ما بلغ من السن والشهادات العلمية لن تتكلف بأن تناديه بلقب فأنت تقول له يا فلان باسمه ، لكن حينما تريد أن تكرمه وتظهر بالغ امتنانك عنه تقول له : يا أستاذ فلان ، يا دكتور فلان، يا مهندس فلان، فأنت تلقبه تشريفا له ؛ ولله المثل الأعلى ، ميز الله نبينا عن سائر الأنبياء بأن ناداه **(يا أيها النبي)**

ثانيا / المهام الخمس للرسول ﷺ

قال تعالى:(يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا) [الأحزاب45 /46]

المهمة الأولى شاهدا :

الشاهد هو من يثبت الحق ويؤيده والله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء وهو الذي سيفصل بين عباده، لكن من تمام العدل أنه لن يقضي بأحد إلى جزائه إلا بعد إقامة البينة والشهود .

عندنا في الفقه الإسلامي أن القاضي لا يقضي بعلمه ، يعني القاضي لو عنده علم أن فلان هو الذي سرق، أو فلان هذا هو الذي قتل ، لا يصلح أن يكون القاضي قاضيا وشاهدا على المتهم في نفس الوقت ، فإما أن يسكت لا يتكلم حتى يسمع للشهود والأدلة والقرائن ، وإما أن يتنحى ليكون شاهدا ويقضي في القضية قاض آخر.

الله جل وعلا لا يخفى عليه شيء فهو بكل شيء عليم، لكنه لن يقضي بين العباد بعلمه ؛ إنما سيقضي بإقامة الحجة والشهود ، فجعل من تمام عدله كل أمة

ستأتي يوم القيامة تأتي أمامها رسولها ، يأتي كل رسول لكل أمة فيشهد بما فعل مع أمته وهذا الذي قاله الله سبحانه وتعالى (**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا**) [النساء/41]

فيوقف كل رسول ويشهد على أمته بما كان منهم وما كان معهم ، والنبي ﷺ لما تلا عليه ابن مسعود هذه الآية من سورة النساء قال : حسبك فإذا عيناه تذرفان ...بكى ﷺ

ما سبب بكاء النبي عند سماع هذه الآية ؟

وبكاء النبي ﷺ كان إجلالا وخشوعا لله جل وعلا ، لأن الموقف مهيب بين يدي رب العالمين غدا ، من حضر منكم محكمة فيها قاضٍ من البشر وحراستها من البشر لها هيبة ، حينما ينادي القاضي على اسمك مثلا وتقوم ويكون هناك أخذ ورد وسماع وشهود ومرافعة ...الخ المكان له هيبة ، ترقب سماع الحكم والنطق به له هيبة .... فما بالنا بالقيام بين يدي الله رب العالمين (**يوم يقوم الناس لرب العالمين**) [المطففين/6]

فيوقفون ويؤتى بالنبي ﷺ ليشهد على أمته **(وجئنا بك على هؤلاء شهيدا)** [النساء/41] فكان بكاؤه ﷺ إجلالا وتعظيما لله جل وعلا، وهيبة لهذا المشهد الذي سيوقف فيه النبي ﷺ ويشهد بما بلغ وبما كان بينه وبين أمته.

ومن العلماء من قال: إن بكاء النبي ﷺ كان خوفا وشفقة على أمته ، فالنبي ﷺ كما وصفه الله بالمؤمنين رؤوف رحيم (**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**) [التوبة/128]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: {رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني} [إبراهيم: 36] الآية، وقال عيسى عليه السلام: {إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم} [المائدة: 118]، فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال، وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوؤك) رواه مسلم.

وعن عائشة ، أنها قالت : " لما رأيت من النبي ﷺ طيب نفس ، قلت : يا رسول الله ادع الله عز وجل لي ، فقال : " اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من

ذنبها وما تأخر ، وما أسرت وما أعلنت " ، فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك ، قال : فقال : لها رسول الله ﷺ : " أيسرك دعائي " ؟ قالت : وما بي لا يسرني دعاؤك ، قال : " والله إنها لدعوتي لأمتي في كل صلاة "

إذن لما تلا عبد الله بن مسعود (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) [النساء/41] بكى النبي ﷺ هيبة لله والقيام بين يديه، وشفقة على أمته حينما يأتي إمامهم ﷺ ويشهد بما كان معهم، فجعل الله سبحانه وتعالى رسوله حجة قائمة على خلقه.

معنى قولك (أشهد أن محمدا رسول الله):

طيب رسول الله توفي الآن ؟ أقول : إن شرعه وسنته حجة قائمة على الخلق ، ودائما ما أقول إن من تمام إيماننا بالغيب أننا حينما نسمع قال رسول الله ﷺ كذا وكذا .... فلكأني أرى رسول الله ﷺ أمامي يحدثني، وهذا معنى قولك **(أشهد أن محمدا رسول الله)** فسواء بلّغني رسول الله أو بلّغني من سمع من رسول الله بسند متصل صحيح فكلاهما سواء ، وهذا من الإيمان بالغيب.

أما ما يقوله المرجفون والجهلة : أنا لا أريد أن آخذ بهذا الحديث، أو نأخذ بالقرآن وندع السنة ، لا بد وأن نتطور ، هناك أحاديث لم تعد مناسبة لعصرنا وزماننا ، هؤلاء نقول لهم : رسول الله بما جاء مبلغا عن ربه حجة على العباد ، والعباد ليسوا حجة على الله ، شرع الله الحكيم الخبير منزه عن العبث والنقص ، إنما فكرنا وعقولنا هي التي فيها الضعف والقصور والجهل وعدم الفهم الكامل ، وهذا أمر قدره الله فينا ، فلما أعجز عن فهم حديث رسول الله ﷺ أو شيء من سنته لا أتهم شرع الله وسنة رسوله ﷺ أتهم عقلي أنا بالقصور.

المهمة الثانية والثالثة: ومبشرا ونذيرا

قوله تعالى : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا)[الأحزاب/45]

مبشرا البشرى هي الإخبار بالأمر السار ،والإنذار هو التخويف بشرٍّ أو عقاب مترتب على فعل ، فتجد الترغيب والترهيب سمة من سمات البيان النبوي من قال كذا فأجره كذا ، ومن فعل كذا فعليه كذا.... ثلاثة لا ينظر الله إليهم ...اجتنبوا السبع الموبقات .... ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ...

وهكذا النبي ﷺ يبشر وينذر ، يرغب ويرهب ، حتى أنه قال ملخصا هذا الكلام كله **(كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى (رفض) قالوا ومن يأبى يا**

رسول الله ؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)

ليس هناك مانع من دخول الجنة لكن بشرط طاعة الله ورسوله ، أما من عصى فقد أبى أي رفض أن يسلك الطريق إلى الجنة فالرسول ﷺ شاهدا ومبشرا ونذيرا.

وصفه في التوراة:

عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن { يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً} ، وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخَّاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صما، وقلوباً غلفاً "

سخّاب: أي كثير الصخب وهو الذي يرفع صوته في الأسواق.

المهمة الرابعة: وداعيا إلى الله

يقول تعالى : (وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا) [الأحزاب/46]

داعيا إلى الله : أي إلى صراطه المستقيم ومنهجه ، بإذنه : فما قال النبي قط كلمة من عند نفسه **(وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)** [النجم3/4] مصدر كلامه ومصدر بيانه كل من عند الله **(وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)** [النساء/113]

فالقرآن كلام الله نزل نصا فنقله النبي ﷺ إلينا كما نزل عليه ، أما السنة فإنها علم الله الذي علمه لنبيه فبينه لنا بأسلوبه وكلامه لكن كليهما من عند الله (الكتاب والسنة) والنبي ﷺ قال : ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، يقصد السنة ، وقال تعالى : **(ويعلمهم الكتاب والحكمة)** [آل عمران/164]
فالكتاب القرآن والحكمة هي السنة كما قال بذلك جمهور المفسرين.

إذن فهو داع إلى الله بإذنه ، يستمد كل العلوم التي يذكرها والشرائع والسنن مما علمه الله جل وعلا ، أي واحد فينا لما أراد أن يتعلم ويحصل على شهادة ذهب إلى جامعة وتعلم وتخرج باسم هذه الجامعة وأخذ شهادة في التخصص الذي

درس فيه ، أما حينما نقول أين تعلم رسول الله ﷺ نقول : الذي علمه هو الله جل وعلا **(وعلمك ما لم تكن تعلم)** [النساء/113]

المهمة الخامسة: وسراجا منيرا

يقول تعالى : **(وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا)** [الأحزاب/46]

السراج هو المصباح الذي يضيء في الظلماء وقال منيرا لأن هناك سراج ضوؤه ضعيف ربما لا يضيء إلا بالكاد ، لكن سراجا منيرا يعني يشع الضوء في المكان المظلم فيضيئه كله ، وهذه استعارة بأنه إذا كان السراج المنير تنكشف به الظلمة وتتبدد من المكان فإن النبي ﷺ سراجا منيرا كشف الله به ظلمة الشرك، والجهل، ودفع عن العباد كفرهم وجهلهم بالله، ولو أردنا أن نتكلم عن مجتمع مكة أو العرب بصفة عامة حينما بعث فيهم رسول الله ﷺ كانوا كما وصف الله **(وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)** [آل عمران/164]

-+

فالله سبحانه وتعالى أرسل نبينا في وسط هذه الظلمات ليبددها ، يعني سبحان الله لما تشرق الشمس ما يغني عنك ضوء الكهرباء ، لا تحتاج إليه لأن ضوء الكهرباء بالنسبة للشمس لا شيء .

كما قال الشاعر:

أغنى الصباح عن المصباح متى احتاج النهار إلى دليل

فجاء النبي ﷺ كالشمس في ضحاها ، فنور الله تعالى به القلوب ونور به طريق العباد ، والبلاد فعلم الناس مبتدأهم ومنتهاهم وغاية الله حينما خلقهم ، ومراد الله من عباده فكان سراجا منيرا ، ولذلك الآية الأخرى من سورة المائدة **(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم)** [المائدة15 /16]

والمعنى هنا كما يقولون عنه في اللغة مجاز استعارة أنه كما أن الظلمة تتبدد بضوء السراج كذلك النبي ﷺ دفع به الظلمة التي كانت في العباد من الجهل والشرك والكفر بالله.

رسول الله نور للهداية إلى الله:

وليس المقصود هنا أن النبي ﷺ كان نورا في ذاته، نورا حسيا يتحرك ، هذا من الخلط الذي خلطه الكثير من الناس ويذكرون في ذلك أشعارا كثيرا أن

النبي ﷺ مخلوق من نور.

النبي مولود من أب وأم معروفين ، وتاريخ الميلاد وتاريخ الوفاة معلومين ، فالقول بأن النبي ﷺ كان موجودا قبل أن يخلق آدم أو أنه مخلوق من نور العرش هذا كلام غير صحيح .

والنبي بشر عاش حياة كلها طبيعية طفولة وصبا وشباب ونبيء في سن الأربعين ، الناس يعرفون حياته كلها لم يكن نورا حسيا بمعنى أنه لما يتحرك يكون عبارة عن كتلة من النور تتحرك هذا غير صحيح ، وهذا مما بالغ فيه المادحون في وصف النبي أنه نور ، لكن إذا كان على سبيل المبالغة فهذا باب تتسع له اللغة العربية لكن على سبيل الحقيقة لا.

وهذا الكلام لا يقصد منه كما يفهم البعض أننا ننتقص من قدر رسول الله ﷺ كلا ، هذا بيان للحق الواضح لأن الذين بالغوا في هذه المسألة وقعوا من حيث لا يشعرون في مسألة فصل النبي عنا كبشر مثلنا ، فقالوا : إن النبي كان نورا وذاته نور وإذا مشى كان لا يظهر له ظل، وعائشة رضي الله عنها – قالت ما رأى مني ولا رأيت منه ، وهذا حديث باطل ، وأن فاطمة كانت تخيط ثيابها في الظلام ووقعت الإبرة منها ، فدخل عليها النبي ﷺ فأضاء من الغرفة كل شيء ورأت الإبرة فالتقطتها ، ولا أدري قبل دخوله ﷺ كيف كانت تخيط في الظلام أصلا ؟(وهذه أيضا قصة مفبركة)

رفع الله ذكره بأنه رسول الله:

النبي ﷺ لم يرتفع شأنه عند الله ولم يرفع ذكره بين الناس لأنه مخلوق من نور ، كلا إنما أعلى الله قدره ورفع ذكره بأنه رسول الله ، الإنسان لا يرتفع لا بأصله ولا بجنسه ، إبليس تكبر عن السجود لآدم، وقال : **(قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)** [ص/76] أنا مخلوق من النار أعلى من مخلوق الطين فقال له الله سبحانه وتعالى **(قال فاخرج منها فإنك رجيم)** [الحجر/34] لا يلتفت الإنسان لا لأصله ولا لعنصره ، حتى الملائكة المخلوقة من نور كما هي عقيدة أهل السنة – أهل التقوى والإيمان أرفع قدرا عند الله من الملائكة فليس من فطر على الطاعة كمن جاهد نفسه عليها ، الملائكة لا تعرف شيئا اسمه معصية ولا نوم ولا كسل ولا تفريط في فريضة أو تضييع لحق أوجبه الله أو فعل معصية ، الملائكة خلقوا هكذا لا يعصون الله ما أمرهم ، أما من جاهد واجتهد فهذا أفضل وأرفع عند الله سبحانه وتعالى.

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين:

قال الله تعالى : **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)** [الأنبياء/107] قال العلماء: هو رحمة قبلها من قبلها ورفضها من رفضها ، فهو رحمة للعالمين لكن هناك من جعل هذه الرحمة وبالا عليه بإعراضه عن الله ورسوله ، ومن العلماء من فسرها رحمة للعالمين بتأخير العذاب عنهم كما قال تعالى : **(وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)** [الأنفال/33]

فالرسول سبب للرحمة في أي مكان يحل به، وعلى الرغم من هذا هناك من يوصف له الدواء فيقبله وينتفع به وهناك من يوصف له الدواء فلا يقبله فيكون وبالا عليه ، هناك خلق كثير رأت الرسول وعايشته وكفرت به، وعادته وصدت عن سبيل الله سبحانه وتعالى.

الشاهد أن قوله تعالى (وسراجا منيرا) [الأحزاب/46] أي أنه نور يهتدى به في الطريق إلى الله يرفع عنا ظلمة الجهل والكفر والإعراض عن الله ويأخذ بأيدينا إلى الله فنقبل عليه وعلى شرعه ومنهجه.

ثالثا/ وراثة أمته لهذه المهام الخمس

هذه مهمة رسول الله (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا) [الأحزاب45 /46] ، وهي أيضا مهمتنا من بعده ، فقد ورثنا هذه الأمانة من رسول الله عن صحابته عن التابعين إلى يومنا هذا.

1-الأمة الشاهدة:

فهذه هي مهمة الأمة من بعده ﷺ فكما أن رسول الله ﷺ شهيدا علينا فإننا سنكون شهداء على الأمم **(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)** [البقرة/143]، **وقال سبحانه: ﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾** [الحج: 78].

والشهادة المخصوصة بها هذه الأمة شهادتان:

الأولى: شهادة الأمة المحمدية على غيرها من الأمم السابقة بتبليغ أنبيائهم لهم:

والأصل في ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك

وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟

فيقول: محمد وأمته، فتشهدون أنه قد بلغ: ﴿ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾، فذلك قوله جل ذكره: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾» أخرجه البخاري

والوسط: العدل.

الثانية في الحياة الدنيا بشهادة الناس بعضهم على بعض بالخير أو بالشر عند الموت:

والأصل في ذلك ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مر بجنازة، فأثني عليها خيرا، فقال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم: «وجبت، وجبت، وجبت»، ومر بجنازة، فأثني عليها شرا، فقال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم: «وجبت، وجبت، وجبت»

قال عمر رضي الله عنه: فدى لك أبي وأمي، مر بجنازة، فأثني عليها خير، فقلت: «وجبت، وجبت، وجبت»، ومر بجنازة، فأثني عليها شر، فقلت: «وجبت، وجبت، وجبت»؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض» أخرجه الشيخان.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة من أهل أبيات جيرانه الأدنين أنهم لا يعلمون منه إلا خيرا، إلا قال الله تعالى وتبارك: قد قبلت قولكم -أو قال: شهادتكم-، وغفرت له ما لا تعلمون» أخرجه أحمد.

2-أمة تدعو إلى الله مبشرين ومنذرين:

فمهمتنا أن نبين الحق للعباد فنبشر وننذر، وندعو إلى الله بشرعه ومنهجه، ولا نبخل بأمر بمعروف، أو نهي عن منكر، ولا نبخل أن نأخذ الناس إلى الحق الذي هدانا الله إليه، فنحن نحمل نورا يشع لجميع العباد ، هذا النور ليس منهج بشري ولا نظرية لأحد المصلحين أو المفكرين ، إنه دين الله ، منهج الله سبحانه وتعالى ، فجعل الله نجاة البشرية من الظلمات في كل عصر وفي كل مكان بهذا الشرع، وهذا الدين القويم الذي هدانا الله إليه ، فكما أن هذه صفات رسول الله ﷺ فهي صفات أمته من بعده ، فنحن شهداء ومبشرين ومنذرين ودعاة إلى الله

، قال رسول الله ﷺ **(بلغوا عني ولو آية)**

3-أمة سبب للهداية والرحمة لغيرها:

والمؤمن في كل مكان يحل فيه هو سراج منير، وسبب للهداية والرحمة، وليس سببا للنقمة فيكره الناس الإسلام في شخصه ،إنما ندعو الناس بأخلاقنا وأقوالنا وأفعالنا ، فنكون مصدر نور وهداية يشع في الظلماء فيهدي الحائرين ويرشد الضالين.
جعلنا الله خير خلف لخير سلف اللهم آمين.

الخلاصة:

أولا/ المهام الخمس للنبي محمد ﷺ هي:

1.شاهِدًا :النبي محمد ﷺ شاهد على أمته يوم القيامة، يُقيم الحجة ويشهد بما بلّغه لهم.

2.مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا :يستخدم النبي ﷺ أسلوب الترغيب والترهيب، فيُبشّر المطيعين بالجنة وينذر العاصين بالعقاب، مؤكدًا أن دخول الجنة مشروط بطاعته، ومن عصاه فقد أبى.

3.دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ :مهمته هي الدعوة إلى منهج الله وصراطه المستقيم، وكل ما جاء به من قرآن وسنة هو بوحي من الله وليس من نفسه، فالله هو الذي علّمه.

4.سِرَاجًا مُنِيرًا :النبي ﷺ هو نور يُبدّد ظلمات الجهل والشرك والكفر، ويهدي الناس إلى الحق؛ هذا النور ليس ماديًا، بل هو هداية ورحمة للعالمين، وهو سبب لتأخير العذاب عنهم.

ثانيا/ وراثة الأمة لهذه المهام

الأمة الإسلامية ورثت هذه المهام، وتعتبر خير أمة أُخرجت للناس، لأنها تضطلع بنفس الأدوار:

1.الأمة الشاهدة :الأمة المحمدية شاهدة على الأمم السابقة يوم القيامة بأن أنبياءهم قد بلّغوهم رسالاتهم. وهي أيضًا شاهدة على الناس في الدنيا بالخير أو بالشر.

2.أمة تدعو إلى الله مبشرةً ومنذرةً :تُواصل الأمة مهمة الدعوة إلى الحق، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبشير الناس بالخير وإنذارهم من الشر.

3.أمة سبب للهداية والرحمة لغيرها :يجب على المؤمن أن يكون "سِراجًا مُنِيرًا" في مكانه، أي مصدرًا للنور والهداية والرحمة، يدعو الناس للإسلام بأخلاقه وأقواله وأفعاله الحسنة.

****

(12)

الرسول القدوة ﷺ

عناصر الخطبة:

أولا/ معنى القدوة

ثانيا / القدوة وبشرية الرسول ﷺ

ثالثا/ أسرع طرق التربية القدوة

رابعا/ القدوة في اخلاقه

(12) الرسول القدوة ﷺ

عناصر الخطبة:

أولا/ معنى القدوة

ثانيا / القدوة وبشرية الرسول ﷺ

ثالثا/ أسرع طرق التربية القدوة

رابعا/ القدوة في اخلاقه

خامسا/ الاقتداء بالرسول من ثمرات حبه

أولا/ معنى القدوة

كلمة القدوة في اللغة من القدو وهو : الخطو ، فمن يقتدي بفلان يعني يتابع خطواته خطوة خطوة ، يمشي على خطاه في أثره ، فأنا مقتد بالنبي يعني على خطى النبي ﷺ ، ويظهر أثر ذلك في أخلاقك ومعاملاتك.

يقول الله سبحانه وتعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) [الأحزاب/21]

والأسوة الحسنة يقصد بها : أنه كان خير مثال يحتذى لتطبيق منهج الله.
فالله تعالى أنزل المنهج وهو القرآن وبعث نبيه محمدا ﷺ هاديا ومعلما ، فكان خير تطبيق لهذا المنهج.

كثير من المناهج والنظريات والأفكار والمبادئ تبقى حبرا على ورق لأنك لا تجد من يطبقها ، لا تجد من يبعث فيها الروح فتتحول من كلمات إلى واقع مرئي ، فتبقى المبادئ والأفكار حبرا على ورق لأنها مجرد كلمات كتبت في لحظة من لحظات الترف الفكري أو الوطنية الزائدة ....أو ما شابه ذلك.

أما منهج الله وهو القرآن فإن الله سبحانه وتعالى أرسل رسولا بشرا يطبق هذا المنهج ويعلمه للناس ويربيهم عليه ، ولذلك امتن الله سبحانه وتعالى على عباده فقال: **(كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون)** [البقرة/151]

ثانيا / القدوة وبشرية الرسول ﷺ

والبعض حينما يتكلم عن رسول الله ﷺ يحاول أن ينزع منه صفة البشرية ،

وكأنه يريد بذلك أن يرفع قدر النبي ﷺ بفصله عن بني البشر وهذا خطأ كبير ، فإن كل مخلوق خلقه الله لا يتفاضل عند الله سبحانه وتعالى بعنصره الذي خلق منه ، وأول من فعل ذلك إبليس لعنه الله حينما علا على أمر الله ، وتجبر ، ورفض أن يسجد لآدم كما أمره الله وقال في حيثيات رفضه **(أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)** [الأعراف/12]

فحينما نقول إن النبي ﷺ خلق من نور، أو لم يكن بشرا كسائر البشر ، أو أنه كان إذا مشى لم يكن له ظل ، وهذه الأمور أشبه بالأوهام من أن تكون حقائق ، وهذا كله لا يرفع من قدره ، إنما يرفع قدر النبي ﷺ أن نعلم أنه بشر مثلنا شرفه الله بالوحي **(قل إنما أنا بشر مثلكم)** [الكهف/110] فهو بشر مثلنا يأكل ويشرب وينام ويتحرك ويمشي ويصح ويمرض و...الخ

لكن مع بشريته فإن الله قد شرفه بالوحي **(يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)** [الكهف:110]

فقدر الله أن يكون النبي ﷺ بشرا لتتحقق فيه القدوة ، فيصلي النبي ﷺ ويقول : **" صلوا كما رأيتموني أصلي "** يصلي الفرائض ، ويتنفل في قيام الليل حتى تتورم قدماه ، ولما يراجع في ذلك يقول : **"أفلا أكون عبدا شكورا "**

فكان ﷺ قدوة مرئية متحركة يراها الناس فلا تجد شيئا في حياته ﷺ ، ولا قولا قاله بعيدا عن هذا المنهج الرباني **"القرآن"** ، فكان ﷺ خير معلم وخير مطبق لمنهج الله – سبحانه وتعالى – وربى أصحابه على هذا المنهج حينا بعد حين ، وكان مع هذا كله يتحلى ﷺ بالصبر والحلم والرفق والرحمة ، ولم يكن جبارا عنيدا ، ولا ظالما غليظا ، إنما كان معلما رحيما ﷺ.

إذن وصف النبي بالبشرية هذا وصف لا ينقص من قدره ﷺ ، ونزع هذا الوصف من النبي ﷺ هو نزع لمعنى الاقتداء به ﷺ .

وهناك نغمة سمعتها كثيرا من البعض : وهل نحن مثل النبي ؟ وهل سنكون مثل النبي أو نلحق به ؟

وكأن النبي ﷺ جاء بشيء مستحيل أن يطبق ، أو يفعّل ، فرسول الله بشر يطبق منهج الله ، وأصابه ما يصيب البشر من الأعراض البشرية ، ولما أراد بعض الصحابة عمل بعض الطفرات في العبادة حينما جاؤوا يسألون عن عبادته ﷺ ، فلما أُخبروا بها كأنهم تقالّوها فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل

أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً!!!

فجاء رسول الله ﷺ فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)

ثالثا/ أسرع طرق التربية القدوة

لماذا جعل الله القدوة في نبينا ﷺ ؟علماء التربية يقولون : إن التربية بالقدوة أسرع طريقة من طرق التربية لأن الناس يدركون بأعينهم أسرع من آذانهم،

لما ترى موقفا عمليا متجسدا أمامك الكل يتساوى في الرؤية ، الكل يرى ، لكن حينما تتكلم فالناس يتفاوتون في الوعي والإدراك لما قيل ولما يسمع.
فجعل الله سبحانه وتعالى التربية بالقدوة في شخص نبينا ﷺ ، والاستجابة العاجلة تأتي أكثر من الكلام ،إذا أمرت ابنك بأمر وأنت أبعد ما تكون عنه ستجد فيه تباطؤا أو رفضا داخليا لما أمرته به ،وإذا رآك لما أمرته به فاعلا له تجده سريع الاستجابة ، فكان ﷺ بهذا الشكل.

ومن علامات القدوة في رسولنا ﷺ أنك تجد فيه قدوة لجميع أنواع الناس والأطياف في المجتمع ، فهو قدوة لليتيم الذي نشأ وقد فقد أباه، وقدوة للفقير الذي عانى من الفقر قدر ما عانى في حياته ﷺ ، وهو قدوة للغني الذي أعطاه الله فأغناه فكان يجعل غناه خيرا يفيض على كل من حوله ، وهو قدوة للأب والجد والزوج ، وقدوة للإمام والمعلم والقائد.....

ولذلك سبحان الله العظيم أي واحد يقتدي بأي مربي أو شيخ تجد القدوة في ناحية واحدة ، في العلم الفلاني تتعلم على يديه مهنة أو صنعة ، لكنه لا يكون قدوة لك في العبادة ، أو يكون قدوة في العبادة ، ولا يكون قدوة في الحياة ، لأنها قدوة قاصرة محدودة ، أما رسولنا ﷺ فقد جعله الله قدوة عامة لكل المؤمنين ، فتجد جوانب القدوة متحققة في جوانب حياته كلها ﷺ ،ولذلك عصم الله نبينا من الزلل والخطأ ليتحقق التطبيق العملي للمنهج بقوله : **(وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)** [النجم4/3] أحيانا الإنسان يغضب ويكره ويصيبه بعض العوارض البشرية فمع الغضب أو الكره أو بعض الضغوط ، تصدر منه بعض الأقوال والأفعال السيئة بسبب ما حدث ، لكن النبي ﷺ في الرضا والغضب مؤيد بوحي السماء ، لا يخطئ ولا يتعمد الخطأ لماذا ؟
حتى يكون المنهج العملي أو القدوة المتحركة لكتاب الله سبحانه وتعالى ،

يقول عبد الله بن عمرو: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش ، وقالوا : أتكتب كل شيء تسمعه ، رسول الله ﷺ يتكلم في الرضا والغضب ؟ فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فأومأ بإصبعه إلى فيه وقال : " اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق "

القدوة بعد صلح الحديبية:

من الأمثلة على هذا الأمر أن النبي ﷺ خرج في ألف وأربعمائة مسلم، متجهين إلى مكة للقيام بعمرة وعلم النبي استعداد قريش للقتال وبعد مفاوضات أسفرت عن اتفاق سُمِّيَ بصلح الحديبية ، يقضي بأن تكون هناك هدنة بين الطرفين لمدة عشر سنوات، وأن يرجع المسلمون إلى المدينة هذا العام فلا يقضوا العمرة إلا العام القادم.... وغيرها من الشروط.

ولما تم الصلح بين النبي ﷺ – ومشركي قريش قام رسول الله – ﷺ – فقال: (يا أيها الناس انحروا واحلقوا)، فما قام أحد، ثم اعاد الكلام ثلاث مرات ، فما قام رجل ، فرجع رسول الله – ﷺ –

فدخل على أم سلمة فقال: يا أم سلمة ! ما شأن الناس؟
قالت: يا رسول الله قد دخلهم ما قد رأيت، فلا تكلمن منهم إنساناً، واعمد إلى هديك حيث كان فانحره، واحلق فلو قد فعلت ذلك، فعل الناس ذلك، فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحدا حتى أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق، فقام الناس ينحرون ويحلقون).

وفي هذا الموقف التأكيد على أهمية القدوة العملية، فقد دعا رسول الله ـ ﷺ ـ إلى أمر وكرره، ومع ذلك لم يستجب أحد لدعوته، فلما أقدم رسول الله ـ ﷺ ـ على الخطوة العملية التي أشارت بها أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ تحقق المراد، فالقدوة العملية أجدى وأنفع، خاصة في مثل هذه المواقف.

رابعا/ القدوة في اخلاقه

وكان النبي ﷺ قدوة محبوبة لين الجانب بالمؤمنين رؤوف رحيم كما قال الله له " **(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)** [آل عمران/159]

وكلنا يعرف قصة الأعرابي الذي تبول في المسجد فقال النبي ﷺ " **دعوه واهرقوا عليه سجلا من ماء "**

فقال الرجل بعد الصلاة " اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا " فقال

النبي ﷺ ضاحكا " لقد تحجرت واسعا "
أي ضيقت ما وسعه الله (يقصد رحمة الله) وخصصت به نفسك دون غيرك.

والآخر الذي سمع من يعطس فشمته في الصلاة وهو معاوية بن الحكم السُّلمي، وقد حكى ذلك بنفسه فقال : **بينا أنا أُصلِّي مع رسول الله – ﷺ – إذ عَطَس رجلٌ من القوم، فقلتُ: يرحمك الله، فرماني القومُ بأبصارهم، فقلت: واثُكل أمياه! ما شأنكم تنظرون إليَّ؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلمَّا رأيتهم يُصمِّتونني، لكنِّي سكت، فلمَّا صلَّى رسول الله – ﷺ – فبأبي هو وأمي، ما رأيتُ معلِّمًا قبلَه ولا بعدَه أحسنَ تعليمًا منه، فو الله ما كرهني ولا ضَرَبني ولا شتمني، قال: (إنَّ هذه الصَّلاةَ لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنَّما هو التسبيحُ والتكبير، وقراءة القرآن)**

والمواقف كثيرة جدا ، في حلمه ﷺ حينما يأتي أحد الأعراب ، والأعراب سكان الصحراء فيهم جفاوة وقساوة في الطبع فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **(كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه بردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ، فجبذه بردائه جبْذَةً شديدةً، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثَّرت بها حاشية البُرْد مِن شدَّة جَبْذَته، ثمَّ قال: يا محمَّد! مُرْ لي مِن مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثمَّ ضحك، ثمَّ أمر له بعطاء)**
وهذا الذي فعله الأعرابي فيه سوء أدب كبير في حق أي شخص عادي ، فما بالنا برسول الله ﷺ ومكانته ﷺ.

خامسا/ الاقتداء بالرسول من ثمرات حبه

ولذلك أقول : إن من ثمرات حب النبي ﷺ أن يدفع ذلك المسلم إلى الاقتداء به، وهذا الاقتداء يثمر محبة الله، والهداية، ودخول الجنة، وحسن الخلق، والحماية من الفتن، وسعادة القلب.

سأل رجل النبيَّ – ﷺ فقال: متى الساعةُ؟

قال: وما أعددتَ لها؟

قال يا رسول اللهِ، ما أعددت لها كثيرَ صيام، ولا صلاة، ولا صدقة، ولكنِّي أحبُّ اللهَ ورسولَه.

فقال: أنتَ مع مَن أحببتَ)

قال أنس: (فما فرحنا بشيء فَرَحَنا بقول النبيّ – ﷺ: أنتَ مع مَنْ أحببتَ، قال أنس: فأنا أُحِبُّ النبيَّ – ﷺ وأبا بكر وعمرَ، وأرجو أن أَكونَ معهم بحُبّي إياهم، وإن لم أعمَلْ أعمَالَهُم).

وكما علمنا الرسول ﷺ **(ثلاثٌ من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار)** فحبنا لرسول الله أن تكون محبة الله ومحبته مقدمة على أي حب، إذا كنت تحب رسول الله ﷺ فما درجة اتباعك له واقتدائك به وتخلقك بأخلاقه ، هذا هو البرهان على أنك محب له وعلى على أثره ﷺ تتابع.

حينئذ أنت ترتقي لدرجة مرافقة النبي ﷺ في الجنة كما قال الله : **(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)** [النساء/69]

خلاصة الخطبة:

1-القدوة لغةً :هي اتباع خطوات شخص ما والسير على خطاه، أي تطبيق ما يقوم به في حياتنا وأخلاقنا.

2-الرسول ﷺ هو "أسوة حسنة"، للمؤمنين أي خير مثال لتطبيق منهج الله (القرآن الكريم) وتحويله من مجرد كلمات إلى واقع عملي مرئي.

3-وصف الرسول ﷺ بأنه بشر لا ينقص من قدره، بل هو سر كونه قدوة لنا يمكننا الاقتداء بها، لأننا نرى تطبيق المنهج الإلهي في حياته اليومية.

4-القدوة أسرع طرق التربية؛ فإن علماء التربية يؤكدون أن التربية بالقدوة أسرع وأكثر تأثيراً من التربية بالكلام، لأن الناس يتأثرون بما يرونه أكثر مما يسمعونه.

5-الرسول ﷺ قدوة شاملة ؛ ليس قدوة في جانب واحد، بل هو قدوة لجميع فئات المجتمع في كل الأدوار الحياتية: هو قدوة لليتيم، والفقير، والغني،

والأب، والزوج، والقائد، والمعلم.

6-عصم الله الرسول ﷺ من الخطأ في أقواله وأفعاله حتى يكون قدوة عملية كاملة للمنهج الإلهي، وحتى لا يشك أحد في صحة ما يأتيه من الوحي.

7-الأخلاق النبوية :كان الرسول ﷺ قدوة في أخلاقه السمحة، وكان رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين.

8-الاقتداء بالرسول من ثمرات حبه، وهذا الاقتداء يؤدي إلى محبة الله، والهداية، وحسن الخلق.

9-الاتباع دليل صدق المحبة ، فحب الرسول ليس مجرد شعور، بل هو تطبيق عملي لمنهجه وأخلاقه، وهذا ما يجعل المسلم مؤهلاً لمرافقته في الجنة.

****

(13)

أخوة محمد والمسيح عليهما الصلاة والسلام

عناصر الخطبة:

أولا/ نؤمن بجميع أنبياء الله

ثانيا/ مكانة عيسى عليه السلام

ثالثا/ ما سبب تعدد الأسماء اليهودية، والنصرانية، والإسلام؟

رابعا/ الطائفية مصيبة كبرى

خامسا/ تعالوا إلى كلمة سواء

(13) أخوة محمد والمسيح عليهما الصلاة والسلام

عناصر الخطبة:

أولا/ نؤمن بجميع أنبياء الله

ثانيا/ مكانة عيسى عليه السلام

ثالثا/ ما سبب تعدد الأسماء اليهودية، والنصرانية، والإسلام؟

رابعا/ الطائفية مصيبة كبرى

خامسا/ تعالوا إلى كلمة سواء

أولا/ نؤمن بجميع أنبياء الله

نحن المسلمين نحب جميع أنبياء الله، ونكرمهم ونجلهم ونؤمن بهم جميعًا؛ ، من أول أبينا آدم إلى خاتمهم محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285]

وكل الأنبياء جميعًا دينهم الإسلام، لم يأتِ نبي بدين غير الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: 19]

و ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]

ما جاء نوح إلا بالإسلام قال الله جل وعلا – وذلك حكاية عنه**{وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [يونس: 72]**

وما جاء إبراهيم إلا بالإسلام قال الله حكاية عنه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا

مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 127-128]، **وبعدها قال الله عز وجل:** ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 131-132]

وجاء يعقوب بالإسلام ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 133]

وما جاء يوسف إلا بالإسلام قال الله عز وجل حكاية عنه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: 101]

وما جاء سليمان إلا بالإسلام قال الله حكاية عن ملكة سبأ في سورة النمل ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 29-31] ولما آمنت بالله ورسوله قالت: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: 43-44]

وما جاء موسى إلا بالإسلام قال الله عز وجل حكاية عنه في سورة يونس ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 84]

وما جاء عيسى إلا بالإسلام قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 52]

وجاء لبنة التمام ومسك الختام محمد ﷺ بالإسلام، وخاطبه ربه جل وعلا بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ

الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: 3]

والإسلام يُطلق لمعنيين:

الأول: الإسلام الخاص المشتمل على هذه الشريعة التي نعلمها، وفيها الصلوات الخمس ، والزكاة ، وصوم رمضان ، والحج على الصفة التي بينها النبي ﷺ ، وفيها أحكام المعاملات والجنايات وغير ذلك ، هذا الإسلام الخاص هو الدين الذي جاء به محمد ﷺ.

الثاني: الإسلام العام الذي يقوم على توحيد الله تعالى ، واتباع رسوله المرسل من عنده ، وهو دين جميع الأنبياء ، صلوات الله عليهم ، دين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم.

ولهذا كان الاسم العلم على هذا الدين هو " الإسلام " ، وأصحابه هم " المسلمون " ؛ قال الله تعالى : ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [الحج: 78]

ثانيا/ مكانة عيسى عليه السلام

في الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل.) صحيح البخاري

وقال أيضا: (أَنا أَوْلى النّاسِ بِعيسى، الأَنْبِياءُ أَبْناءُ عَلّاتٍ، وَليسَ بَيْنِي وبيْنَ عِيسى نَبِيٌّ (.صحيح مسلم ، وفي لفظ: "إخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد."

"أنا أولى بعيسى بن مريم" أي: أخصّ الناس به، وأقربهم إليه؛ لأنه بَشَّر بأنه يأتي من بعده رسول اسمه أحمد، قال تعالى عن عيسى: **"وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ" (الصف: 6).**

ولأنه ليس بينه وبين النبي ﷺ نبي، ولد نبينا ﷺ سنة 610 ميلادية، وبعد ذلك

بُعث نبيًا في الأربعين من عمره، فليس بينهما نبي.

وكان النبي ﷺ يقول: "أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى"، دعوة إبراهيم عندما دعا وقال: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 129]

نبي الله عيسى من أولي العزم الخمسة:

ما معنى "أولو العزم"؟ أي أعلى الرسل رتبةً ودرجةً عند الله.

من هم أولو العزم؟

أولهم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم خاتمهم محمد صلى الله عليهم أجمعين. قال تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: 7]**

ومن شرف سيدنا محمد ﷺ أنه بُعث آخرهم، ولكنه ذُكر أولهم.

ونبي الله عيسى له مكانة عظيمة في الإسلام، لأنه آية من آيات الله: آية في مولده، وآية في مبعثه، وآية في رفعه، وآية في عودته آخر الزمان ليقتل المسيح الدجال، كعلامة من علامات الساعة الكبرى، **قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: 61]**

وذُكر نبي الله عيسى في القرآن 25 مرة، وذكرت أمه الطاهرة الصديقة البتول مريم 34 مرة.

وسُميت سورة كاملة باسم جدّه عمران؛ من هو عمران؟

عمران هو زوج أم مريم، وقد سميت سورة كاملة من السبع الطوال باسم "آل عمران" نسبة إلى عمران وزوجته وابنته مريم وعيسى عليهم السلام.
كما سميت سورة أخرى في القرآن باسم "سورة مريم".

ولا توجد سورة في القرآن باسم أهل النبي ﷺ كآل عمران، وجاءت سورة باسم مريم، وليست هناك سورة باسم آمنة بنت وهب مثلًا.

وجاءت سورة من السبع الطوال أيضًا هي "سورة المائدة" التي تحكي معجزة

من معجزات نبي الله عيسى، وهي معجزة المائدة.

إذن، النبي ﷺ بيّن أنه أحق وأولى بعيسى بن مريم، لأنه ليس هناك نبي بينهما، وعيسى بشّر بالنبي محمد ﷺ.

ثم قال رسول الله ﷺ: "والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد"

"إخوة لعلات"؟ يعني أن الرجل الذي تزوج بأكثر من امرأة وله من كل امرأة أولاد، فإن هؤلاء يُسمون عند العرب إخوة لعلات، لهم أب واحد وأمهات متعددة.

فدينهم واحد وهو الإسلام، ولكن شرائعهم مختلفة؛ مثل ماذا؟

-في زمن أبينا آدم، لم يكن هناك إلا آدم وحواء، على ما يذكر المؤرخون، كان أبناء البطن الأول يتزوجون من أبناء البطن الثاني من حواء، هذا في شريعتنا الآن حرام، حرام على الرجل أن يجمع بين أختين في وقت واحد.

-سيدنا يعقوب، التوراة ذكرت أنه تزوج أختين: ليا وراحيل ، عندنا في شريعتنا محرم قال تعالى: **"وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ"** (النساء: 23).

-نقرأ في سورة سبأ أن الشياطين كانوا يعملون لسيدنا سليمان تماثيل . **قال تعالى: "يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ"** (سبأ: 13). في شريعتنا الآن، التماثيل حرام، واستُثني فقط لعب الأطفال مثل الدمى أو العرائس.

-سيدنا موسى، عندما أهدى الله لنبينا ﷺ خمسين صلاة في اليوم والليلة، سأله: ماذا أهداك ربك؟ قال: خمسين صلاة في اليوم والليلة. فقال: إن بني إسرائيل كُتب عليهم ركعتان بالغداة (أول النهار)، وركعتان بالعشي، فلم يقوموا بهما. فقال: "ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف"؛ فبنو إسرائيل كانت عندهم أربع ركعات فقط، ونحن عندنا 17 ركعة.

إذًا، فأصول الدين ثابتة ما في رسول جاء يقول للناس: **"أنا الله" أو "أنا ابن الله" .**

-سيدنا عيسى، لما نطق في المهد، قال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: 30]

-و "وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ"

(هود: 50).
- "وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ" (هود: 61).
-إلى آخر الرسل، كلهم جاءوا بدعوة التوحيد: "لا إله إلا الله" قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]

والأنبياء متفقون على أصول الدين مثل الصلاة والزكاة: سيدنا إسماعيل، مثلًا، كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: 54-55]

وسيدنا عيسى لما نطق قال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: 30-31]

فأصول الدين فيها صلاة، وفيها صوم، قال تعالى: **"كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ"** (البقرة: 183)وفيها زكاة وحج، لكن تفاصيل الشريعة هي التي تختلف.

إذًا، فالأنبياء شرائعهم متعددة، لكن الدين واحد.
ولذلك، العلماء الذين وضعوا التأصيل الشرعي قالوا: من الأخطاء الإعلامية المتكررة قولك **"الديانات السماوية الثلاث"**. لأنه يريد الإشارة إلى أن اليهودية صحيحة والنصرانية صحيحة والإسلام صحيح، وكأن كل واحد يعبد الله بالطريقة التي يراها مناسبة!! كلا ؛ فمن تمام الإيمان بالله أن تعتقد أنه لا إله إلا الله، وتكفر بكل ما يُعبد سواه.

لماذا؟

لأن شريعة الإسلام جاءت مهيمنة على ما سبقها، فكل من كان على اليهودية أو النصرانية أو غيرها من الديانات، وجاء في زمن النبي محمد ﷺ أو بعده، وجب عليه أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

هذا ما أخذ الله به العهد والميثاق على الأنبياء. قال تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ**

النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: 81]

ثالثا/ ما سبب تعدد الأسماء: اليهودية، والنصرانية، والإسلام؟

لأن كل نبي كان يُبعث في مكان محدد مثل ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [الأعراف: 65]﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ [الأعراف: 73]،

وهكذا، كل نبي بُعث إلى قومه خاصة، حتى سيدنا عيسى لم يُبعث للعالم أجمع، سيدنا عيسى، قال: **(لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة.)** [17]

فما يفعله النصارى من تبشير بالمسيحية، والكلام عن عبادة الصليب، ونشرها في أرجاء العالم، كلام غير صحيح، ولا يتوافق هذا مع ما جاء بها عيسى، لأنه كان نبيًّا لقوم محددين(بنو إسرائيل)، ولم يأتِ للعالم أجمع، لكنهم ينشرون المسيحية، ويبشرون بعبادة الصليب، ويذهبون إلى مجاهيل إفريقيا، ويغرون الناس بالمال أو بالبعثات الطبية، والإيمان لا يُفرض بالإغراء، لأن العقيدة شيء ينعقد عليه القلب؛ أنا أقدر أن أغريك أن تلبس جاكيت ماركة كذا، هذا ممكن أن تغريني بالمظاهر لكن الدين؟ هل تغريني أن أكون مؤمنًا بالفلوس؟ هذه عقيدة! العقيدة لا يصلح فيها التزييف أو التزوير.

ولذلك، كان هناك داعية أمريكي مسلم يحكي يقول : إنه لما راح إندونيسيا، وجد أن هناك قرية بأكملها التنصير فيها على قدم وساق؛ ينزل المبشرون القرية، والناس تعاني من الفقر، فيغرونهم بالأموال، والناس محتاجة، ومع

---

[17] النص موجود في إنجيل متى – الإصحاح 15 – العدد 24، وجاء هذا الكلام عندما جاءت امرأة كنعانية (ليست من بني إسرائيل) تسأله أن يمسح على ابنتها المريضة، فقال لها أولاً هذه العبارة، ثم بعد إصرارها وإيمانها مدح إيمانها ولبّى طلبها : والنص هو: ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيدا. وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة: "ارحمني يا سيد يا ابن داود. ابنتي معذبة بشدة من شيطان" فلم يجبها بكلمة. فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين: "اصرفها، لأنها تصيح وراءنا فأجاب وقال: "لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة".

الجهل وضعف الدين، يدخلون في النصرانية.

وذكر أنهم في مرة، نصّروا قرية بأكملها وأعطوا كل أسرة 30 ألف دولار، وأتى كبير المبشرين على مستوى العالم، وعملوا احتفالًا كبيرًا؛ قرية بأكملها تنصرت.

فالمبشر الكبير سأل رجلًا كبيرًا قاعد قدامه: "ها، تنصرت وآمنت بالمسيح؟" قال: "طبعًا." قال له: "أخذت الـ 30 ألف دولار؟" قال: "آه، طبعًا." قال له: "ناوي تعمل إيه؟" قال: "ناوي أحج إن شاء الله."

ضيع الدنيا! ضيع الدنيا! أخذ الـ 30 ألف دولار ليحج. لا إله إلا الله!

ما توحدوا الله يا رجالة :

ذكرني هذا المشهد بقصة طريفة ذكرها الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله ، قال: أتوا في القاهرة بواحد منصر ليلقي محاضرة عن التثليث والصلب والفداء، فجمعوا له عمال من المقاهي وبعض الأماكن اللي يقعد فيها العمال باليومية.... قالوا: "هل تأتي تسمع محاضرة وتأخذ مبلغ محترم؟ فبدأوا يجمعون الناس حتى جمعوا عددًا كبيرًا، الراجل لما رأى كثرة العدد، أعجبه الموضوع، وتكلم عن التثليث وابن الرب والروح القدس، وأم الإله ثلاث ساعات!!
فجأة أصابته شرقة... فلما أتوا له بالماء ليشرب ساد القاعة صمت كبير؛ فقام أحد العمال قائلا: "ما توحدوا الله يا رجالة!" الراجل قلب الطاولة ومشي!

فالعقيدة تُبنى على الإيمان والاقتناع، ولا يُجبر أحد عليها.
نحن عباد لله على دينه، وشريعته وهو سبحانه قادر على أن يجبرنا ألا نخالفه ولا نعصيه طرفة عين، كالملائكة، ولكن كما قال العلماء: أراد الله تعالى أن يُعبد اختيارًا لا اضطرارًا، أن تأتي إلى الله بإرادتك وباختيارك، وجعل الله الدنيا دار ابتلاء وتكليف، ثم الجزاء يوم القيامة.

لا إكراه في الدين:

ولذلك، الشيء بالشيء يُذكر: ليس من حقي كمسلم أن أفرض ديني على أحد، لا بإغراء، ولا بمال، ولا بمنفعة، ولا بتهديد بالسجن، أو بالاعتقال، أو بالنفي، أو بالقتل، هذا ليس من حقي.

قال ابن عباس رضي الله عنهما أن المرأة من الأنصار قبل مجيء دين الإسلام تكون مقلاتًا أي لا يعيش لها ولد، فتكاد تهلك نفسها من موت الأولاد، فتجعل

لله على نفسها نذرًا إن عاش لها ولد، سواء كان ذكرًا أو أنثى أن تعلمه اليهودية وتحمله عليها، فلما أخرجت من أوطانهم يهود بنو النضير حين غدروا بالنبي ﷺ بعد أحد وأظهروا العداوة بعد أن كانوا صالحوه، وكان في بني النضير أبناء تهودوا من الأنصار الذين أسلموا، فقال الأنصار الذين أسلموا :لا نترك أبناءنا الذين هُوِّدوا قبل مجيء الإسلام يذهبون معكم، وهو على حكم اليهودية، بل نكرههم على حكم دين الإسلام ونأخذهم، فأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: 256]

ولم يكن النبي ﷺ في يوم من الأيام يُمسك أحدًا ويقول له: "تسلم أو أضرب رأسك بالسيف." هذا لم يحدث لماذا؟

لأن لو المسألة بالإكراه، لكان الله أولى بذلك؛ أن يجبر عباده على الإيمان به سبحانه.

لكن كانت مهمة رسول الله البيان: **"مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ"** (المائدة: 99).وقال تعالى: **"لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ"** (الغاشية: 22). وقال: **"وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ"** (ق: 45).

إذن، حتى نفهم الموضوع: هناك من يُخالفني في الدين، لكن هل معنى ذلك أني أكرهه أو أعاديه أو أستحل دمه؟

هذا فكر بعيد كل البعد عن الإسلام، شخص وسِعَه الله في ملكه، وهو سبحانه الذي يحاكم العباد ويقضي بينهم بالحق يوم القيامة.

وبين الله لنا في القرآن السنة الكونية:]﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: 29] وقال: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [التغابن: 2]

إذن، فمهمتي ليست إكراه الناس على الدين، ولو خالفني؟ أعطيه الحرية في ممارسة ما يعتقد، ولا أعتدي عليه، ولا على بيته، ولا ماله، ولا عياله، ولا تجارته، ولا على مكان عبادته، ولا على أي شيء من هذا القبيل.

ومن اعتنق دينا غير الإسلام إما أن تحاوره محاورة هادئة فيها حجة وبيان، ويقتنع أو لا يقتنع، أو تتركه يعبد ربه كما يشاء، لأن الله أعطاه الحرية في

الاختيار، فلا يحق لي أن أكرهه أو أقهره أو أمنعه أو أشعل النار في مكان عبادته أو أعتدي عليه.
نحن في مصر، يحصل عندنا في الصعيد مثلًا، مناطق فيها أغلبية من المسيحيين أحدهم يرى الدنيا هادئة، شيطان من شياطين الإنس، يقول: "انتبه! واحد مسيحي نزع حجاب واحدة مسلمة في السوق." من المسيحي؟ ومن المسلمة؟ وإيه اللي جرى؟ وإيه اللي حصل؟ لا أحد يسأل.

احمل السلاح واجري. أشعل النار، واضرب نار، واقتل كل مسيحي تقابله.

والعكس يحدث انتبه! هذا واحد مسيحي كان في السوق والمسلمين اجتمعوا عليه وضربوه."
والنصارى يقومون أيضا بعمل نفس الشيء، وتبدأ المشاكل، فالعزف على وتر الطائفية هذا مصيبة كبيرة، مصيبة عظيمة.

رابعا/ الطائفية مصيبة كبرى

عندما تصل الأمور بالناس إلى هذا الحد، فاعلم أن المصيبة عظيمة، والعجيب أنه لما وقعت المواجهات بين أهل السنة وحزب الله (الموالي والموجه من إيران)، وجدناهم يُطلقون أسماء مثل "الفيلق الزينبي" والفيلق الفاطمي" على ميليشياتهم المسلحة.... ماذا يفعلون ؟

يدخلون البيوت فيقتلون أهلها، ويلقون البراميل المتفجرة، ويقتلون أهل السنة، رجالًا وشيوخًا وصغارًا، وكل ذلك باسم أهل البيت.

هل تعتقدون أن ما تفعلونه يرضي الله عز وجل ورسوله؟ أو أنه يُفرح أهل البيت؟ مستحيل، والله العظيم، مستحيل!

فقتلوا الناس باسم آل البيت، وأشعلوا النيران في بيوتهم باسم آل البيت، وعذبوا الناس في السجون عذابًا أليمًا.

ربما سمعتم عن "سجن صيدنايا" وغيره، أو عن "فرع فلسطين "أنا والله قرأت مذكرات واطلعت على تاريخ الطغاة والظالمين، وما رأيت أظلم ولا أفسق مما فعله هؤلاء.

يحكي أحدهم، وهو يقسم بالله، أنه كان يصلي في زنزانته، فرآه الحارس فقام الحارس بجلده ألف جلدة! ألف جلدة! والله، لو كنت تضرب في جدار، لهُدمت الجدران. لا إله إلا الله.

وهذا غير التعذيب باستخدام البنادق، حيث يكسرون للضحايا أضلاعهم بالضرب بالبنادق... يُخرجونه من السجن مكسورًا، ضلوعه مكسرة، اثنين أو أربعة أو خمسة."

وأحد من هؤلاء السفهاء كان مسؤولًا عن الطعام في السجن، يقول: "كان السجناء جوعى، وليس لديهم أي أوانٍ ليضعوا فيها الطعام، فقام بالتبول على الطعام وأعطاهم إياه!"

هذه الأمور تجعلني أشعر بالغثيان... عندما أشاهد هذه الأشياء أو أسمع عنها، والله، لا أستطيع أن أكمل؛ فالطائفية مصيبة كبرى.

فرض ما تعتقده على الناس بالسلاح هذا شيء الله جل جلاله لم يأذن به.
يسجنون الناس، ويقولون: "ممنوع الكلام!" ولو ثبت أن شخصين تحدثا معًا، يُقتلان فورًا.

يا أخي، حتى أهل النار يتكلمون! ربنا جل جلاله ذكر أن أهل النار يتكلمون مع بعضهم في القرآن، أما في سجون الظلمة، ممنوع الكلام، وكأنك لم تكن كائنًا حيًا يتحدث أصلًا، ممنوع أن ترفع عينيك في وجه الحارس.... أقصى ما يُسمح لك به هو النظر إلى ركبته، ولو التقت عينك بعينه، يصوب السلاح عليك فورًا.

هذه هي الطائفة التي حكمت سوريا، وعذبت الناس، وحرمتهم من أبسط حقوقهم ، وعاش الناس تحت حكمها 40 أو 50 سنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أعود مرة أخرى لأقول: يا إخواني، أن يخالفني غيري في الدين، فهذا اختياره؛ أنا لا أرضى بما يُعبد غير الله، ولا أعتقد بما يعبدونه، ولا يخطر ببالي – والحمد لله – أن أكون يومًا على ما يعتقدون؛ لكن هذا لا يعني أبدًا أنني أستحل دمهم، أو أعتدي عليهم، أو أسجنهم، أو أقهرهم، أو أحرمهم من حقوقهم.

خامسا/ تعالوا إلى كلمة سواء

هناك نقاط التقاء بيننا: نحن مثلًا نعيش في بلد مثل كندا، أو المغرب، أو مصر، أو أي بلد فيه تعدد أديان.

لو قلنا، مثلًا، تعالوا نضع أيدينا في أيدي بعض ضد الطائفية، فهذا شيء مطلوب وليس مرفوضًا.

نحن لا نريد أن نصبح مجتمعًا واحدًا أو أمة واحدة في الاعتقاد، ولكننا نريد أن

يعيش كل واحد بحرية اعتقاده، دون أن يعتدي أحد على أحد.

عندما يصبح المجتمع قائمًا على ميزان العدل، ويتفق الجميع على أنه لا مكان للطائفية، فهذا هو المطلوب هذه نقطة التقاء.

بصراحة، أنا أفخر بكندا لما حصلت حادثة كيبيك سيتي وقتل عدد من الإخوة المصلين...[18]، كندا كلها وقفت بجانب المسلمين. والحكومة وقتها أدارت الأزمة باقتدار، وبتقدير كبير واحترام واضح للمسلمين.

الاتفاق على مواجهة الإلحاد:

نقطة أخرى للالتقاء هي أننا – كأهل دين وعقيدة – يمكننا أن نحارب الإلحاد.
الإلحاد مصيبة كبيرة. مثلًا، هنا في كندا، أو في أي بلد آخر، الناس لديها أسباب تمنعها من الخطأ أو الجريمة: إما خوف من الله، أو خوف من القانون.
لكن، ماذا عن شخص لا يؤمن بالله أصلًا؟
قد يخاف من القانون، لكنه يمكن أن يتمرد عليه، وإذا قُدّر العقاب، فلا مشكلة لديه.
خذ مثلًا الرجل الذي اقتحم سوق عيد الميلاد في ألمانيا كان ملحدًا بمعنى الكلمة، حتى النصارى لم يعجبوه دخل السوق وقتل 17 شخصًا على ما أذكر، غير الجرحى والحالات الحرجة.

لماذا؟ لأن هؤلاء كانوا يشترون لوازم عيدهم. ما ذنبهم؟

ثم نكتشف أنه طبيب نفسي سعودي، ملحد، يميني شعوبي متطرف، يريد طرد المهاجرين من ألمانيا رغم أنه أحد المهاجرين! لا إله إلا الله.

طبيب نفسي؟ يعني، هل أنت أُصبت بعدوى من مرضاك؟ أم ماذا حدث لك؟ هذه الظاهرة تحتاج معالجة، يا إخواني.

ظاهرة الإلحاد مصيبة كبرى، الإنسان الملحد لا يملك خطوطًا حمراء.
انظر إلى الصين، لأنهم ملحدون، انظر كيف تسير أمورهم! أمورهم وصلت إلى الجنون. يقولون إن الأجنة تُباع هناك كمصدر أساسي للبروتين! يأكلون الأجنة!

---

[18] كان هذا الهجوم على مسجد كيبيك 2017 عندما قام مسلح بإطلاق نيران كثيفة في مساء يوم 29 يناير، 2017 في المركز الثقافي الإسلامي في مدينة كيبيك، قُتل فيه 6 أشخاص وجرح 17 شخص .

لا للإرهاب:

لدينا الجانب الأخلاقي المجتمعي، مثل: لا للإرهاب، الإرهاب بمعنى أن أي شخص، أيًّا كان دينه، يعتدي على أصحاب دين آخر، أو يعتدي على مكان عبادة. عندي حرمة المسجد مثل حرمة أي مكان عبادة آخر.
لا يجوز أبدًا أن يدخل الناس إلى مكان عبادة ليمارسوا شعائر دينهم – سواء كنت توافقهم أو تخالفهم، تحبهم أو تكرههم – ثم تعتدي عليهم.

كيف تتحول الأعياد إلى مواسم لسفك الدماء؟

هذا حدث في أكثر من بلد. مثلًا، في مصر، الجماعات الإرهابية كانت تستغل أعياد الميلاد.
يعلمون أن الناس تتجمع في الكنائس، فيضعون سيارة ملغمة ويفجرونها.
ما الذي استفدته؟ لماذا تحوّل فرحة الناس بعيدهم إلى حزن ومأساة؟
بالإضافة إلى التأثير السلبي والعكسي على دينك.
الناس تدخل الكنيسة لتعبد الله وفق رؤيتهم الخاصة أنت ما شأنك بهم؟ يجب أن تكون أيدينا معًا على هذا الأساس.

إذن : لا للطائفية، لا للإلحاد لا للإرهاب.

نصرة غزة:

عندنا، مثلًا، قضية أخرى مشتركة، وهي ما يحدث في غزة.
ما يحدث هناك مصيبة كبرى. حصار على 2.5 مليون إنسان.
الطيران يقصفهم بالصواريخ ليل نهار.الناس مشردة، تتحرك من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب.

لا شوارع آمنة، ولا مدارس الأونروا آمنة، ولا الملاجئ آمنة، ولا أي شيء أمن، ويُحاصرون في الماء والطعام، ويُميتونهم بالبطيء.هذا الأمر مستمر منذ أكثر من سنة، والجريمة تُرتكب على مرأى ومسمع من العالم.لأن الفاعل يتمتع بحصانة، فإنهم يغضون الطرف عنه.

هذا الأمر يحتاج أن يتكلم الناس الذين لديهم إنسانية وضمير، ويطالبون بوقف الحرب، ووقف نزيف الدماء، وفك الحصار عن هؤلاء الناس.

في الختام أريد أن أقول:

هناك أمور مشتركة ليس معنى أننا مختلفون في الدين أننا أعداء أو

متخاصمون.
نحن نعيش في أرض واحدة، في بلد واحد، فلابد أن تكون هناك مشتركات إنسانية.
غير العلاقات التجارية والبيع والشراء والعمل والدراسة والجيرة، يجب أن نركز على القواسم المشتركة.

باسم أهل العقيدة في كل مكان، يجب أن نحترم بعضنا البعض.
لا يُسفّه أهل هذا الدين، ولا يُعتدى عليهم، ولا يُسمح للإعلام بالسخرية منهم أو التهكم على ما يعبدون.

لا يجوز استحلال دمائهم أو الاعتداء عليهم، ولا شحن الصدور ضدهم، ولا إشعال الفتن الطائفية، ولا نشر الإلحاد والكفر بين الناس.
بهذا الشكل، نحقق رسالتنا فنحن خير أمة أُخرجت للناس برسالة الخير والسلام.
قال تعالى: **"كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ"** (آل عمران: 110).

خير أمة تحمل الخير:

أمتنا أُرسلت رحمةً للعالمين، كما قال الله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ" (الأنبياء: 107)وقد قال العلماء: كما أن رسولنا ﷺ رحمة للعالمين، يجب أن نكون نحن أيضًا رحمةً للعالمين.

أنت كمسلم، يجب أن تكون رحيمًا بزوجتك، وأولادك، وجيرانك، وزملائك في العمل أو الدراسة، وكل من تلتقي به، حتى الكائنات الحية، الطيور، البهائم، والنباتات، يجب أن تشملهم الرحمة.

قال أحد الشعراء:

أنا نفسٌ محبةٌ كلّ خيرٍ، كلّ شيءٍ، حتى صغير النبات

الخلاصة:

1. نحن المسلمين نؤمن بجميع أنبياء الله ورسله، من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم، دون تفريق بينهم. فكل الأنبياء جاؤوا بدين واحد وهو الإسلام، الذي يعني الاستسلام لله وتوحيده.
2. نبي الله عيسى له مكانة عظيمة في الإسلام: فهو من أولي العزم من

الرسل، وذُكر في القرآن الكريم 25 مرة، وذُكرت والدته مريم 34 مرة. وقد بشَّر عيسى بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقال عنه النبي محمد: "أنا أولى الناس بعيسى"؛ لأن الأنبياء أخوة من أب واحد (دينهم واحد) وأمهاتهم شتى (شرائعهم مختلفة).

3.وحدة الدين واختلاف الشرائع :على الرغم من أن الدين واحد، وهو الإسلام، فإن الشرائع اختلفت من نبي لآخر لتناسب كل قوم.

4.لا يُجبر أحد على اعتناق دين الإسلام، فالعقيدة لا تُبنى بالإكراه أو بالإغراء المادي، وإنما بالاقتناع والإيمان.

5.الطائفية مصيبة كبرى تُشعل الفتن، وتُؤدي إلى الاعتداء على الآخرين، واستحلال دمائهم وأموالهم، وهذا يتنافى تمامًا مع مبادئ الإسلام.

6.هناك قواسم مشتركة يمكن العمل عليها من أجل التعايش السلمي. من هذه القواسم:

- محاربة الطائفية والإرهاب :الاتفاق على نبذ العنف والاعتداء على أماكن العبادة أو الأشخاص بسبب اختلافهم الديني.
-مواجهة الإلحاد :التعاون في مواجهة ظاهرة الإلحاد، التي تُجرّد الإنسان من قيمه الأخلاقية والدينية.
- نصرة المظلومين :الوقوف مع القضايا الإنسانية المشتركة، مثل ما يحدث في غزة، والمطالبة بوقف الحرب ونزيف الدماء، بصرف النظر عن الدين أو العرق.

7.يدعو الإسلام إلى أن يكون المسلمون رحمة للعالمين، وأن تكون العلاقة مع الآخرين قائمة على الاحترام والعدل والتركيز على القواسم

المشتركة، بدلًا من الخلافات، ليعم الخير والسلام.

نسأل الله سبحانه وتعالى

أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

ونسأل الله أن يحفظ إخواننا في سوريا،

وينزع فتيل الأزمة الطائفية والحرب الأهلية،

ويقيهم شر الأعداء ومكرهم.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يُفرج الكرب عن إخواننا في غزة،

وأن يجعل لهم فرجًا ومخرجًا قريبًا.

ونسأل الله أن يجعل كندا بلد أمن وأمان وسلام.

****

(14)

ماذا قدم رسول الله ﷺ للعالم ؟

عناصر الخطبة:

أولا/ تحرير العقول من الخرافة ودعوتها إلى التوحيد

ثانيا/ تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة

ثالثا / إكرام المرأة وإعطاؤها حقوقها

رابعا/ نشر الأخلاق الفاضلة والقيم الإنسانية

(14) ماذا قدم رسول الله ﷺ للعالم ؟

تمهيد:

عندنا سؤال يطرح نفسه، وهو:ماذا قدم رسول الله ﷺ للعالم؟
وهذا سؤال دائمًا يُطرح عند الكلام عن الذين يُسمّون بالعباقرة والقادة والمصلحين والمنظّرين، لكن الفارق بين هؤلاء وبين رسول الله ﷺ أن رسول الله جاء بمبادئ وقيم ليطبّقها، لا لينظّر بها أمام الناس، فالنظريات، والأقوال المأثورة، والفلسفات تُسطّر في الكتب، ثم يحاكيها وينقلها بعض التلاميذ، لتصبح جزءًا من التراث المعروف لدى البشرية، أو ثقافة موروثة من خلال الثقافات الكثيرة جدًا للبشرية.

جاء رسول الله ﷺ بمنهج مستمد من الله عز وجل، فكان المعلم الأول لرسول الله ﷺ، رب العالمين: قال تعالى: **"وعلمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيمًا"** [النساء، الآية رقم 113.]
فجاء منهج الله تعالى على يد نبيه ﷺ حينما ابتعثه، فغيّر وجه الدنيا، بل وغير مجرى التاريخ، وسأشير في هذا اللقاء إلى بعض اللمحات، وإلا فإن الموضوع طويل ويحتاج إلى كلام كثير:

عناصر الخطبة:

أولا/ تحرير العقول من الخرافة ودعوتها إلى التوحيد

ثانيا/ تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة

ثالثا / إكرام المرأة وإعطاؤها حقوقها

رابعا/ نشر الأخلاق الفاضلة والقيم الإنسانية

أولا/ تحرير العقول من الخرافة ودعوتها إلى التوحيد

هل تتخيّلون أن البشرية انحدرت إلى مدى أن الرجل كان ينظر إلى حجر فيعجبه فيعبده، والعياذ بالله؟

والأعجب من ذلك أنه يعتقد أن هذا الحجر قادر على أن يستمطر به السماء، وأن يشفي المرضى، بل والأعجب أنه يستشيره! نعم، كانوا يستشيرون الأحجار والآلهة (أو التماثيل بالمعنى الأدق) في أمورهم، وربما وافقت

الأحجار أو لم توافق حسب زعمهم.

وكان جل عرب الجزيرة يعبدون الأصنام ويصنعونها من كل شيء حتى من الأشياء التافهة، يصور لنا بعض ذلك أبو رجاء العطاردي رضي الله عنه[19] ، فيقول كما في صحيح البخاري وغيره **"كُنَّا نَعْبُدُ الْحَجَرَ فَإِذَا وَجَدْنَا حَجَرًا هُوَ أَخْيَرُ مِنْهُ أَلْقَيْنَاهُ وَأَخَذْنَا الْآخَرَ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجَرًا جَمَعْنَا جُثْوَةً (كومة أو كثبة) مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ جِئْنَا بِالشَّاةِ فَحَلَبْنَاهُ عَلَيْهِ ثُمَّ طُفْنَا بِهِ.."**

ونقل الحافظ ابن حجر في الفتح عن القرطبي قوله " إن أهل الجاهلية كانوا يعملون الأصنام من كل شيء حتى أن بعضهم عمل صنمه من عجوة (تمر) ثم جاع فأكله"

جاء النبي ﷺ ليحرر هذه العقول من الخرافة والوهم، ولذلك تجد الكثير من آيات القرآن الكريم تحث على التأمل والتفكر والتعقل.

فلا ينبغي لك، أيها الإنسان، وقد آتاك الله هذا العقل لتفهم به وتستوعب الأمور، وسخّر لك ما في السماوات وما في الأرض، أن تعبد مخلوقًا هو أقل منك، بل إذا دعوته، لا يسمعك، ولا ينفعك، ولا يضرك!!!

وقد عادت هذه الجاهلية في بعض صورها الآن، فنجد انتشارًا لما يسمى بالطاقة الحيوية، (وهذه تحتاج منا إلى خطبة خاصة)، لأن هذا الأمر أصيب البعض بالهوس به، وصارت له دورات معتمدة، وطبعًا نصابون كثر في هذا الموضوع.

وهناك بعض الأحجار (الكريمة) في الخواتم التي تُلبس، يدّعي البعض أنها تعطي طاقة لكذا، وتنفع في كذا، وتجلب الحظ.

والمفروض -حسب اعتقادهم- أن لكل شيء حولك طاقة، وتوجد طاقة سلبية وطاقة إيجابية، وأن تقترب من هذا وتبتعد عن ذاك.

وقد أصاب الناس هذا، الهوس بثوب جميل حضاري والاعتقاد بهذه الأشياء هو نوع من أنواع الشرك، حيث تعتقد أن هذه الجمادات تضر أو تنفع.

فجاء النبي ﷺ ليحول بني آدم عبيدًا لله وحده، لا يعبدون غيره سبحانه وتعالى.

---

[19] أسلم في حياة رسول الله لكنه لم يره (يقال عنه تابعي مُخضرم)،

ثانيا/ تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة

في الجاهلية، كان الظلم الاجتماعي والعنصرية والتمييز الطبقي أمرًا شائعًا؛ الأغنياء يظلمون الفقراء، والأقوياء يسلبون حقوق الضعفاء، وكانت النساء والأطفال من الفئات المستضعفة، فجاء النبي ﷺ ، ليعالج كل هذا؛ فلم يجعل التفاضل بين الناس بناءً على نسبهم إلى أسرهم، كالأسر الحاكمة أو الأسر التي كانوا يعتقدون أنها تحظى بمدد من الإله، كما كانوا يعتقدون في بعض الحكام، أو أن هؤلاء نواب الرب في الحكم، أو أن لهم الحق في الحياة وغيرهم ليس له ذلك الحق، بل يموت من أجل أسياده.

جاء الإسلام ليلغي هذه الطبقية المقيتة الحاقدة، فلا يعلو أحد على أحد، لا لنسبه ولا لجنسه ولا للونه، وإنما التفاضل عند الله بالتقوى، والتقوى أمر قلبي لا يطلع عليه إلا الله، فالتقوى ليست عمامة كبيرة نلبسها، ولا لحية طويلة نعفيها، ولا عباءة بشكل معين نرتديها، وإنما التقوى ها هنا (وأشار ﷺ إلى صدره ثلاث مرات)، أي أمر لا يطلع عليه إلا الله، فلا يعلو أحد على أحد.

وهدم النبي ﷺ بناء الجاهلية حجرًا حجرًا، وأرسى دعائم الإسلام الصحيحة، فقال في خطبة الوداع: **"يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد. ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى."**

وبين لنا ﷺ، أسلوبا قويما في معاملة الضعفاء، والعبيد في المجتمع؛ **فقال: "لا يقولنَّ أحدكم عبدي وأمتي، كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل: فتاي وفتاتي. رواه البخاري ومسلم.**

ولما رُؤي أبو ذر رضي الله عنه يلبس حُلة (أي زيًّا جميلاً مثل البدلة الآن، ملابس تُلبس في المناسبات)، وعلى غلامه مثلها، تعجّب الناس من ذلك، فالعبد عادةً في زمانهم لو وجد خرقة يستر بها عورته كان ذلك جيدًا، فما بالنا برؤية أبي ذر وعبده يلبسان نفس الحُلة تمامًا؟

فقالوا له: "يا أبا ذر، ألبست غلامك كما تلبس؟" قال: "إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فألبسوهم مما تلبسون، وأطعموهم مما تطعمون، ولا تكلفوهم فوق ما يطيقون، فإن كلفتموهم فأعينوهم)،"

انظروا، إلى هذه المبادئ الإنسانية العالية؛ كيف يتعامل المسلم مع خادمه؟ كيف يتعامل معه بهذه الإنسانية التي لا تميز أحدًا على أحد؟ يلبس مما يلبس، ويأكل

مما يأكل، سبحان الله!!

وبين أبو ذر رضي الله عنه موقفًا آخر حدث له، فقال: "لقد عيّرتُ رجلًا فقلت له يا ابن السوداء،" فقال النبي ﷺ: "أعيّرته بأمه؟"

رغم أن الرجل الذي خاطبه أبو ذر كان فعلاً أسود ووالدته سوداء، لكن هذا القول كان يُقال على سبيل التعيير والانتقاص، فقال النبي: **"إنك امرؤ فيك جاهلية، أعيّرته بأمه؟"**

وقد ورد في بعض الروايات أن الشخص المعني كان بلالًا، وهذا خطأ كما أشار الحافظ ابن حجر في شرحه على البخاري، فلم يكن بلالًا، بل كان رجلاً آخر عيّره أبو ذر، كما كانت عادة أهل الجاهلية.

فهدم النبي ﷺ في هذه الأنفس بناء الجاهلية البغيض المقيت، ليجعل الناس سواءً بين يدي الله سبحانه وتعالى، يقف الناس جميعًا صفوفًا بين يدي الله، لا تمييز لأحد على أحد، ولا يُقدَّم إلا من سبق، ليس هناك صفوف محجوزة لأصحاب الأموال الأكثر، أو للشهادات الأعلى، بل يقف الناس بين يدي الله لا فضل لأحد على أحد، ويذهب الناس للحج بزيٍّ واحد ونداء واحد: "لبيك اللهم لبيك"، فلا يتميز أحد على أحد، هذه هي القيم الحضارية التي جاء بها الإسلام.

قصة سورة عبس:

بلغ الأمر، يا إخواني، أن رسول الله ﷺ كان يجالس مجموعة من سادة مكة يدعوهم إلى الإسلام، وكان النبي ﷺ يطمع في إسلامهم؛ لأنهم إذا أسلموا سيكون في ذلك عزة وقوة للمسلمين، وجاء الأعمى عبد الله بن أم مكتوم، وأقول "أعمى" اعتذارًا له، لأنه لم يرَ النبي ﷺ ولم يرَ من يجالس، وهو يقول لرسول الله: "علمني مما علمك الله،"

النبي ﷺ لم يصرف هذا الرجل بكلمة غليظة، لم يقل له: "اذهب عنا" أو "ليس هذا وقتك" أو "ابتعد،" لم يقل النبي ﷺ أي شيء غليظ، فقط، عبس النبي، أي كشر إشارة إلى أنه أصابه الضيق من ورود عبد الله بن أم مكتوم في هذا الوقت بالذات، لأن هؤلاء السادة الأغنياء إذا رأوا عبد الله بن أم مكتوم، قد يقومون عن النبي ﷺ، كانت هذه طبيعة المجتمع العنصري، أن الغني لا يجلس في مجلس فيه الفقير، أن الغني له طعامه، والفقير له طعامه، والغني له مجلسه، والفقير له مجلسه، فالنبي ﷺ أصابه الضيق فقط لأن ابن أم مكتوم جاء في الوقت غير المناسب، السؤال هو: هل رأى عبد الله بن أم مكتوم النبي ﷺ وهو يعبس أو يكشر؟ كلا، لم يره.

هل أسمعه النبي ﷺ ما يكره؟ كلا، لم يسمعه شيئًا، ماذا حدث؟

أنزل الله قرآنًا يُتلى ليعلمنا في شخص نبينا ﷺ كيف نتعامل مع الناس: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى**﴾ **[عبس: 1-10]**

ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول لابن أم مكتوم إذا رآه: "مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي،"

هل رأيتم رسالة سامية هذا السمو العجيب كرسالة الإسلام؟

الله جل في علاه ينزل قرآنًا يُتلى في شأن أعمى عبس النبي في وجهه، وهو لم يرَ وجه النبي ﷺ، سبحان الله!

ثالثا / إكرام المرأة وإعطاؤها حقوقها

من اللمحات التي تميز بها النبي ﷺ في رسالته إكرام المرأة.

وقضية المرأة دائمًا ما نجد أعداء الإسلام يتربصون بها، ويثيرون الجدل حول التشريعات التي نزلت بسبب المرأة، مثل الحجاب والميراث، وهذه أمور يُعاد إثارتها كل حين، وهم يعلمون أن أظلم الناس للمرأة هم أصحاب الحضارة المادية التي جعلت المرأة سلعة تُستغل في كل شيء.

أما الإسلام، فقد جاء النبي ﷺ في مجتمع كان قتل البنات فيه وهن صغار مكرمة، وتربيتهن معرة، مجرد أن يسمع الرجل أنه رزق بأنثى، يظل وجهه مسودًا من الحزن، وهو كظيم، جاء الإسلام ليكرم البنت الصغيرة، فقال: **"من عال جاريتين فأحسن تأديبهن كن له جُوارًا من النار،"**

وجعل لها حق اختيار الزوج بعد أن كانت مُكرهة على الزواج بمن يشاء وليها أن يزوجها منه، **فقال النبي ﷺ: "البكر تستأذن، وإذنها صماتها، والثيب أحق بنفسها،" وأكرمها زوجة، فكان يقول النبي ﷺ: "خيركم خيركم لأهله،" وأكرمها أماً، حيث قال الله تعالى: "ووصينا الإنسان بوالديه،" وسأل رجل النبي ﷺ: "من أحق الناس بحسن صحبتي؟" قال: "أمك،" قالها ثلاثًا، ثم قال: "أبوك،"**

فبعد أن كانت المرأة تعتبر شيئًا حقيرًا بلا قيمة، كما يُقال "سقط المتاع" – أي

الشيء الذي لا يُلتفت إليه إذا سقط منك أثناء حمل الأغراض – كان المجتمع الجاهلي ينظر إلى المرأة على أنها "سقط المتاع"

وكانوا يقولون إن "نصرها بكاء وبرها سرقة"، لأنهم كانوا لا يعطون الميراث إلا لمن حمل السيف وركب الخيل.

جاء الإسلام ليكرم المرأة ويرفع قدرها، ويجعل لها بين المجتمع مكانة، سواء كانت صغيرة أو كبيرة، جاء الإسلام ليجعل الرجل قوّامًا على المرأة، قوامة رشد ومسؤولية وإنفاق، لا قوامة قهر أو جبر أو إكراه.

أتذكر أني قرأت قصة لامرأة أمريكية أسلمت، قالت: "والله، وددت لو علمت جميع الأمريكيات كيف يعامل الإسلام المرأة، فما رأيت دينًا يكرم المرأة كتكريم الإسلام للمرأة،" سبحان الله!!

رابعا/ نشر الأخلاق الفاضلة والقيم الإنسانية

من الملامح التي جاء بها النبي ﷺ لهذا العالم: الأخلاقيات في كل شيء، الإسلام شرع أخلاقيات حتى في القوة العسكرية، فيما يُسمى "أخلاقيات الحرب"، وشرع أخلاقيات في الاقتصاد، وأخلاقيات في التجارة، وأخلاقيات في التعامل بين الناس، سواء كانوا جيرانًا، أو إخوة، أو شركاء، أو حكامًا ومحكومين، هناك تشريعات لكل هذه الأمور وتفصيلات كثيرة، نظم الإسلام كل كبيرة وصغيرة.

قضى الإسلام على الفساد الاقتصادي المتمثل في الربا، **وقال النبي ﷺ: "ألا وإن كل ربا موضوع، وأول ربا أضع ربا العباس تحت قدمي،"** بدأ بعمه، سبحان الله!
وحرّم الغش، وحرّم الاحتكار، وحرّم ما كان جاريًا في المجتمع من أن القوي يأكل مال الضعيف ويستغله ويستعبده، منع كل هذا.

حتى في الحروب نرى أن هناك قوانين للتعامل في الحروب، على عكس ما نراه ونسمعه من الحضارة الغربية قديمًا وحديثًا، في الحروب التي تجري هنا وهناك، نرى مدى الوحشية والعنف، والقتل وسفك الدماء بدون أي رادع أو ضابط.

وهناك من يفزع لجرح شخص واحد (لأنه غربي)، ولا يفزع لمقتل المئات والآلاف (طالما أنهم عرب أو مسلمين)، فلا بأس.

وهذا هو الإنسان حينما يطغى بلا دين ولا تقوى ولا معرفة بالله، ولا حتى

احترام لأي قيم إنسانية، أما النبي ﷺ، فعندما رأى امرأة مقتولة، أنكر على أصحابه، وقال: **"ما كانت هذه لتقاتل!"** أنكر عليهم أن يقتلوا امرأة، لأن المرأة لا تحمل سيفًا ولا تواجه، هذه امرأة عزلاء، لا سلاح لها.
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "وُجِدَتِ امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان." رواه مسلم.

وكان النبي ﷺ يوصي أصحابه إذا انطلقوا في غزو أو قتال، قائلاً: "لا تقتلوا امرأة، ولا طفلًا، ولا شيخًا كبيرًا، ولا تقطعوا شجرة"

وأرسى الإسلام أخلاقيات حضارية حتى في جو الحروب، جو القوة والقتال، فجعل هناك أخلاقيات حتى في التعامل مع الأسرى، فيقول الله تعالى:
﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: 8]

وهكذا، نجد أن هناك أمورًا تفرد بها الإسلام وجاء بها ليحمل الخير لهذه البشرية الضائعة التائهة، التي تعاني من الخراب والمذابح والمجازر والمجاعات والنزاعات، وعلاجها إنما هو في رسالة السماء التي جاء بها خير الأنبياء، الذي جاء ليرد الناس من عبادة الأحجار إلى عبادة الله الواحد القهار"
نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبدل حالنا إلى خير حال، وأن يأخذ بنواصينا إليه، وأن يلطف بإخواننا في كل مكان، اللهم آمين"

خلاصة الخطبة:

1.فضل الرسول ﷺ على العالم: جاء بمبادئ وقيم ليطبقها وليس للتنظير بها، وقام بتغيير وجه الدنيا والتاريخ من خلال منهج مستمد من الله.

2.حرر النبي العقول من عبادة الأصنام والخرافات، ودعاهم إلى التوحيد والتفكر في خلق الله.

3.ألغى الإسلام الطبقية والعنصرية، وأكد أن التفاضل بالتقوى وليس بالنسب أو اللون.

4.رفع الإسلام من مكانة المرأة، فأعطاها حقوقها، وألغى ممارسات الجاهلية التي كانت تظلمها.

5.شرع الإسلام أخلاقيات في مختلف نواحي الحياة، بما في ذلك الحرب، الاقتصاد، والتجارة. حرّم الربا، الغش، والاحتكار.

6.الإسلام وضع قوانين حتى في أوقات الحروب، حيث منع قتل النساء، الأطفال، والشيوخ، ووضع معايير للتعامل مع الأسرى.

7.في ظل الحروب والنزاعات الحالية، لا نجاة للبشرية إلا من خلال العودة إلى القيم الإسلامية التي جاء بها النبي ﷺ.

****

(15)

ماذا كتب مايكل هارت عن الرسول ﷺ في كتابه الخالدون مئة؟

عناصر الخطبة:

أولا/ التعريف بكتاب: مئة غيروا التاريخ

ثانيا/ منهج قابل للتطبيق

ثالثا/ غير العالم بمنهجه وأخلاقه

رابعا/ لا يوجد كتابٌ يشبه القرآن في الإحكام والدقة

خامسا/ محمد أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ

(15) ماذا كتب مايكل هارت عن الرسول ﷺ ؟

تمهيد:

وافانا شهر ربيع الأول، شهر ميلاد الحبيب النبي ﷺ، والذي أكرمنا الله تعالى وشرفنا بأن نكون من أمته، سائلين الله سبحانه وتعالى أن نكون أهلاً لهذا الشرف، وأن يديم علينا نعمة الإسلام إلى أن نلقى الله على التوحيد، ونلقى رسول الله ﷺ على حوضه الشريف، فنشرب بيده شربة لا نظمأ بعدها أبداً.

عناصر الخطبة:

أولا/ التعريف بكتاب: مئة غيروا التاريخ

ثانيا/ منهج قابل للتطبيق

ثالثا/ غير العالم بمنهجه وأخلاقه

رابعا/ لا يوجد كتابٌ يشبه القرآن في الإحكام والدقة

خامسا/ محمد أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ

أولا/ التعريف بكتاب: مئة غيروا التاريخ

تكلم الكثيرون عن شخصية رسول الله ﷺ كشخصية مؤثرة في التاريخ كله، تاريخ الإنسانية.

ولعل أشهر من ألف في هذا الموضوع مايكل هارت، الذي ألف كتاباً بعنوان

(مئة غيروا التاريخ)

أو الذي اشتهر بترجمته العربية **(الخالدون مئة أعظمهم محمد ﷺ)** [20]

وأريد أن أتوقف مع بعض اللمحات ونرى العظمة النبوية من زاوية أخرى لرجل ليس مسلماً.

وهذه زاوية مهمة قد تخفى على البعض منا؛ بمعنى أننا إذا أردنا الكلام عن رسول الله ﷺ ومكانته وجلاله وحبه، فهذا أمر ندركه بالعاطفة الإيمانية التي بداخل كل واحد منا.

لكن حينما نتعرض لهذا الكاتب مايكل هارت، الذي ألف كتابه القرن الماضي وتحديدا في عام 1978، وأحدث الكتاب ضجة حينما ألف، لأنه كان هناك جدل وصخب حول اختيار الشخصيات واختيار أبرز شخصية في التاريخ الإنساني كله، شخصية النبي ﷺ.

لماذا اختار مايكل هارت النبي كأعظم شخصية في التاريخ أو على رأس المئة بتعبير أدق؟

اتبع مايكل هارت أسسًا محددة في ترتيب الشخصيات ووضع شروط لاختيارها منها:

-أن تكون الشخصية حقيقية عاشت فعلًا.

-وأن تكون الشخصية غير مجهولة فهناك مجهولون عباقرة مثل أول من اخترع الكتابة لكنه مجهول.

-وأن يكون الشخص عميق الأثر.

-وأن يكون له تأثير عالمي وليس إقليمي فقط.

-بالإضافة إلى أنه استبعد كل من كان على قيد الحياة.

في مقدمة الكتاب تناول الكاتب نقاشًا دار بين الفيلسوف الفرنسي فولتير ومجموعة من المفكرين واتفقوا على أن أعظم الشخصيات في التاريخ هو إسحاق نيوتن، ووضع فولتير معياره لتحديد الشخصيات العظيمة حيث قال: (إن الذي يتحكم في عقولنا من خلال قوة الحق لا الذي يستعبدها من خلال

---

[20] (The 100: A Ranking of the Most Influential Persons in History) الاسم بالإنجليزية

العنف هو من ندين له بتعظيمنا).

أما عن سبب وضعه للنبي محمد أول القائمة بينما وضع نبي الله عيسى في المرتبة الثالثة، فقد قال عنه مايكل هارت:

«المثال الملفت للنظر هو ترتيبي لمحمد أعلى من المسيح، ذلك لاعتقادي أن محمدًا كان له تأثير شخصي في تشكيل الديانة الإسلامية أكثر من التأثير الذي كان للمسيح في تشكيل الديانة المسيحية»

وأتناول بعض النقاط الواردة بالكتاب وأعلق عليها إن شاء الله.

ثانيا/ منهج قابل للتطبيق

قال : إن أبرز سمة في هذا الرجل أنه طبق تعاليم مدينته فنجح دينياً ودنيوياً.

هو يقصد بهذا أن الإسلام لم يأتِ به النبي ﷺ كسائر المفكرين أو المصلحين على مر التاريخ. فربما تقرا عن أحدهم أنه كان عالماً في علم من العلوم، لكنه أخلاقياً لا يعرف عنه شيء، أو يعرف عنه أنه كان سكيراً، أو أنه كان عنده شطحات، أو أنه كان كذا.

فالنبي ﷺ جاء بمنهج قابل للتطبيق، وقام بنفسه بتطبيق هذا المنهج، وهذا معنى قول عائشة رضي الله عنها: كان خلقه القرآن ﷺ.
يعني القرآن ينزل، والنبي ﷺ يفعل كما أمره الله.

فالصحابة يسمعون القرآن، ويرونه مطبقاً، فنجح النبي ﷺ بأن يكون الإسلام منهجاً ربانياً واقعياً قابلاً للتطبيق، ليس فيه النزعة الروحانية العالية التي ظهرت عند الرهبان في النصرانية، ولا النزعة المادية الجدلية التي ظهرت في الفلسفات والمذاهب والديانات الأخرى.
إنما عاملت الإنسان كإنسان له جسد وروح، الجسد له احتياجات، والروح لها احتياجات؛ فحصل التوازن بين الأمرين.
ولما أحب بعض الصحابة الغلو في العبادة، أحدهم قال: أصوم فلا أفطر. والثاني قال: أقوم الليل فلا أرقد. والثالث قال: لا أتزوج النساء. علمهم النبي أن هذا ليس هو التدين الحق. التدين وسطية، جمع بين حاجات جسدك الفطرية الغريزية وبين عبادتك لربك.

فقال في مقدمة كلامه: **(أنا أتقاكم لله وأشدكم له خشية)** يعني لا أحد يزايد علي في هذا الموضوع؛ أنا الذي أرسلني الله بمنهج أقوم على تطبيقه، ومع هذا فإني

أصوم وأفطر؛ أصوم بعض الأيام وأفطر بعضها، بل كان إفطاره أكثر من صيامه كما نعلم من حاله ﷺ، **وأقوم وأرقد.** كان ينام ويقوم في الثلث الأخير من الليل، وكان أحياناً يصلي أول الليل ثم ينام وهكذا، **وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني.**

فجمع النبي ﷺ بين التطبيق للإسلام كزعيم سياسي وعسكري وموجه روحي وديني أو مرشد تربوي.

ثالثا/ غير العالم بمنهجه وأخلاقه

الملمح الثاني فيما كتبه مايكل هارت: أن الرسول ﷺ لم ينشأ في بيئة متحضرة مشهورة بالعلم أو الحضارة: قال :

"أكثر هؤلاء الذين اخترتهم وُلدوا ونشأوا في مراكز حضارية ومن شعوب متحضرة سياسياً وفكرياً، إلا محمداً – ﷺ ، فهو وُلد سنة 570 ميلادية في مدينة مكة؛ جنوب شبه الجزيرة العربية في منطقة متخلفة من العالم القديم، بعيدة عن مراكز التجارة والحضارة والثقافة والفن.

أي واحد درس الفلسفة في اليونان يدرك كيف كان هناك الحكمة والفلاسفة والإغريق وكتبهم في المنطق وهذه الأمور كلها وغيرها من الحضارات وأراضي الحضارات.

لكن النبي ﷺ نشأ في بيئة فقيرة جداً، بيئة لا معالم فيها للحياة، لا زرع ولا ماء. شح في الماء وشح في الحياة، وعوامل الحياة قليلة في الجزيرة العربية لندرة المياه فكانت الحياة صعبة وشديدة؛ فبالتالي كانوا بعيدين عن المراكز الحضارية، لا علم ولا معرفة ولا وسائل للتقدم العلمي أو المعرفي ولا كل هذه الأشياء، وعلى الرغم من هذا برز النبي ﷺ بأخلاقه وتعاليمه وما جاء به من وحي السماء، وهذا هو التميز.

وأنا أقرأ هذا الكلام قلت سبحان الله هذا الرجل أدرك أن النبي كان أميًا علم العالم ، وتعجبون معي أن بعض المتعالمين على الفيسبوك الآن، وهذا بوست مشهور، يقولون إن النبي لم يكن أميًا، إنما كلمة أمي نسبة إلى أم القرى !!!

وهذا سخف نحاول به تأويل النصوص الشرعية لهذا الأمر، لأن الأمية في حق النبي ليست نقصًا، بل هي في حقه كمال.

وقد أراد الله تعالى ألا يكون هناك أي شبهة في أن النبي ﷺ تلقى علمًا من العلوم

أو منهجًا أو تشريعًا أو أي شيء مما ذكر في القرآن من أي أحد.

لأن مصدر المعرفة هو العلم، والعلم يكون بالقراءة، أو التلقي من معلم؛ النبي لم يكن يقرأ ولا يكتب، ولم يكن هناك في بيئته مصدرًا للتلقي ولا للتعلم؛ إنما كان معلمه هو رب العالمين، قال تعالى: **(وعلمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيمًا)[النساء:113]، وقال تعالى: (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا)[الشورى:52]**

فالنبي ﷺ أميته لا تعيبه، أميته كمال له وتنزيه لجنابه الشريف ﷺ من أن يكون تلقى علمًا من أحد أو سافر إلى البلد الفلاني أو تلقى العلم على العالم الفلاني.
كلا، النبي ﷺ نشأ في بيئته، أربعون سنة قبل البعثة، وكانوا يعرفونه بأخلاقه ولقب ﷺ بالصادق الأمين كما نعلم.

وعمل برعي الغنم ثم عمل بالتجارة هذا هو رسول الله الذي يعرفونه، فلما جاءهم بما جاءهم به علموا جميعًا أنه جاء بوحي من الله سبحانه وتعالى، قرآنًا يتلى.

وهذا أبو بكر الصديق، الذي لم يكن فيلسوفا ولا حكيم الزمان ولا محاور ولا مناظرا؛ قال له أبو جهل : إن صاحبك يزعم أنه أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة وعاد في نفس الليلة. ماذا قال أبو بكر؟
قال: إن كان قال فقد صدق. أنا أصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء.
هو يقول إن الوحي ينزل عليه من السماء، ألا أصدقه في أنه ذهب من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؟

هذا يسمونه قياس الأولى، فإذا كان الشيء الكبير ممكنًا فمن باب أولى الشيء الأصغر ممكن، فأبو بكر الصديق قاسها بهذا الشكل: إني أصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء.

والله عز وجل أراد لنبينا ﷺ أن تبقى دلائل وإشارات نبوته على مر التاريخ،

فتجد كل فترة يكتشفون شيئًا من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

-ظاهرة فلكية تكلم عنها القرآن الكريم.

-مراحل تطور وخلق الإنسان في بطن أمه، مراحل الجنين التي ذكرها القرآن الكريم واهتدوا إليها في نهايات القرن الثامن عشر.

-الإعجاز البياني، الإعجاز التاريخي، وهكذا تعددت أوجه الإعجاز.

قال الشيخ الشعراوي رحمه الله عليه في تفسير سورة غافر: وكان يتحدث عن اكتشاف العلماء في عصرنا لحقائق تحدث عنها القرآن: إن هؤلاء خُدام حرف واحد من حروف القرآن ، ما هو ؟ هو السين في قوله تعالى : **(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ)** [فصلت:53] فهم يتعبون ويعيشون حياة قاسية في تقشف ليتفرغوا للبحث والدراسة للوصول إلى سر من أسرار الله في كونه .

رابعا/ لا يوجد كتابٌ يشبه القرآن في الإحكام والدقة

يقول مايكل هارت: (والقرآن الكريم نزل على الرسول – ﷺ – كاملاً، وسُجلت آياته وهو لا يزال حياً، وكان تسجيلاً في منتهى الدقة، فلم يتغيّر منه حرفٌ واحدٌ .. وليس في المسيحية شيءٌ مثل ذلك، فلا يوجد كتابٌ واحدٌ محكمٌ دقيقٌ لتعاليم المسيحية يشبه القرآن الكريم، وكان أثر القرآن الكريم في الناس بالغ العمق، ولذلك كان أثر محمد – ﷺ – على الإسلام أكثر وأعمق من الأثر الذي تركه عيسى – عليه السلام – على الديانة المسيحية)

نعم ليس هناك كتاب موجود حاليًا تستطيع أن تقول إنه بعمر القرآن ويصل حد الضبط والإتقان فيه إلى هذا الأمر.
أي إمام يخطئ في تشكيل كلمة من القرآن في المسجد، تسمع أصوات المصلين يقومون برده.

سبحان الله، لأنه صار محفوظًا في الصدور والحمد لله ويحفظه الصغير والكبير والعربي والعجمي والمبصر والأعمى.

فتجد القرآن مضبوطا ضبط إحكام وإتقان، وليس بقراءة واحدة بل بعدة قراءات، وكتب وطبع وسطر وتلي وأذيع ونشر، وصار القرآن أوسع مما تتخيل في سرعة انتشاره ووجوده ووصوله إلى العالم أجمع.

خامسا/ محمد أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ

يقول مايكل هارت: "ولما كان الرسول – ﷺ – قوة جبارة، فيمكن أن يُقال أيضا أنه أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ".

ويكشف هارت؛ لماذا هو أعظم زعيم سياسي مؤكداً أن ما حدث لم يكن ليحدث لولا وجود النبي – ﷺ :

يقول هارت : (إذا استعرضنا التاريخ .. فإننا نجد أحداثاً كثيرة من الممكن

أن تقع دون أبطالها المعروفين .. مثلاً: كان من الممكن أن تستقل مستعمرات أمريكا الجنوبية عن إسبانيا دون أن يتزعم حركاتها الاستقلالية رجلٌ مثل سيمون بوليفار .. ولكن من المستحيل أن يُقال ذلك عن البدو .. وعن العرب عموماً وعن إمبراطوريتهم الواسعة، دون أن يكون هناك محمد – ﷺ .. فلم يعرف العالم كله رجلاً بهذه العظمة قبل ذلك، وما كان من الممكن أن تتحقّق كل هذه الانتصارات الباهرة بغير زعامته وهدايته وإيمان الجميع به)

أقول : ربما خفي على مايكل هارت أن سر انتشار الإسلام السريع والكبير أنه دين يدخل القلوب ؛ فلا يفرض بالقوة والوجود العسكري، لأن الوجود العسكري شكل من أشكال الهيمنة والسيطرة، لكن الهيمنة والسيطرة العسكرية الهدف منها إخضاع الناس لهذا الحكم الذي جاء، لكن لن يخضع القلوب، لن يخضع العقائد، لن يحول طريقة تفكير ومنهجية الناس، لن يغير لسانهم.

الإسلام ما دخل بلد من البلاد إلا وجعل دخول الإسلام طوعًا لا كرهًا، فتحًا لا كسرًا، عزة لا مذلة.

وفي الفتوحات الإسلامية في بلاد الروم كان فلاحو الشام يساعدون المسلمين، والمفروض أن المسلمين أعداء لهم، لكن كانوا يساعدونهم لما علموا من عدل الإسلام وأنهم سيتحررون من الظلم والإقطاع والضرائب الباهظة والعبودية وإلى غير ذلك.
فكانوا يساعدون المسلمين في الفتح ضد من يحكمونهم الرومان لما رأوا من عدالة الإسلام وعدالة ما جاء به هؤلاء.
ما فرض الإسلام كرهًا ولا فرض جبرًا على أحد، ودخل الناس في دين الله أفواجًا مختارين.

ووقف النبي ﷺ بين أهل مكة الذين قالوا عنه بالأمس القريب مجنون وشاعر وكاهن وساحر. **قال: "ما تظنون أني فاعل بكم؟" قالوا: "خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم". قال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"**

فدخل الناس في دين الله أفواجًا، ولكم أن تتأملوا عدد الجنود الذين دخلوا مكة فاتحين مع رسول الله ﷺ في السنة الهجرية؟ عشرة آلاف، وبعد أقل من سنة في شهر رجب سنة تسع من الهجرة في غزوة تبوك كان عدد المقاتلين ثلاثين ألفا ، إذن زاد عدد الجيش ثلاثة أضعاف في عشرة أشهر

وفي عام 10هـ ، حج مع رسول الله ﷺ قرابة المئة ألف في حجة الوداع، وعد

العلماء منهم الحافظ بن حجر وغيره الصحابة الذين مات النبي عنهم بحوالي 124ألف.

كل هؤلاء لم يدخلوا الإسلام بحد السيف كما يتوهم المستشرقون وأذنابهم أو كما يذيعون، ولو أن الإسلام انتشر بحد السيف ما انتشر بهذا الشكل الكبير في هذا الزمن القياسي. اقرأوا التاريخ، اقرأوا تاريخ الدول وتاريخ الإمبراطوريات ، بل وحتى تاريخ الأديان والمذاهب؛ لن تجد دينًا ينتشر بهذا الشكل سواء بالقوة العسكرية أو بغيرها. لماذا؟
لأن الإسلام دين الله، ودين الله عز وجل كهذه الشمس للدنيا، إذا أشرقت فإنها تشرق على الدنيا كلها، فمن أراد أن يظلمها على نفسه هو حر، اختار الظلام، لكن الشمس باقية، نور الله باق، نور الله دائم سبحانه جل شأنه.

وفي الإسلام ميزة ليست في غيره، وهي أنه دين لا يميز أحدًا عن أحد، ليس في الإسلام العرق العربي مثلًا أو اللسان العربي أو الجنس الفلاني.

في الإسلام تعاملك فيه مباشرة مع رب العباد سبحانه: **"إن أكرمكم عند الله أتقاكم"** لا أعلو في الإسلام لأني جنسي عربي أو أصلي عربي أو أتكلم العربية، ولا أعلو في الإسلام لأني أكثر المسلمين مالًا أو أعلاهم شهادات وعلما، كل هذا منفي في دين الله سبحانه وتعالى هذه أمور دنيوية، وقد نفى نبينا ﷺ أن يكون التفاضل عند الله بالأنساب والأحساب والأموال؛ فقال:
"يا فاطمة بنت محمد، اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئًا".

ومن هنا صار الإسلام في كل بقعة من بقاع الأرض. الإسلام الآن من اليابان إلى نهاية الدنيا شمال شرق غرب جنوب...ملايين في أفريقيا، في إندونيسيا، في ماليزيا... هذا كله ليس فتحًا عسكريًا وليس هيمنة ولا سيطرة.

أكبر الدول الإسلامية إندونيسيا الآن عدد المسلمين200 مليون تقريبا.

الهند، سبحان الله، يسمونها الدولة القارة. كم عدد المسلمين فيها؟ 195 مليون مسلم.

فانتشر الإسلام لأن هناك علاقة ينظمها بين العبد وربه مباشرة بلا وسائط وبلا قيود، من يدخل الدين يدخله وهو مقتنع تمام الاقتناع، لا يدخله عن هوى أو لأموال أو إغراءات أو ما شابه ذلك.

ولو شاء الله لجعل الناس جميعًا مسلمين، هل هذا شيء معجز أن رب العباد

سبحانه يجعل الناس كلها مؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: 99-100]

وقد خلق الله من خلقه الملائكة لا يعرفون إلا طاعته، والملائكة أضعاف أضعاف الإنس والجن، لكنه سبحانه وتعالى خلقنا معشر الجن والإنس وجعلنا مكلفين مختارين في طاعته، ثم يكون الحساب والجزاء يوم القيامة.
هذه بعض الأفكار التي أردت أن أنبه عليها، وهذه تنفعنا في خطابنا مع أولادنا في الحديث عن النبي ﷺ بغرس هذه المعاني وهذه القيم.

وحتى لو أردنا أن نتكلم مع غير المسلمين لنبين لهم شخصية رسول الله ﷺ وطبيعة هذا الدين، سنجد هذه النقاط التي تكلم من خلالها مايكل هارت عن النبي ﷺ فيها الكثير والكثير من الإقناع والأدلة.

الخلاصة:

1- وضع مايكل هارت النبي محمد ﷺ في المرتبة الأولى بين مئة شخصية غيرت التاريخ، وهو ما أثار جدلاً واسعًا وقت نشر الكتاب.

2- برّر هارت اختياره للنبي ﷺ بأنه كان له تأثير شخصي مباشر وكبير في تشكيل وتأسيس الدين الإسلامي، وهو تأثير يفوق التأثير الذي كان للمسيح على الديانة المسيحية، لعدم وجود كتاب واحد مُحكم ودقيق لتعاليم المسيحية مثل القرآن الكريم.

3- رأى هارت أن النبي ﷺ تميز بتطبيقه العملي للدين الذي جاء به، مما جعله منهجًا واقعيًا وقابلًا للتطبيق في مختلف جوانب الحياة، وليس مجرد فكر نظري.

4- أشار هارت إلى أن النبي ﷺ نشأ في بيئة بدائية ومتخلفة في مكة، بعيدة عن مراكز الحضارة والعلوم، مما يؤكد عظمته كقائد عسكري وسياسي ومصلح ديني تمكن من تغيير العالم رغم هذه الظروف.

5- لاحظ هارت أن القرآن الكريم هو كتاب سماوي نزل كاملاً على النبي ﷺ وتم تسجيله بدقة متناهية، ولم يتغير منه حرف واحد، على عكس الكتب الدينية الأخرى.

6- وصف هارت النبي ﷺ بأنه أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ، حيث يرى أنه من المستحيل أن تتأسس الإمبراطورية العربية الإسلامية العظيمة دون وجود شخصية قيادية استثنائية مثل شخصية النبي ﷺ.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا
خير خلف لخير سلف،
وأن يرزقنا حب نبينا ﷺ،
وأن يحشرنا في زمرته.
اللهم آمين.

****

(16)

فضل الله على

المؤمنين ببعثة رسوله

عناصر الخطبة:

أولا/ معنى منّة الله على المؤمنين

ثانيا/ (رسولا من أنفسهم)

ثالثا/ (يتلو عليهم آياته ويزكيهم)

رابعا/ (ويعلمهم الكتاب والحكمة)

خامسا/ (وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)

(16) فضل الله على المؤمنين ببعثة رسوله

تمهيد:

نعيش في هذا اللقاء مع قول الحق جل وعلا ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: 164]

هذه منة الله عز وجل على عباده المؤمنين بنعمة إرسال نبي الرحمة محمد ﷺ الذي جعله الله للقرآن تاليا ، وللأنفس مذكيا ، وهذه الآية فيها الكثير من الفوائد والفرائد [21] ، فتعالوا بنا نتوقف عندها في هذا اللقاء.

عناصر الخطبة:

أولا/ معنى منّة الله على المؤمنين

ثانيا/ (رسولا من أنفسهم)

ثالثا/ (يتلو عليهم آياته ويزكيهم)

رابعا/ (ويعلمهم الكتاب والحكمة)

خامسا/ (وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)

أولا/ معنى منّة الله على المؤمنين

قال تعالى : (لقد من الله على المؤمنين) منّ هذا الفعل أصله في اللغة بمعنى قطع وفي القرآن قوله تعالى: **(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون)** [فصلت/8] أي غير مقطوع ، فمن أعطى الفقير حتى يغنيه نقول أنه منّ عليه أي قطع حاجته ، وهذا المنّ لا يليق إلا بالله جل وعلا، لأني كبشر عطائي محدود ، وأغلب من يعطي يعطي بمقابل فأنا أعطيك اليوم لتعطيني غدا ، أو من أجل صداقة أو محبة أو قرابة ، حتى من يعطي لله عز وجل فإنما يعطي ابتغاء الأجر من الله سبحانه وتعالى – وهو عطاء محدود ولا يكفي لسد كل حاجات الإنسان ؛ لكن الله الكريم جل وعلا إذا أعطى أعطى بلا مقابل وإذا

---

[21] الفرائد هي الجواهر النفيسة

أعطى أغنى فيقطع عن الإنسان حاجته وفقره ، ولذلك فإن المنة لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى – ومن أسمائه سبحانه وتعالى:

المنان: الذي يمن على عباده بالعطايا والنعم قال تعالى : **(وما بكم من نعمة فمن الله)** [النحل/53]

وقد نهانا الله عز وجل أن نمن على أحد بعطاء أعطيناه حتى لا يكون بذلك أذى له ، لأنك إذا مننت فإنما تمن بما ليس لك تمن بما أعطاك الله ، وتؤذي بما تمن لمن أحسنت إليه قال تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى)** [البقرة/264]

وقد فقه الأعرابي حينما سألوه لمن هذه الغنم ؟
قال هي لله في يدي.

فالمالك لكل شيء هو الله ، والله مالك كل شيء وما ملك، فلله المنة وله الفضل في كل عطاء وفي كل نعمة ، قال تعالى : ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ **[الحجرات: 17]**

فالمنان جل وعلا عطاؤه بلا مقابل ، وبلا حدود ، عطاء يغني ، عطاء لا ينقطع منه سبحانه وتعالى –

ومن منن الله العظيمة النعمة التي أكرمنا بها ألا وهي بعثة النبي محمد ﷺ، ومنّ الله علينا بأن جعلنا من هذه الأمة ومن اتباع الصادق المعصوم ﷺ

ثانيا/ رسولا من أنفسهم:[22]

من أنفسهم بشرا مثلهم تتحقق به القدوة الكاملة ، لم يأت رسول الله ﷺ من السماء ملكا رسولا ولم يسقط على الناس من كوكب آخر، إنما هو رسول يعرفهم ويعرفونه ،عاش بينهم أربعين سنة قبل البعثة يلقبونه بالصادق الأمين ، لم ينقبوا في تاريخه، أو لم يبذلوا جهدا كبيرا لتفحص سيرته قبل الأربعين؛ قبل أن يوحى إليه؛ إنما هو من أنفسهم، ولذلك كانت عبارة القرآن في العديد من المواضع **(وما صاحبكم بمجنون) [التكوير/22] و (ما ضل صاحبكم وما غوى)**

[22] ذكر الإمام القرطبي قراءة من أنفسهم بفتح الفاء لكنها شاذة ، ومعناها من أشرافهم ، من أشراف قريش.

[النجم/2]

فلقب النبي ﷺ بالصاحب ، فهو صاحبهم الذي طالت حياته فيكم وصحبته لكم تعرفونه وتعرفون أهله وأصله فهو من أنفسهم، بشر تقتدون به ليس ملكا معصوما، أو له قدرات ملائكية ،لا يستطيع البشر أن يقتدوا به ، فالملائكة منهم من هو قائم يسبح الله ومنهم من هو راكع ومنهم من هو ساجد **(يسبحون الليل والنهار لا يفترون)** [الأنبياء/20]

أما النبي ﷺ فإنه بشر مثلنا يصيبه ما يصيب البشر من العوارض البشرية.

زيد بن حارثة:

واعجبوا معي لهذه القصة زيد بن حارثة دائما ما نقرأ في تعريفه مولى رسول الله ﷺ[23] ، كان حرا في ديار قومه بني كلب أحد بطون قضاعة

فذهبت أمه لزيارة لأهلها فأغارت قبيلة على أهلها وأخذ زيد أسيرا فباعوه في سوق عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام ثم أهداه لعمته خديجة بنت خويلد ، فلما تزوجها النبي ﷺ وهبته له.

ثم مر زمن، وحج أناس من قبيلته كلب، فرأوه فعرفهم وعرفوه، ثم عادوا وأخبروا أباه بمكانه، فخرج أبوه وعمه يفتدونه، والتقوا بالنبي ﷺ وطلبوا فدائه، فدعاهما إلى تخيير زيد نفسه إن شاء بقي، وإن شاء عاد مع أهله دون مقابل.

ثم دعاه النبي ﷺ ، وخيره فقال زيد: «ما أنا بالذي أختار عليك أحدًا، أنت مني بمكان الأب والأم»

فتعجّب أبوه وعمه وقالا: «ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟!»

قال: «نعم. إني قد رأيت من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي اختار عليه أحدًا أبدًا»

فلما رأي النبي ﷺ منه ذلك، خرج به إلى الحجر عند الكعبة، وقال: «يا معشر قريش اشهدوا أن زيدًا ابني أرثه ويرثني»

فصار زيد يُدعي «زيد بن محمد "ثم حرم التبني كما نعلم فيما بعد.

---

[23] وكلمة مولى في اللغة من ألفاظ الأضداد تطلق على السيد وعلى العبد ،لأن العبد يخدم سيده والسيد مسؤول عن عبده ، فيسمى السيد مولى ويسمى العبد مولى

وصف خديجة لأخلاق النبي قبل البعثة:

وانظروا لأخلاق النبي قبل البعثة لما أوحى الله تعالى إليه، ورأى النبي جبريل أول مرة لم يكن يدري ما جبريل ولا الوحي ولا الرسالة ، فذهب فزعا إلى خديجة رضي الله عنها فأخبَرَها الخبر وقال: (لقد خشيتُ على نفسي!)، والإنسان لو تجمل على الدنيا كلها لا يستطيع أن يتجمل على زوجته فهي أدرى وأخبر الناس بحاله.

فقالت له رضي الله عنها: "كلَّا! والله لن يخزيك الله أبدا وتروى لن يحزنك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدُقُ الحديثَ، وتَحمِل الكَلَّ، وتَكسِبُ المعدومَ، وتَقري الضيف، وتعين على نوائب الحق""

تَحمِل الكَلَّ: أي تتحمَّل مؤونة الكَلِّ، وهو الضعيف واليتيم وذو العيال، فتُنفِق عليه، وتقوم على حاجته.
تَكسِب المعدوم: أي تكسب المالَ وتبذُل من هذا المال للمحتاج أو المعدوم (المعدم).
تقري الضيف: والقِرى هو ما يُقدَّم للضيف من طعام وشراب، أي: أنت تكرم الضيف.
تعين على نوائب الحق: النوائب جمع نائبة، وهي الحادثة أو المصيبة، أي تُعين الناس فيما يصيبهم من خير أو شر.
فهي رأت من زوجها هذه الأخلاق الكريمة ، وهذا كله قبل البعثة تدري من هو محمد وما أخلاقه فقالت مقسمة : كلَّا! والله لن يخزيك الله أبدًا ، وخديجة رضي الله عنها كانت أول من آمن به ﷺ

والنبي لما وقف على جبل أبي قبيس ليجهر بالدعوة بعد ثلاث سنوات من الدعوة السرية قال: يا معشر قريش ، أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟

قالوا : نعم ؟ ما جربنا عليك كذبا قط . هذا كلامهم ما جربنا عليك كذبا قط .

أبو سفيان وملك الروم:

وفي حديث طويل لأبي سفيان في حوار له مع هرقل عظيم الروم لما أرسل النبي له رسالة يدعوه فيها للإسلام سأل هرقل أبا سفيان عدة أسئلة منها :قال: كيف نسبه فيكم؟
قلت: هو فينا ذو نسب.

قال هرقل: فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها
قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟
قلت: لا.
فقال هرقل لم يكن ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله .

ولما قالوا للصديق يريدون تشكيكه في حادث الإسراء إن صاحبك يزعم كذا وكذا قال أبو بكر : إن كان قال فقد صدق !! لماذا؟ لأنه ما جربنا على رسول الله ﷺ كذبا أبدا .

بعد سنوات لما رجع النبي إلى مكة وفتحها ، وأصبح أهل مكة بين يديه بإشارة واحدة منه يقتل من يقتل ممن يستحق القتل من هؤلاء ...

قال لهم ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم!!!
هؤلاء هم الذين كانوا من عدة سنوات يقولون ساحر وكاهن وشاعر ، فهم يعرفون النبي ويعرفون أصله وفصله.

الشاهد : أن الرسول ﷺ كانوا يعرفونه ويعرفون أخلاقه والإنسان فينا ربما يتجمل أمام الناس بطريقة كلامه بأفعاله ، لكن لن يستطيع أن يتماسك أربعين سنة في وسط أهله بين زوجته بين خدمه ، سبحان الله العظيم!!! فهذا كلام زوجته ثم كلام صاحبه ثم كلام خادمه فهو من أنفسكم تعرفونه وتعرفون أخلاقه.

ثالثا/ يتلو عليهم آياته ويزكيهم

(لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته) [آل عمران/164]

التلاوة قراءة القرآن وتسمى القراءة تلاوة لأنها آية تتبعها آية ، وهكذا فلتتابع وتوالي القراءة سميت قراءة القرآن تلاوة فهو أول مهامه أن يتلو آيات الله المنزلة عليه.

المهمة الثانية (ويزكيهم)

ما معنى التزكية ؟

التزكية في اللغة مصدر زكى الشيء يزكيه، ولها معنيان:

المعنى الأول : التطهير.

والمعنى الثاني : هو الزيادة، والنماء.

فتزكية النفس شاملة لأمرين:

أ – تطهيرها من الصفات القبيحة.

ب – تنميتها بالأوصاف الحميدة.

فمعنى ويزكيهم أنه ﷺ قام بهدم بناء الجاهلية في النفوس وتربيتها على أخلاق الإسلام ، هدم النبي ﷺ بناء الجاهلية في النفوس والمجتمع من حوله حجرا حجرا وهذا أصعب ما يكون ، ثم أقام بناء الإسلام وربى رجالا.
والنبي ﷺ لم يثبت أنه ألف كتبا؛ إنما ربى رجالا؛ وجعل منهجه منهجا متحركا متجسدا في صحابته الكرام الذين نشرف بذكر سيرهم ، واتباع آثارهم وحبهم ، ربى النبي ﷺ رجالا غاية في المثالية حتى يكونوا قدوات حتى لا يأتي أحد ليقول: إن منهج محمد مستحيل التحقق، هذا رسول الله جاء قدوة فاقتدى به أصحابه، وورثوا المنهج لمن بعدهم، وورثه التابعون إلى من بعدهم، وهكذا إلى يومنا هذا، وما زال ميراث وتربية رسول الله تتوارث جيلا بعد جيل.

ولذلك من الخطأ البين الخوض في صحابة رسول الله ﷺ أو استباحة سبهم أو لعنهم أو انتقاصهم لأن في ذلك معنى أن رسول الله ﷺ لم يحسن تربية أصحابه ، وأنه لم يحسن الاختيار أو كان حوله مجموعة كذا وكذا ....

وحاش لله أن يحيط الله نبيه بما زعموا في صحابته ، إنما كانوا رضوان الله عليهم أطهر قلوبا وأبر أعمالا ، وفي هذا الوقت وهذا الزمان اصطفاهم الله تعالى وجعلهم وزراء نبيه.

لا تسبوا أصحابي:

خالد بن الوليد صحابي أسلم سنة 7 هـ حصل شيء مما يكون بين الناس، بين الصحابيين الجليلين: عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد رضي الله عنهما، وكان عبد الرحمن بن عوف ممن أسلم قبل صلح الحديبية، وخالد بن الوليد ممن أسلم بعده، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال: **(لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نصيفه)**

المُد هو ملء كفي الرجل المعتدل من طعام ، والنصيف يعني النصف، والمعنى: لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ ثوابه في ذلك ثواب نفقة أحد أصحابي مُدًّا ولا نصف مُدّ.

وفي ذلك إشارة لسبقهم ودرجتهم ومكانتهم وفضلهم عند الله سبحانه وتعالى ، فجعل الله لنبينا تزكية للأنفس بما يتلو من آيات فطهر الأنفس من العادات الجاهلية ، كان عندهم الكبر والظلم والقهر والاعتداء والإغارة وقطع الأرحام واستذلال الضعيف ووأد البنات وشرب الخمر .....الخ

صفات جاهلية كثيرة كل هذا هدم وانتهى إلى غير رجعة وأقام النبي ﷺ بناء الإسلام وكان يربي ويعلم ويراجع.

أبو ذر لما قال لأحد الصحابة في ساعة غضب يا ابن السوداء نبهه قائلا إنك امرؤ فيك جاهلية ، فرجع عنها رضي الله عنه.
وقد بلغ الأمر أن المجتمع لما استقام استقامت الأمور كلها واستقامت الموازين فرأينا عمر رضي الله عنه يقول عن بلال مولى أبي بكر : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا ، يقصد بلالا رضي الله عنه.

فكان رسول الله ﷺ يتلو آيات الله، ويزكي الأنفس : يربيها وينقيها، ومع هذا تجد هذا الخير الكثير الذي جعله الله بركة على العالمين.

وصحابة رسول الله ﷺ انطلقوا في الأرض كلها كان الرجل منهم بأمة ، زكى النبي وربى وعلم؛ حتى رأينا هذا الإسلام الذي انتشر في ربوع الأرض مشارقها ومغاربها ، بفضل الله سبحانه وتعالى – ثم بجهود هؤلاء الأطهار الأبرار.

والمنهج باق للتزكية ، القرآن الكريم معنا بين أيدينا نتزكى بتلاوته ونتزكى بفهمه ونتزكى بالعمل به.

وكان من دعاء النبي ﷺ :" اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها "

خير احتفال بالنبي ﷺ في ذكراه:

وهنا أقول : إن خير احتفال بالنبي ﷺ في ذكراه أن تزكي نفسك ، ماذا فيّ من الصفات السيئة والرديئة ؟
فحبا في رسول الله ﷺ سأحاول أن أدفع عن نفسي هذه الصفة السيئة.

هل كان رسول الله ﷺ يحب الغضبان الشديد الغضب ؟ كلا ، إذن فحبي لرسول الله سيدفعني أن أترك الغضب .
يأتيه رجل فيقول أوصني ، قَالَ : لاَ تَغْضَبْ ، فَرَدَّدَ مِرَارًا ، كُلَّ ذَلِكَ يَرْجِعُ

فَيَقُولُ : لاَ تَغْضَبْ، حتى قال له أما تفقه لا تغضب ولك الجنة.

هذه تزكية ،أنت عيبك الوحيد الغضب اترك الغضب ستترك الكثير من الصفات السيئة ، **وفي رواية : قال الرجل ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله.**

شخص آخر يقول: أنا عندي مسألة الغيبة لا أستطيع أن أمسك لساني لما تأتي سيرة شخص أقع في الغيبة فحبا في رسول الله سأنقي نفسي من هذه الصفة السيئة .

شخص آخر يقول: أنا فيّ بعض الكبر سأحاول أن أنقي نفسي من هذه الصفة السيئة ، أنا متكاسل عن صلاة الفجر !!!عن تلاوة القرآن !!!عن كذا وكذا

زكِ نفسك ، نقها ، نمها ، **قال تعالى : (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها [الشمس9 /10]**

فهذا خير احتفال برسول الله ﷺ قال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) [آل عمران/31]

فكان من مهام رسول الله تزكية الأنفس.

رابعا/ (ويعلمهم الكتاب والحكمة)

الكتاب هو القرآن ، لكن ما الفرق بين التلاوة والتعليم ؟

التلاوة قراءة القرآن ، والتعليم أن يتلو ويفهّم المعاني وكيف يطبقونها، من الممكن أن يكون القرآن نصا يتبرك الناس به كما يفعل كثير من المسلمين ، ولا علاقة لهم بالقرآن تطبيقا وعملا .

فالنبي تلا القرآن وعلّمهم كيف يطبق هذا الأمر:

-رآه الصحابة وهو يطبق (كتب عليكم الصيام) [البقرة/183]

-ورأوه وهو يطبق (وأقيموا الصلاة) [البقرة/43]

-وقال لهم (صلوا كما رأيتموني أصلي)

-ورأوه وهو يطبق (وأتموا الحج والعمرة لله) [البقرة/196]

-وكان يقول : (خذوا عن مناسككم)

إذن فهي تلاوة وتعليم كيف تطبق آيات القرآن الكريم.

ما هي الحكمة ؟

الحكمة هي سنة رسول الله ﷺ .

ومن الأمور العجيبة في زماننا أنه يأتي من يقول: نؤمن بالقرآن ولا نؤمن بالسنة !!!

-فمن أين لك أو كيف علمت بالصلوات الخمس ؟ الصبح ركعتان، والظهر والعصر أربع، والمغرب ثلاثة ، والعشاء أربع؟

-من أين علمت تفاصيل مقادير الزكاة وأنصبتها ؟

-ومن أين علمت تفاصيل الحج ومناسكه ؟

فلا ينبغي لأحد أبدا أن يقول أنا آخذ بالقرآن وادع السنة لأن هذا كفر بهذه الآية **(ويعلمهم الكتاب والحكمة)** [آل عمران/164]

وقال تعالى لزوجات نبينا : (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا) [الأحزاب/34]

فالحكمة هي السنة التي أوحى الله تعالى بها لنبينا ﷺ وأخبر النبي بما علمه ربه ولذلك عندنا الاستدلال الشرعي لأي حكم يكون من النبعين الصافيين : الكتاب والسنة.

والصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما ذكر حديث رسول الله ﷺ (لعن الله النامصة والمتنمصة....)

بلغ ذلك امرأة يقال لها: أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنت النامصة والمتنمصة ؟

فقال عبد الله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ؟ وهو في كتاب الله

فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته؟

فقال: لئن كنت قرأته لوجدتيه، قال الله عز وجل: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا [الحشر: 7]

خامسا/ (وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)

أي من قبل بعثته ﷺ كانوا في ضلال واضح ، لا يعرفون الطريق الموصل

إلى ربهم، ولا ما يزكي النفوس ويطهرها، بل ما زين لهم جهلهم فعلوه، ولو ناقض ذلك عقول العالمين.

وهو ضلال الجاهلية التي وصفها جعفر بن أبي طالب لنجاشي الحبشة فقال :

أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية ؛ نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف . . فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ؛ فدعانا إلى الله لنوحده ولنعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ؛ وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. . "

فوائد من الآية الكريمة :

1- إثبات صفة المنّة لله تعالى وحده: لا يليق المنّ الحقيقي إلا بالله لأنه عطاء بلا حدود ولا مقابل، بخلاف البشر.

2- عِظم منّة الله على المؤمنين: إرسال النبي ﷺ أعظم نعمة، فهي منحة ربانية لا مقابل لها، ولا يقدر عليها إلا المنّان جل وعلا.

3- كون الرسول بشرًا من جنس البشر يجعله قدوة كاملة يمكن الاقتداء بها. فلم يكن ملكًا ذا قدرات خارقة، بل كان إنسانًا يعيش بين قومه، ويعرفونه بصدقه وأمانته منذ صغره، مما جعل دعوته مقنعة ومستقرة في النفوس. قصة زيد بن حارثة وشهادة خديجة وأبي سفيان وقريش جميعها تؤكد على صدقه وأمانته قبل وبعد البعثة.

4- لبعثة النبي محمد ﷺ ثلاثة أهداف رئيسية تتكامل مع بعضها البعض:

-تلاوة آيات الله :وهي قراءة القرآن الكريم على الناس.

-التزكية :وهي عملية تطهير النفوس من الأخلاق السيئة مثل الكبر والظلم، وتنميتها بالأخلاق الفاضلة كصدق الحديث وصلة الرحم.

-تعليم الكتاب والحكمة : وهذا يشمل تعليم القرآن وتوضيح كيفية تطبيقه عمليًا في الحياة، وهو ما جسدته سنة النبي ﷺ.

5- أن الناس قبل بعثة الرسول كانوا في ضلال مبين، أي في جهل واضح بالأخلاق الحميدة والطريق الصحيح إلى الله.

6- أفضل احتفال بالنبي ﷺ من خلال محاولة تزكية النفس وتطهيرها من العيوب حبًا فيه واتباعًا لسنته، مثل ترك الغضب أو الغيبة.

7- وجوب شكر نعمة الله على مَنْ مَنَّ الله عليه بالإيمان؛ لأن المراد بهذا الخبر هو شكر نعمة الله سبحانه وتعالى على هذه المنة.

8- اللجوء إلى الله عز وجل بأنْ يثبِّتك على الإيمان؛ لأنه إذا كان هو المانُّ به فهو الذي يملك ثبوته وزواله.

9- فضيلة الرسول عليه الصلاة والسلام، وفضل الله علينا أن جعلنا من أمته.

فاللهم اجزه عنا خير ما جازيت به نبيا عن أمته

ورسولا عن دعوته ورسالته.

اللهم أحينا على ملته وأمتنا على سنته

وانفعنا يوم القيامة بشفاعته واحشرنا إلى الجنة في زمرته.

اللهم كما آمنا به ولم نره فلا تفرق بيننا وبينه حتى تدخلنا مدخله

مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

****

(17)

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

عناصر الخطبة:

أولا / رسول الله رحمة للعالمين

ثانيا / رحمة النبى ﷺ بأمته

ثالثاً/ رحمة النبى في دعوته

رابعا / رحمة النبى بالمرأة

خامساً / رحمة النبى ﷺ بالأطفال

سادساً/ رحمة النبى ﷺ باليتامى والفقراء

(17)وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

تمهيد:

يشرف الإنسان بشرف من يتحدث عنه فعندما يتحدث عن زعيم من الزعماء أو ملك من الملوك تراه يتيه فخرا وشرفا لمن يتحدث عنه، فما بالنا ونحن نتحدث عن المصطفى ﷺ فشرفنا أعظم شرف وفخرنا أعظم فخر.

وما أحوجنا أن نعلم الغرب كله أن نبينا هو نبي الرحمة ، وأن ديننا هو دين العدالة والسماحة ، وأن شريعتنا هي شريعة الرحمة.

عناصر الخطبة:

أولا / رسول الله رحمة للعالمين

ثانيا / رحمة النبى ﷺ بأمته

ثالثاً/ رحمة النبى في دعوته

رابعا / رحمة النبى بالمرأة

خامساً / رحمة النبى ﷺ بالأطفال

سادساً/ رحمة النبى ﷺ باليتامى والفقراء

أولا / رسول الله رحمة للعالمين

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]

قال ابن عباس: رسول الله بعث رحمة للبار والفاجر، فمن آمن بالنبي ﷺ تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة مصداقا لقول الله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33]**

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبى هريرة أنه قيل للنبي : ادع على المشركين.... فقال ":أنى لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة".

وقال: " إنما أنا رحمة مهداة" صححه الحاكم

ورحمة النبي ﷺ رحمة شاملة وعامة وعالمية، وليست عنصرية تقوم على الأعراق أو الألوان أو المذاهب .. بل رحمة لكل البشر، رحمة عامة

ومجردة للعالمين جميعاً، ليست رحمة للعرب دون العجم أو للمسلمين دون غيرهم، أو للشرق دون الغرب .. بل هي رحمة للعالمين.

فكان صلوات الله عليه حين ولد وبعث رحمة للإنسانية، لأنه أعاد لها إنسانيتها وإحساسها بذاتها وكرامتها.

بعث النبي ﷺ والدنيا فوضى فمع أن الكون كله منظومة تسبح لله فإن كثيرا من الناس خرج عنها فعبد شجرة أو حجرا أو صنما...

وصدق ما قاله شوقي في "نهج البردة" مادحا النبي ﷺ

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم.. إلا على صنم قد هام في صنم

ومن ثم كانت رحمته إنسانية عامة، شملت المسلم وغير المسلم، والعربي والأعجمي، والكبير والصغير، والرجل والمرأة ، بل والحيوان والطير والجماد.

فهو يعتبر البشرية جميعها تنتمي إلى أب واحد وإلى أرض واحدة ؛ كما قال **النبي ﷺ :"يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى".**

ثانيا / رحمة النبى ﷺ بأمته

وكما يحكي عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: {رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني} [إبراهيم: 36] الآية، وقال عيسى عليه السلام: {إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم} [المائدة: 118]،

فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال، وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوؤك) رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لكل نبي دعوة يدعوها. فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة".

ولمسلم في رواية: "فهي نائلة، إن شاء الله، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا".
وفي الحديث بيان رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته، فأخر صلى الله عليه وسلم دعوته لأمته إلى أهم أوقات حاجتهم يوم القيامة.

فإن قيل: أليس الأنبياء مجابي الدعوة، وقد أجيبت كثير من دعواتهم لاسيما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؟

فالجواب: أن المراد بالإجابة في الدعوة المذكورة القطع بها، وما عدا ذلك من دعواتهم فهو على رجاء الإجابة.

دعاء النبي لعائشة ولأمته ؟

ودعا رسول الله يوما لعائشة رضي الله عنها قال : اللهم اغفر لعائشة ما قدمت وما أخرت وما أسرت وما أعلنت فضحكت عائشة؛ حتى سقط رأسها في حجرها (فرحت فرحا شديدا لأن الرسول يدعو لها بهذا الدعاء)
فقال رسول الله : أسرك دعائي؟
قالت وكيف لا يسرني دعاءك يا رسول الله.
قال والله إني لأدعو به في كل صلاة لأمتي.

طبت حيا وميتا يا رسول الله !

يا رب أمتي، يا رب أمتي:

حتى في أشد ساعات الموقف العظيم بين يدي الله عز وجل، كل الأنبياء يخافون من هيبة وجلال رب العالمين، كلهم يقول نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري؛ حتى يأتي العباد إلى رسول الله ﷺ .... يقول :

(فانطلق، فأسجد تحت العرش، فيفتح الله علي بمحامد يعلمنيها، فيقول الله جل وعلا لنبيه ومصطفاه يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعط)
أي اسأل ما شئت واطلب الشفاعة فيمن شئت.
(فلا يزيد ﷺ على قوله: يا رب أمتي، يا رب أمتي.)

فيقول الله جل وعلا: (يا محمد أدخل من لا حساب عليهم من أمتك من الباب الأيمن من الجنة وهم شركاء الأمم فيما سوى ذلك من الأبواب.

والذي نفسي بيده ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر .

ثالثاً/ رحمة النبى في دعوته

مقام الدعوة هو الحكمة واللين قال تعالى مخاطبا نبيه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125]

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159]

روى مسلم في صحيحه من حديث معاوية بن الحكم السلمى: بينما أنا أصلى يوماً مع رسول الله إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله يقول: فرماني القوم بأبصارهم(نظروا إلى بحدة وشدة)، فقلت : واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلى .. فرأيت الناس يضربون بأيديهم على أفخاذهم فسكتّ.

يقول: والله ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن منه والله ما كهرنى ولا ضربني ولا شتمني إنما قال لي:" إن الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن"

وقصة الأعرابي الذى دخل مسجد النبى ﷺ وبال في المسجد، وقال الحبيب ﷺ : " لا تزرموه دعوه" اتركوه يكمل بوله في المسجد، وانفعل الأعرابي لأخلاق النبى ورحمته؛ فدعا قائلا: اللهم ارحمني وارحم محمداً ولا ترحم أحدا معنا فقال له المصطفى:" لقد تحجرت واسعا)

والمعنى كما قال الله: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: 156]

فلماذا ضيقت ما وسع الله.

رابعا / رحمة النبى بالمرأة

يدعي الغرب أن الإسلام قد ظلم المرأة ، ولو دققنا لرأينا المرأة في بلاد الغرب ألعوبة يتلهى بها في ريعان شبابها ويُستمتع بها، وإذا ما وصلت إلى سن كبيرة يرمى بها في إحدى دور العجائز والمسنين، وهذه امرأة أمريكية سُألت بعد إسلامها ما هو شعورك تجاه الإسلام؟

فقالت: والله إني أتمنى الآن أن أصرخ بأعلى صوتي لأسُمع كل امرأة في أمريكا أنى مؤخرا وجدت ديناً يحفظ للمرأة كرامتها، إنه دين الإسلام.

جاء النبى ﷺ بدين فيه الرحمة بالمرأة أماً ، وزوجة وبنتاً.

رحمها أماً فقال لرجل سأله يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: " أمك" قال: ثم من؟ قال: "أمك" ، قال : ثم من؟ قال: " أمك" قال ثم من؟ قال: "أبوك"

ورحمها زوجة فقال ﷺ: "اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله) صحيح مسلم.

ورحمها بنتاً فقال ﷺ :" من عال جاريتين أى ابنتين صغيرتين حتى تبلغا كنت أنا وهو في الجنة" وضم بين أصابعه)صحيح مسلم

خامساً / رحمة النبى ﷺ بالأطفال

دخل الأقرع بن حابس على رسول الله ﷺ يوما وهو يقبل الحسن ويقبل الحسين فقال : والله أنا لي عشرة من الولاد ما قبلت واحدا منهم فغضب النبى وقال:" وما أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك، من لا يرحم لا يرحم) متفق عليه.

بل كان ﷺ إذا خرج من المسجد فقابله الصبيان وقف يسلم عليهم، فعن جابر بن سمرة يقول جابر: صليت مع النبى ﷺ الصلاة الأولى، فخرج إلى أهله فقابله الصبيان، فجعل النبيل الله عليه وسلم يمسح خدى أحدهم واحدا واحداً، ثم مسح النبى ﷺ على خدى فوجدت ليده بردا وريحا كأنه أخرجها من جوْنة عطار. صحيح مسلم.

وفى الصحيحين أن الحسن بن على أخذ يوما تمرة من تمر الصدقة فلما وضعها في فيه أخذها النبى ﷺ وقال:" كخ كخ ألا تعلم يا حسن إننا لا نأكل الصدقة".

سادساً/ رحمة النبى ﷺ باليتامى والفقراء

نشأ المصطفى ﷺ يتيماً، وذكره الله بنعمته عليه فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى: 6] وبعدها قال له: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: 9]

فامتثل النبى لأمر ربه فلم يقهر يتيما قط بل قال: " أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين..." رواه البخاري

ويقول النبى ﷺ : أنا أول من يفتح باب الجنة فأرى امرأة تبادرني أى تسابقني

تريد أن تدخل معي الباب فأقول لها: من أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لي" صححه الألباني

مات زوجها فأبت الزواج مع حاجتها إليه، وعكفت على تربية الأبناء، فهذه المرأة مكانتها أنها تسابق النبى ﷺ لتدخل معه الجنة، ويا لها من كرامة.

أما عن الفقراء فقد قلب النبي ﷺ موازين الجاهلية وضبطها بميزان الإسلام:

روى البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال : " مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لرجل عنده جالس : (ما رأيك في هذا ؟) ، فقال : رجل من أشراف الناس ، هذا والله حري إن خطب أن ينكح ، وإن شفع أن يشفع، قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل آخر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما رأيك في هذا ؟) ، فقال: يا رسول الله ، هذا رجل من فقراء المسلمين ، هذا حري إن خطب أن لا ينكح ، وإن شفع أن لا يشفع ، وإن قال أن لا يسمع لقوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هذا خير من ملء الأرض مثل هذا) .

وروى أحمد عن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا ذر، ارفع بصرك فانظر أرفع رجل تراه في المسجد) قال: فنظرت، فإذا رجل جالس عليه حلة، قال: فقلت: هذا.

قال: فقال: (يا أبا ذر، ارفع بصرك فانظر أوضع رجل تراه في المسجد) قال: فنظرت، فإذا رجل ضعيف عليه أخلاق [24]، قال: فقلت: هذا.

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده ، لهذا أفضل عند الله يوم القيامة من قراب الأرض مثل هذا) .

لماذا؟ لأن الميزان الذى يزن به رب العزة الناس هو التقوى.

سابعا/ رحمة النبى ﷺ بالمخالفين

روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: "هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟"

---

[24] قوله" :فإذا رجل ضعيف عليه أخلاق" أي رجل فقير الحال، قليل الهيئة، لا قوة له ولا جاه عند الناس، فكلمة "أخلاق "هنا ليست من "الأخلاق" التي تعني السجايا والصفات، وإنما من مادة "خَلَق" أي الثوب الخَلِق البالي، وجمعه :أخلاق.
المعنى إذن:رجل ضعيف فقير، وعليه ثياب قديمة بالية (أي رثة)، يظهر عليه أثر الفقر والمسكنة.

فقال : (لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب.

فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.

فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت."
فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً)

والله لو كان رسول الله ﷺ ممن ينتقم لنفسه لأمر ملك الجبال ففعلها، ولكن رسول الله ما خرج ليثأر لنفسه قط وما انتقم لذاته أبدا، فهو الرحمة المهداة هذه رحمته بمن رموه بالحجارة وقذفوه، لأنه في مقام دعوة والدعوة تحتاج إلى رفق وإلى رحمة

وجاءه الطفيل بن عمرو الدوسي إلى النبى ﷺ وقال: يا رسول الله: كفرت دوس فادع الله عليهم فرفع النبى يديه إلى السماء قائلا **:" اللهم أهد دوسا وأت بهم"**. فاستجاب الله دعاء حبيبه ﷺ فهدى الله دوسا وأتى الله بهم وعلى رأسهم الطفيل وأبو هريرة رضوان الله عليهم جميعاً.

الخلاصة:

1- بُعِثَ النبي ﷺ رحمةً للعالمين، لتشمل رحمته المسلم وغير المسلم، العربي والأعجمي.
2- ظهرت رحمته ﷺ بأمته في دعائه لهم بالمغفرة ، وادخاره لدعوته المستجابة لتكون شفاعة لهم يوم القيامة.
3- كانت دعوة النبي ﷺ قائمة على الحكمة واللين، وليس الفظاظة أو الغلظة.
4- جاء الإسلام ليرفع مكانة المرأة أماً وزوجة وبنتاً، وأيضاً رفع شأن

الأطفال، واليتامى، والفقراء.

5- الميزان الحقيقي للتفاضل بين الناس ليس الغنى أو الجاه، بل هو التقوى.

6- الرحمة بالمخالفين :تجلى أعظم صور الرحمة في موقف النبي ﷺ مع أهل الطائف، حيث رفض الانتقام منهم، ودعا لهم بالهداية.

****

(18)
أسباب مرافقة النبي ﷺ في الجنة

عناصر الخطبة:

أسباب مرافقة النبي ﷺ في الجنة

السبب الأول: المحبة والمتابعة والطاعة

السبب الثاني: كثرة الصلاة (السجود والنوافل)

السبب الثالث: حسن الخلق

السبب الرابع: الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ

السبب الخامس: كفالة اليتيم

السبب السادس: الإحسان إلى البنات أو الأخوات

(18)أسباب مرافقة النبي ﷺ في الجنة

تمهيد:

إن أشرف أُمنية يتمناها المؤمن في الدنيا والآخرة: أن يكون رفيقًا لرسول الله ﷺ في دار الكرامة، قريبًا منه في مقعد صدق عند مليك مقتدر؛ فذلك هو الفضل الكبير والفوز العظيم.

وقد بين لنا النبي ﷺ أن هذه المرافقة ليست بالتمني ولا بالدعوى، بل لها أسباب عظيمة ووسائل جليلة، من أخذ بها نال القرب، ومن فرط فيها فاته أعز مطلب.

وفي لقائنا هذا نقف مع بعض هذه الأسباب التي جاء ذكرها في الكتاب والسنة، لعل الله أن يجعلنا وإياكم ممن ينالون مرافقة نبيه ﷺ في جنات النعيم.

عناصر الخطبة:

أسباب مرافقة النبي ﷺ في الجنة

السبب الأول: المحبة والمتابعة والطاعة

السبب الثاني: كثرة الصلاة (السجود والنوافل)

السبب الثالث: حسن الخلق

السبب الرابع: الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ

السبب الخامس: كفالة اليتيم

السبب السادس: الإحسان إلى البنات أو الأخوات وتربيتهن

السبب السابع: الدعاء الصادق

أولا/ المتابعة والطاعة

في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه، أن رجلا سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟

قال: «وماذا أعددت لها»؟

قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ.

فقال: «أنت مع من أحببت».

قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت»، فأنا أحب النبي ﷺ، وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني لأحبك، حتى إني لأذكرك، فلولا أني أجيء فأنظر إليك ظننت أن نفسي تخرج، فأذكر أني إن دخلت الجنة صرت دونك في المنزلة فشق ذلك علي، وأحب أن أكون معك في الدرجة.

فلم يرد رسول الله ﷺ شيئا، فأنزل الله عز وجل: {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم} [النساء/ 69]، فدعاه رسول الله ﷺ فتلاها عليه. رواه الطبراني في الأوسط ،وقال ابن كثير: قال الحافظ الضياء المقدسي: لا أرى بإسناده بأسا.

وقال البغوي في تفسير قول الله تعالى: { ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا }(النساء: 69) : " نزلت في ثوبان مولى رسول الله ﷺ ، وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ ، قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه، فقال له الرسول ﷺ : ما غير لونك؟!

فقال: يا رسول الله، ما بي مرض ولا وجع، غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة فأخاف أني لا أراك، لأنك ترفع مع النبيين، وإني إن دخلت الجنة في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدا، فنزلت هذه الآية "رواه الطبراني في الأوسط وقال الألباني: صحيح بشواهده.

فكان حاله مع رسول الله ﷺ كما قال الشاعر:

الحزن يحرقه والليل يقلقه والصبر يسكته والحب ينطقه

ويستر الحال عمن ليس يعذره وكيف يستره والدمع يسبقه

ثانيا/ كثرة الصلاة

في صحيح مسلم، قال ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سل».

فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة.

قال: «أو غير ذلك»؟

قلت: هو ذاك.

قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود».

قال ابن القيم رحمه الله: "وإذا أردت أن تعرف مراتب الهمم فانظر إلى همة ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه وقد قال له رسول الله ﷺ: «سلني»، فقال: أسألك مرافقتك في الجنة. وكان غيره يسأله ما يملأ بطنه، أو يواري جلده"(مدارج السالكين (147/3).)

والحديث دليل على أن مرافقة النبي ﷺ لا تنال بالتمني، فلابد من العمل لنيلها.

ومعنى "أسألك مرافقتك في الجنة" أي: اشفع لي، أوادع لي الله فدعاؤك مستجاب وشفاعتك مقبولة، ومن المعلوم قطعا أن النبي ﷺ مستجاب الدعوة لكنه بين له أن هذه المنزلة تنال بكثرة النوافل.

ثالثا/ حسن الخلق

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون، والمتشدقون، والمتفقهون».

قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيقهون؟ قال: «المتكبرون». رواه الترمذي

ومعني: «أقربكم مني مجلسا يوم القيامة»، أي: في الجنة؛ فإنها دار الراحة والجلوس، أما الموقف فالناس فيه قيام لرب العالمين.

المتفيقهون: هم المتوسّعون في الكلام، المتعمّقون فيه، المتكلفون إظهاره بفصاحتهم، وتفوقهم على غيرهم، مأخوذ من الفهق وهو الامتلاء، كأن كلامه ممتلئ تفاصحًا وتكلفًا وتعاظمًا.

رابعا/ كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة» رواه الترمذي.

قوله: "إن أولى الناس بي يوم القيامة": أقربهم مني يوم القيامة، وأولاهم بشفاعتي.

خامسا/ كفالة اليتيم

إن الإحسان إلى الأيتام من أسباب الفوز بأعلى الجنان.

في الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما.
ومعنى "كافل اليتيم: القائم بأموره.

وفي مسند أبي يعلى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا أول من يفتح له باب الجنة، إلا أنه تأتي امرأة تبادرني، فأقول لها: مالك؟ من أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لي.) قال الألباني ضعيف الإسناد.

قال ابن بطال : " حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك " .

قصة رجل رأى الرسول بالرؤيا:

أذكر أن أحد الإخوة الأفاضل قال لي اشتقت لأن أرى رسول الله ﷺ في رؤيا فسألت أحد الشيوخ فقال لي أكثر من الصلاة عليه.
قال فالحمد لله كنت أكثر من الصلاة على النبي ﷺ ألفين ثلاثة آلاف، وأنا في المواصلات ، وأنا في العمل...حتى رأيت هذه الرؤيا:
رأيت كأن رسول الله في مكان، والناس يدخلون ليسلموا عليه ... وعندما أردت الدخول وجدت الذي يقف أحد إخواني زملاء العمل ، يقف على باب رسول الله ﷺ فاستأذنت للدخول، وقد سررت كثيرا أني رأيت زميلي هو حاجب أو سكرتير الدخول على رسول الله ﷺ.
فقال لي :هل اسمك معنا فبحث في أوراق كانت معه؟ ثم قال: نعم اسمك معنا تفضل.
قال: فدخلت ورأيت رسول الله ﷺ، كما وصف لنا ﷺ.
وحينما استيقظت شغل بالي صديقي الذي معي في العمل ما هي درجته وما هي رتبته؟ أنا جئته ضيف وهو واقف سكرتيرا للمكان الذي فيه رسول الله ﷺ.

فقلت له: لي عندك بشرى بشرط أن تخبرني بماذا بلغت هذه الدرجة؟
فما زال به حتى أخبره فقال: والله هذه بيني وبين ربي لي أخ توفي من أربع سنوات في حادث سيارة وترك عدة أبناء، لما مات قلت لأبنائه أنا أبوكم أنفق عليكم كما أنفق على أبنائي فأنا والحمد لله رب العالمين أولاد أخي يعيشون معي وأنفق عليهم ، لا أفرق بينهم وبين أبنائي أبدا.
قال بهذه بلغت ما بلغت .

صدق رسول الله ﷺ (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، وأشار إلى السبابة والوسطى)

أخبر فلانا أنه من أهل الجنة:

وهذه قصة أخرى واقعية مشابهة حدثت مع رجل في الكويت؛ حيث يقول:

بينما أنا نائم، إذ رأيت الرسول يقول لي: أخبر فلان بن فلان الفلاني أنه من أهل الجنة، فلما استيقظت وقد حفر اسم الرجل في ذاكرتي، لكني تعجبت من الأمر؛ لأني لا أعرف رجلا بهذا الاسم، ولم أفعل شيئا لعدم معرفتي بالرجل، لكني كنت في ضيق؛ كوني لم أجد طريقة لتنفيذ أمر رسول الله ﷺ لأني أعلم أن رؤياه حق.

وفي ليلة تالية رأيت رسول الله ﷺ ثانية، وردد علي ما قال في الرؤيا الأولى: أخبر فلان بن فلان الفلاني أنه من أهل الجنة، استيقظت وبدأت أسأل وأتحرى أمر الرجل، بحثت في دليل الهاتف، وسألت الاستعلامات، بل طلبت من بعض الإخوة في دوائر الأحوال المدنية أن يتطلعوا لي هذا الأمر، وكل محاولاتي باءت بالفشل.

ومرت أيام وأنا أكثر من دعاء الله أن يعرفني بهذا الرجل، وكنت أكثر من الصلاة على النبي محمد ﷺ ومرت أيام وأنا على هذا الحال، حتى رأيت رسول الله ﷺ في رؤيا ثالثة يقول لي: أخبر فلان بن فلان الفلاني في مدينة الرياض وعنوانه كذا، أنه من أهل الجنة.

فسرت عني هذه الرؤيا، ولم أتردد في السفر إلى الرياض؛ للبحث عن هذا الرجل المبارك، ولما وصلت العنوان، وسألت عن الرجل في حيه، دلني جيرانه عليه، طرقت بابه، ففتح لي رجل عادي المظهر، فسألته: أين أجد فلان بن فلان الفلاني؟

قال: أنا هو تفضل، قصصت على الرجل القصة، فأجهش في البكاء.

سألته: بالله عليك أخبرني بسرك، هل تقوم بعمل معين حتى تكون من أهل الجنة؟

فأطرق الرجل وقال بعد تردد: أقول لك على شرط: ألا تذكر اسمي بين الناس، فإنه لا يعلم سري إلا الله، فوافقت دون تردد.

قال لي: كان لي جار له زوجة وعيال وتوفاه الله، وأنا رجل موظف لكني أشعر بحاجة هذه العائلة، فأقسم راتبي إلى نصفين، أعطيهم نصفه دون أن يعرفوا من الذي ينفق عليهم، ولا يعلم أحد بهذا، حتى زوجتي.

عندها عرفت السر، فإن هذا الرجل كان مخلصا وصادقا في كفالة هؤلاء الأيتام، وأنفق من أعز ماله مع قلته، فاستحق أن يكون رفيق رسول الله في الجنة.

سادسا/ تربية البنات

في صحيح مسلم عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: : من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه.)

وفي رواية الترمذي عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين وأشار بأصبعيه)

وفي مصنف ابن أبي شيبة قال ﷺ: «من كان له أختان أو ابنتان فأحسن إليهما ما صحبتاه كنت أنا وهو في الجنة كهاتين» وقرن بين أصبعيه.

سابعا/ الدعاء

والدليل حديث ربيعة الذي طلب إلى النبي صلى الاله عليه وسلم أن يسأل له مرافقته في الجنة.

وفي مسند أحمد، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وهو بين أبي بكر وعمر، وإذا ابن مسعود يصلي، وإذا هو يقرأ النساء، فانتهى إلى رأس المئة، فجعل ابن مسعود يدعو وهو قائم يصلي، فقال النبي ﷺ: «اسأل تعطه، اسأل تعطه».

ثم قال: «من سره أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه بقراءة ابن أم عبد».

فلما أصبح غدا إليه أبو بكر ليبشره، وقال له: ما سألت الله البارحة؟

قال: قلت: اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد، ونعيما لا ينفد، ومرافقة محمد في

أعلى جنة الخلد.

ثم جاء عمر ليبشره، فقيل له: إن أبا بكر قد سبقك، قال: يرحم الله أبا بكر ما سبقته إلى خير قط إلا سبقني إليه.

هل المرافقة تعني أن المرتبة واحدة؟

الجواب: لا.
ففي صحيح مسلم وغيره، قال ﷺ: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي؛ فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة».

والحديث يدل على أن أعلى درجات الجنة لن تكون إلا لرسول الله ﷺ.

وأما قول ربيعة رضي الله عنه: "أسألك مرافقتك في الجنة"، فمعناه كما قال أهل العلم: أسأل صحبتك وقربك في الجنة، ولا يقصد به أن يكون معه في درجة الوسيلة الخاصة به ﷺ ولا أن يساويه في النعيم.

خاتمة:
بعد أن عرفنا أسباب مرافقة النبي ﷺ في الجنة، ندرك أن هذا الشرف العظيم لا ينال بالأماني ولا بمجرد الدعوى، وإنما بالعمل الصالح، والاقتداء بالنبي ﷺ في طاعته، والإكثار من ذكره والصلاة عليه، والتحلي بحسن الخلق، والإحسان إلى الضعفاء والأيتام، وتربية البنات والأخوات، والدعاء الصادق المخلص.

فمن أخذ بهذه الأسباب كان له أوفر الحظ والنصيب من مرافقة الحبيب ﷺ، ومجاورته في الفردوس الأعلى، وما ذاك على الله بعزيز.

فاللهم ارزقنا حبك وحب نبيك ﷺ، واجعلنا من رفقائه في الفردوس الأعلى، مع الذين أنعمتَ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

****

(19)

سبيل الوصول إلى محبة الرسول

عناصر الخطبة :

أولا / وجوب محبة رسول الله ﷺ

ثانيا/ نماذج من حب الصحابة لرسول الله ﷺ

ثالثا/ كيف الوصول إلى محبة الرسول ؟

(19) سبيل الوصول إلى محبة الرسول

عناصر الخطبة :

أولا / وجوب محبة رسول الله ﷺ

ثانيا/ نماذج من حب الصحابة لرسول الله ﷺ

ثالثا/ كيف الوصول إلى محبة الرسول ؟

أولا / وجوب محبة رسول الله ﷺ

إن محبة رسول الله ﷺ محبة لله عز وجل، فلا يكتمل إيمان العبد إلا بحبه لله ورسوله بدلالة اقتران محبة الله مع محبة رسوله في كثير من الآيات والأحاديث.

فمن الآيات :

1 - قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24]

فمحبة الله ومحبة الرسول مقدمة على محبة الأب والابن والزوجة، وعلى محبة الأهل جميعاً، وعلى محبة التجارة، والأموال، والمساكن، لا تستقيم حياة المسلم ولا يستقيم دينه ولا تستقيم عبادته، إلا بهذا التقديم المتضمن كمال الحب والخضوع لأوامر الله ورسوله.

2- قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]

قال الحسن البصري: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية ، فقال : **(قل إن كنتم تحبون الله ...)**

وقال ابن القيم رحمه الله: فلما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة؛ فجاءت هذه الآية.

وأما الأحاديث فمنها :

1- عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...) رواه البخاري.

والمعنى: أن يقدم محبة الله ومحبة رسوله على محبة نفسه والناس كلهم؛ وذلك لأنه يعرف بأن الله تعالى هو ربه، وهو مالكه، وهو المتصرف فيه؛ فيحبه من كل قلبه. ويعرف –أيضا أن النبي ﷺ هو رسول الله إلى الأمة، وهو الذي أنقذهم الله به من الضلالة ومن الكفر ومن العصيان، فيحبه –أيضا من كل قلبه، فيكون بذلك مقدما لمحبة الله ومحبة رسوله على محبة كل شيء.

وإذا أحب الله تعالى أحب عبادته؛ كالصلاة والصوم والصدقة، والذكر والدعاء وقراءة القرآن، وأحب جميع الطاعات، وتلذذ بها، وواظب عليها، وأكثر منها، وكذلك أيضا أحب كل من يحبهم الله، هذه علامة محبة الله.

ومحبة النبي ﷺ علامتها: أن يتبعه، ويطيعه، ويعمل بكل ما أمره به، وكذلك يقتدي به ويتخذه أسوة؛ لقول الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ **[الأحزاب: 21]**
وكذلك إذا أحب النبي ﷺ فإنه يكره معصيته والخروج عن سنته.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: إن حلاوة الإيمان لا توجد إلا بتكميل هذه المحبة بثلاثة أمور:

أولاً: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما

وثانياً: تفريغ هذه المحبة وهو: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله؛ لأن محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب.

والثالث :دفع ضد هذه المحبة، وهي: أن يكره المسلم ضد الإيمان، وهو الكفر كما يكره أن يقذف في النار.

2- وعن أنس أيضا قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم،

حتى أكون أحب إليه من والده وولده، والناس أجمعين) حديث صحيح.
قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله! لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال ﷺ: لا، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك . فقال له عمر : فإنك الآن أحب إليّ من نفسي، فقال: الآن يا عمر

فلا يكتمل إيمان أحدكم حتى أكون أحب إليه، أي: أشد حباً من حب هذا الرجل لولده ووالده والناس أجمعين.

الإنسان منا قد يدعي أنه يحب الله ورسوله أكثر من أي شيء، لكن في الواقع قد يحب أشياء أكثر من الله ورسوله، فعندها يسأل نفسه هل أنا أحب الله ورسوله أكثر أم العمل أم الزوجة أم الولد؟

3 وعن أنس أيضا رضي الله عنه: (أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: متى الساعة يا رسول الله؟ !
فقال عليه الصلاة السلام لهذا الرجل: ما أعددت لها؟
قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله . قال: فأنت مع من أحببت.
قال أنس : ففرحنا يومئذ فرحاً شديداً؛ لأن الرسول ﷺ يقول: (أنت مع من أحببت).

ثانيا/ نماذج من حب الصحابة لرسول الله ﷺ

1- عن عائشة قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: "يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت انك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وأني إذا دخلت الجنة خشيت ألا أراك.

فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئا حتى نزل جبريل بهذه الآية {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم...} الآية". قال الشيخ أحمد شاكر في التفسير حسن لغيره، وفي بعض الروايات أن الصحابي اسمه ثوبان

2- وعن عبد الرحمن بن شماسة قال: (دخلنا على عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت، فحول وجهه إلى الجدار وجعل يبكي طويلاً، فجعل ابنه يقول: يا أبتِ، ألم يبشرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكذا وكذا؟

يهدئ من روعه وبكائه، قال: فالتفت إلينا وقال:

إن أفضل ما نعد لهذا اليوم شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، لقد رأيتني على أطباق ثلاث أي: على ثلاث مراحل من حياتي:

لقد رأيتني وما أحدٌ أشد بغضاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مني، ولا أحب إليّ من أن أكون استمكنت منه فقتلته، وإذا مت وأنا على هذه الحال لكنت من أهل النار، فلما أسلمتُ جئت النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله !ابسط يدك فلأبايعك، قال: فبسط يده، قال: فقبضت يدي، فقال لي: مالك يا عمرو ؟

قلت: أردت أن أشترط، قال: تشترط ماذا؟
قلت: أشترط أن يغفر لي.
قال: يا عمرو ، أو ما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الحج يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما قبلها.

قال عمرو : فما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من النبي ﷺ، ووالله ما كنت أستطيع أن أُحِد النظر إليه إجلالاً له، ولئن سألتموني أن أصفه لكم لما استطعت؛ لأنني ما كنت أطيق أن أُحِدّ النظر إليه تعظيماً له، فإن مت على هذه الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم حدثت أمور وولينا أشياء يغفر الله لنا) رواه مسلم

3- وفي غزوة أحد لما حدثت المقتلة للمسلمين، وهم قافلون إلى المدينة، قيل لامرأة كانت تنتظر: (مات زوجك..... مات أبوكِ..... مات ولدك..... مات أخوكِ..... ماذا بقي لها؟ فقالت لهم: وماذا فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: هو بخير، قالت: أريد أن أراه!!!

لا تريد خبراً عن زوجها ولا أبيها ولا أخيها ولا عن أي شيء، بل سألت عن المحبوب الأعظم عليه الصلاة والسلام .

ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: هو بخير، قالت: أروني إياه، فلما رأته قالت له: كل مصاب بعدك جلل يا رسول الله !!!

جلل : تأتي بمعنى عظيم، ومعنى صغير أو قليل فهي من ألفاظ الأضداد والمقصود هنا صغير لا قيمة له.

4 - ولما أخرج زيد بن الدثنة (بكسر الدال وتشديد النون)، وكان أسيرا عند قريش وخرجوا به إلى خارج الحرم ليقتلوه وربطوه، قال له أبو سفيان وكان كافراً: أنشدك الله ، أتحب أن محمداً الآن مكانك يضرب عنقه وأنك في أهلك؟

قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأنا جالس في أهلي.

أي: ليس فقط هكذا، كلا، لو أن الرسول تشاكه شوكة، هذا عندي أعظم من أن أقتل أنا، فلو خيرت بين قطع عنقي، وبين شوكة تصيب الرسول، لاخترت قطع عنقي أنا على أن الشوكة تصيب الرسول ﷺ.

فقال أبو سفيان : ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً، كحب أصحاب محمد محمداً.

5- وفي حديث الحديبية أن عروة بن مسعود قبل أن يسلم بعثه أهل مكة ليتفاوض مع الرسول ﷺ ويصالحه، فجعل عروة يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه، قال عروة يصف كيف كان وضع الصحابة مع الرسول: فوالله ما تنخم محمد نخامة النخامة ما يخرج من أقصى الحلق من البصاق إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه كل واحد يريد أن يأخذ الزائد من وضوء الرسول ﷺ من الماء الذي توضأ به –وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، ولا يحدون إليه النظر تعظيماً له.
فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم! والله لقد وفدت على كل الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله ما إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، ولا يحدون النظر إليه تعظيماً له.

6 -حنين الجذع للنبي ﷺ كان رسول الله ﷺ يصلي إلى جذع ، إذ كان المسجد عريشا ، وكان يخطب إلى ذلك الجذع ، فقال رجل من أصحابه : هل لك أن نجعل لك شيئا تقوم عليه يوم الجمعة ، حتى يراك الناس وتسمعهم خطبتك ؟

قال : نعم ، فصنع له ثلاث درجات ، فهي التي أعلى المنبر ، فلما وضع المنبر ، وضعوه في موضعه الذي هو فيه ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يقوم إلى المنبر، مر إلى الجذع الذي كان يخطب إليه ، فلما جاوز الجذع ، خار حتى تصدع وانشق !!!

فنزل رسول الله ﷺ لما سمع صوت الجذع ، فمسحه بيده حتى سكن ، ثم رجع إلى المنبر ، وكان إذا صلى ، صلى إليه ، فلما هدم المسجد وغير ، أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب ، وكان عنده في بيته حتى بلي ، فأكلته الأرضة وعاد رفاتا. رواه ابن ماجة وحسنه الألباني
ولما روى الحسن البصري هذا الحديث قال: (يا معشر المسلمين! أيكون

الجذع أشد حنيناً للنبي ﷺ منكم؟ خشبة تكون أكثر حنيناً للنبي ﷺ منكم؟!!!

7 - وعن أنس قال: (دخل علينا رسول الله ﷺ: فقال عندنا أي: نام عند الظهر نوم القيلولة فعرق عليه الصلاة والسلام في نومه، فجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها تأخذ من عرق جبين الرسول وتضعه في القارورة.

فاستيقظ الرسول ﷺ، فقال: يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك، نجعله في طيبنا، وإنه أطيب الطيب) الصحيحين

لأن عرق الرسول ﷺ كان أطيب من جميع أنواع الطيب، كان له رائحة مثل رائحة المسك بل أشد.

8- قصة أبي أيوب مع النبي ﷺ
عندما دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة مهاجراً؛ فإنه نزل في دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وهذه القصة في صحيح مسلم ، وكان لدار أبي أيوب طابقان، فقال النبي ﷺ لأبي أيوب بعدما عرض عليه أن يسكن في أعلى البيت: (يا أبا أيوب السُفل أرفق بنا يغشاني أصحابي)، السُفل: أي المكان الأسفل أرفق بنا، بحيث أن أي رجل يريد النبي عليه الصلاة والسلام لا يدخل على بيت أبي أيوب ، ثم يصعد إلى فوق.

قال أبو أيوب : (وكنا نرسل إليه الطعام، فعندما نأكل نسأل من أين أكل؟ فنتحرى موضع أصابعه فنأكل منه، وكذلك إذا شرب نتحرى موضع الشرب فنشرب منه، قال :فأرسلتُ له يوماً طعاماً فيه ثوم فرده ولم تظهر يده فيه، قال :ففزعت، ونزلت، فقلت: يا رسول الله، أحرام هو؟

قال: لا لكني أنُاجي والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، قال أبو أيوب : لا جرم أن أكره الذي تكره).

قال أبو أيوب : (وانكسر لنا إناء، قال: فجففت الماء بلحافي ولحاف امرأتي، وما لنا غيره خشية أن تنزل نطفة من الماء على النبي ﷺ، فقال لامرأته: انزوي وانزووا جميعاً في ركن البيت حتى لا يمشيان على سقيفة تحتها رسول الله ﷺ، فلما أصبح الصباح نشده أن يصعد، وقال: (لا أعلو سقيفةً أنت تحتها)

9 - وقال علي بن أبي طالب : كان رسول الله – ﷺ – أحبّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا وأحبّ إلينا من الماء البارد على الظمأ.

ثالثا/ كيف الوصول إلى محبة الرسول ؟

1- اتباعه وطاعته في كل ما أمر به :

قال تعالى :﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]

وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: 54]

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: 1]

والمراد: لا تسبقوا الله ورسوله بقولٍ أو بفعل، وقال ابن عباس (لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة)

وقال: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7]

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي – ﷺ أنه قال: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى) رواه البخاري

ومعناه أن أمته التي تطيعه وتتبع سبيله تدخل الجنة، ومن لم يتبعه فقد أبى، فاتباعه – ﷺ من أسباب محبة الله للعبد، ومن أسباب المغفرة، ومن أسباب دخول الجنة. أما عصيانه ومخالفته فذلك من أسباب غضب الله ومن أسباب دخول النار.

2- توقيره واحترامه وتعظيمه بعد وفاته

قال الله تعالى :﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: 9]

يقول ابن تيمية:التعزير اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه.

والتوقير : اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال ، وأن يعامل

من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار.

كذلك محبة الرسول ﷺ تقتضي توقيره عليه الصلاة والسلام واحترامه، وتعظيمه حتى بعد وفاته، وذلك عند ذكره عليه الصلاة والسلام، وعند سماع اسمه وسيرته، ولذلك كره العلماء رفع الصوت في مسجد النبي ﷺ، وكذلك عند قراءة حديثه وسيرته، وعند سماع القرآن أو تفسيره؛ وكان من سنة السلف أنهم كانوا يخفضون أصواتهم وينصتون عندما تقرأ عليهم الأحاديث.

وعندما ناظر الخليفة أبو جعفر الأمام مالك قال مالك للخليفة: لا ترفع صوتك يا أمير المؤمنين في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوماً، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: 2] ومدح قوماً فقال:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: 3] وذم قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: 4] وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً، فاستكان لها أبو جعفر ، أي نزل عند نصح الإمام مالك.

وكان الصحابة يحترمون الرسول أيما احترام، فكان باب بيته ﷺ يقرع بالأظافير كما ورد في الحديث الصحيح، حتى باب بيت الرسول ما كانوا يطرقونه طرقاً، كانوا يضربون عليه بالأظافير!!
انظروا إلى الحساسية المرهفة التي تعامل فيها الصحابة مع نبيهم ﷺ

3- كثرة الصلاة عليه ﷺ

ومن علامات محبة رسول الله: كثرة الصلاة عليه ﷺ، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة منها:

أ- **(من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا) صحيح**

ب-**(من كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم مني منزلة) حديث حسن.**

ج-**أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يا محمد! أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول: إنه لا يصلي عليك من أمتك أحد صلاة، إلا**

صليت عليه بها عشرا، ولا يسلم عليك أحد من أمتك تسليمة إلا سلمت عليه بها عشرا، فقلت: بلى أي ربي) رواه أحمد وهو حديث صحيح.

د-وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتاني آت من عند ربي عز وجل، فقال: من صلى عليك من أمتك صلاة، كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ورد عليه مثلها) رواه أحمد

هـ - ولأجل هذه النعمة التي أنعم الله بها على نبيه صلى الله عليه وسلم، فقد سجد عليه السلام شكرا لربه عليها كما جاء في الحديث الصحيح، وأخبر عليه السلام أيضا، بقوله: (ما من عبد يصلي علي إلا صلت عليه الملائكة، مادام يصلي علي، فليقل العبد من ذلك أو ليكثر) حديث حسن.

و- وخص الله ملائكة معينين وظيفتهم السياحة في الأرض لتبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم سلام أمته عليه، فقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي يرويه الإمام أحمد وغيره: (إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام)

3- إيثار أمره على هوى أنفسنا :

ويطلق الهوى في الشرع على ميل النفس إلى مخالفة الشرع وإلى ما تدعو إليه الشهوات، وهذا هو المعروف في استعمال الهوى غالبًا.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بِنِ عمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَواهُ تَبَعَاً لِمَا جِئْتُ بِهِ) [25]

ورغم أن الحديث ضعيف من حيث السند، ولكنه صحيح من حيث المعنى؛ إذ أن تحقيق الإيمان الكامل يتطلب أن يوافق هوى الإنسان ما جاء به النبي ﷺ من الشرع، وهذا مدعوم بنصوص أخرى من القرآن والسنة، كقوله تعالى: **{فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي**

---

[25] ذكر الحديث الإمام النووي في خاتمة كتابه الأربعين النووية وقال عنه: حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح. وأشار ابن حجر في فتح الباري إلى ضعف الحديث بسبب ضعف أحد رواته وهو نعيم بن حماد. وذكر الذهبي في ميزان الاعتدال أن الحديث من رواية نعيم بن حماد، وبيَّن أن فيه كلاماً. وحكم الألباني عليه في السلسلة الضعيفة (حديث رقم 78) بالضعف.

أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً} (سورة النساء: 65).

فشرط التحقق بصفة الإيمان الكامل هو الخضوع لأحكام الشرع والتسليم لإرادة الله دون أدنى تردد.

ومن استحسن شيئًا برأيه المجرَّد، ومالت إليه نفسه، ولو كان مخالفًا للشرع؛ فهذا يكون ناقص الإيمان، وقد ينتفي الإيمان بالكلية إن كان هواه لا يكون تابعًا لما جاء به الرسول ﷺ في كل الدين.

وقد ربط النبي ﷺ كمال الإيمان بجعل الهوى تابعًا لما جاء به.

(حَتَّى يَكُونَ هَواهُ) أي: يستمر عدم الإيمان الكامل إلى صيرورة هواه تابعًا لما جاء به النبي ﷺ.

إذن فالإيمان الكامل مرتبط بالاتباع القلبي والعملي لما جاء به النبي ﷺ.

ويجب على كل مسلم أن يقدم الوحي على كل رأي شخصي أو ميل نفسي.

الخلاصة:

1- محبة الرسول ﷺ واجبة ومقدمة على محبة النفس والأهل والمال، وهي شرط أساسي لكمال الإيمان.

2- للوصول إلى هذه المحبة العظيمة، يجب على المسلم اتباع هذه الخطوات:

1. اتباع سنته وطاعته :محبة الرسول ﷺ ليست مجرد عاطفة، بل هي اتباع لأوامره واجتناب لنواهيه.
2. توقيره وتعظيمه :يجب احترام النبي ﷺ وتوقيره في حياته وبعد وفاته، سواء عند ذكر اسمه أو سماع سيرته، وخفض الصوت عند تلاوة حديثه.
3. كثرة الصلاة عليه :الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ يدل على محبته.
4. تقديم أمره على هوى النفس :يجب أن يكون هوى المسلم تابعاً لما جاء به النبي ﷺ، فكمال الإيمان مرتبط بتقديم أوامر الشرع على الرغبات

الشخصية.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم

من الذين يحبون رسول الله حق المحبة،

وأن يرزقنا شفاعته،

وأن يرزقنا الالتقاء به في جنة الفردوس،

وأن يرزقنا الأخذ بسنته صغيرها وكبيرها،

ونسأله سبحانه وتعالى أن ينعم علينا وعليكم

باتباع طريقة رسول الله ظاهراً وباطناً.

اللهم آمين

****

(20)

النبي الشهيد

هل قتل النبي مسموما؟

عناصر الخطبة:

أولا: روايات حديث الشاة المسمومة

ثانيا: الشبهة المثارة حول الحديث والرد عليها

(20) النبي الشهيد هل قتل النبي مسموما؟

عناصر الخطبة:

أولا: روايات حديث الشاة المسمومة.

ثانيا: الشبهة المثارة حول الحديث والرد عليها

أولا: روايات حديث الشاة المسمومة

1- عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها فقيل: ألا نقتلها، قال: «لا»، فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ.

وعند مسلم: فجيء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك؟ فقالت: أردت لأقتلك، قال: «ما كان الله ليسلطك على ذاك»
قالوا: ألا نقتلها؟ قال: «لا»، قال: «فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ » رواه الشيخان.

2- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم رواه البخاري.

3- عن أبي هريرة، أنه قال: لما فتحت خيبر، أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ: «اجمعوا لي من كان ها هنا من اليهود» فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقي عنه؟».
فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أبوكم» قالوا: أبونا فلان، فقال رسول الله ﷺ: «كذبتم، بل أبوكم فلان»
فقالوا: صدقت وبررت، فقال: «هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا، قال لهم رسول الله ﷺ: «من أهل النار؟»

فقالوا: نكون فيها يسيرا، ثم تخلفوننا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: «اخسؤوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدا».
ثم قال لهم: «فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟»

قالوا: نعم، فقال: «هل جعلتم في هذه الشاة سما؟»
فقالوا: نعم، فقال: «ما حملكم على ذلك؟» فقالوا: أردنا: إن كنت كذابا نستريح منك، وإن كنت نبيا لم يضرك رواه البخاري

4- **عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة، فأرسل إليها فقال: «ما حملك على ما صنعت؟»**

قالت: أحببت أو أردت إن كنت نبيا فإن الله سيطلعك عليه، وإن لم تكن نبيا أريح الناس منك.

قال: (وكان رسول الله ﷺ إذا وجد من ذلك شيئا احتجم.
قال: فسافر مرة فلما أحرم وجد من ذلك شيئا فاحتجم) رواه أحمد في المسند وحسن إسناده ابن كثير في البداية والنهاية.

5- **وفي المستدرك للحاكم أن أم مبشر وهي أم بشر بن البراء الذي أكل السم معه بخيبر قالت: دخلت على رسول الله ﷺ في وجعه الذي قبض فيه، فقلت: بأبي أنت يا رسول الله ما تتهم بنفسك، فإني لا أتهم بابني إلا الطعام الذي أكله معك بخيبر، وكان ابنها بشر بن البراء بن معرور مات قبل النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: وأنا لا أتهم غيرها، هذا أوان انقطاع أبهري.)**

هذه الأحاديث تبين أن:

1- النبي ﷺ أكل من الشاة المسمومة يوم خيبر.

2- وأن الله تعالى عصمه من أن يموت في حينه بهذا السم الذي قتل غيره؛ كبشر بن البراء رضي الله عنه.

3- بقي النبي ﷺ بعد فتح خيبر أكثر من ثلاث سنوات، حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده.

4- نال النبي ﷺ بذلك أجر الشهادة مع ما شرفه الله به من النبوة والرسالة،

5- وهذه الحادثة تعتبر من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام.

ثانيا: الشبهة المثارة حول الحديث والرد عليها

قالوا إن هذه الأحاديث تخالف قوله تعالى: **(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك**

من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين) [المائدة: 67]
لأن الله تعالى وعد بأنه سيعصم نبيه ﷺ ووعده حق فكيف يموت بالسم؟!

والجواب:

-مهما يكن سبب موت النبي ﷺ، فإن الحقيقة التي لا يماري فيها أحد أنه بشر يطرأ عليه ما يطرأ على سائر البشر من آلام وأسقام وتعرض للموت، وهذا يؤكد بشريته، ولا يعد نقيصة فيه ﷺ، ولا يتنافى مع عصمته؛ فقد بلغ ﷺ رسالة ربه على أكمل وجه وأتمه.

-إن قصة الشاة المسمومة تلك من أكبر الدلائل على عصمته ﷺ، فقد أخبرته الشاة أنها مسمومة، كما أن بقاء النبي – ﷺ – بعدها حيا ثلاث سنوات دون تأثر بالسم دليل على عصمة الله له.

-لا تعارض بين الآية الكريمة وبين الأحاديث؛ لأن العصمة المذكورة في الآية هي عصمة من القتل قبل تبليغ الرسالة، وعصمة من الفتنة والضلال، وقد تحقق له عليه الصلاة والسلام ذلك كله، ولم يمت ﷺ إلا بعد أن أبلغ رسالة ربه تعالى، وقد قال تعالى: **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)** [المائدة: 3]

-كما عصمه الله تعالى من كفار قريش عندما أرادوا قتله في مكة.

- وعصمه من القتل في غزواته بالمدينة وغيرها.

- محاولة اليهود قتله بالسم عصمه الله تعالى منها، فأخبرته الشاة أنها مسمومة، ومات الصحابي بشر بن البراء رضي الله عنه الذي كان معه، ولم يمت هو عليه الصلاة والسلام، ولا يخالف هذا تأثره بذلك السم، واعتقاده أنه سيموت بسببه، وما قاله ﷺ ليس فيه أن السم هو سبب موته، بل فيه أنه يشعر به، وأنه قد يكون هذا هو الموافق لانتهاء أجله.

وبكل حال: فإن العصمة من القتل هي فيما كان قبل تبليغ رسالة ربه، ولم يمت ﷺ إلا وقد أبلغها على أكمل وجه، وسياق الآية يدل على ذلك، حيث أمره ربه تعالى بتبليغ الرسالة، وأخبره أنه يعصمه من الناس.

ويشهد لهذا أيضا قوله ﷺ لليهودية بعد أن أخبرته أنها أرادت قتله كما في رواية الإمام مسلم: **(ما كان الله ليسلطك على ذاك)**، وهو نص لا يخرج عن

معنيين:

- إما في عصمته من القتل بالسم حتى يأتي أجله.

- أو في عصمته حتى يبلغ رسالة ربه.

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: "فيه بيان عصمته ﷺ من الناس كلهم كما قال الله: **(والله يعصمك من الناس)**، وهي معجزة لرسول الله ﷺ في سلامته من السم المهلك لغيره، وفي إعلام الله تعالى له بأنها مسمومة، وكلام عضو منه له، فقد جاء في غير مسلم أنه ﷺ قال: «**إن الذراع تخبرني أنها مسمومة**»"[26]

وقال ابن القيم : وبقي بعد ذلك ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفي فيه، فقال: **(ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر حتى كان هذا أوان انقطاع الأبهر مني)** ، فتوفي رسول الله ﷺ شهيدا " [27].

وجاء في شرح الزرقاني " ومن المعجزة أنه لم يؤثر فيه في وقته ؛ لأنهم قالوا: إن كان نبيا لم يضره ، وإن كان ملكا استرحنا منه ، فلما لم يؤثر فيه تيقنوا نبوته حتى قيل: إن اليهودية أسلمت ، ثم نقض عليه بعد ثلاث سنين لإكرامه بالشهادة"[28].

فمن كلام أهل العلم يتبين أنه لا إشكال ولا تعارض بين الآية والأحاديث المتعلقة بحادثة خيبر، وإنما الإشكال في فهم هؤلاء المشككين في الأحاديث.

هل يبقى أثر السم لهذه السنوات؟

من المعلومات الطبية أنه من الممكن أن يظل السم في جسد إنسان، ويقتله بالبطيء، وتلجأ إليه بعض أجهزة المخابرات لتبدو الوفاة طبيعية فيؤدي هذا السم إلى تمدد الشريان وانفجاره ومن ثم وفاة المصاب به.

---

[26] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 179/14.

[27] زاد المعاد " (111/4):

[28] شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية "(12 / 94)

الخلاصة:

1-يُعتبر النبي ﷺ شهيدًا لأنه مات متأثرًا بالسم الذي تناول منه في خيبر، بعد ثلاث سنوات من الحادثة.

2-أخبرت الذراع النبي ﷺ بأنها مسمومة، وهذا من دلائل نبوته ﷺ.

3-أخبرت اليهودية التي وضعت السم أنها أرادت اختبار نبوته: فإن كان نبيًا لم يضره السم، وإن كان ملكًا أو كاذبًا استراحوا منه.

4-لم يمت النبي (صلى الله عليه وسلم) فورًا من السم، بل بقي حيًا لمدة ثلاث سنوات بعد الحادثة.

5-في مرضه الذي توفي فيه، قال: "يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم."

6-هذا يدل على أن السم ظل يؤثر فيه ببطء حتى أدى إلى وفاته.

7-بوفاته متأثرًا بالسم، نال أجر الشهادة، إضافة إلى مكانته كنبي ورسول.

8-تأثره بالسم كان بعد تبليغ الرسالة وتثبيت الدين، وهذا لا يتناقض مع العصمة.

9-كونه ﷺ بشرًا لا ينقص من قدره، فالآلام والأمراض والموت جزء من طبيعة البشرية.

10-عصمته من الموت الفوري بالسم كانت دليلًا على نبوته، كما أن بقاءه ثلاث سنوات حياً كان معجزة بحد ذاتها.

11-من الناحية الطبية، من الممكن أن يظل السم في الجسم ويؤدي إلى الوفاة ببطء بعد فترة طويلة.

****

(21)
أنت مع من أحببت

عناصر الخطبة:

أولا: روايات حديث الشاة المسمومة

ثانيا: الشبهة المثارة حول الحديث والرد عليها

(21)أنت مع من أحببت

عناصر الخطبة:

أولا/ نص حديث (أنت مع من أحببت)

ثانيا / متى الساعة

ثالثا/ حب رسول الله سبب لمرافقته في الجنة

أولا/ نص حديث (أنت مع من أحببت)

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه –أن أعرابيا قال لرسول الله ﷺ: متى الساعة؟
قال ما أعددت لها؟
قال: حب الله ورسوله، قال: أنت مع من أحببت. متفق عليه. وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية لهما: ما أعددت لها من كثير صوم، ولا صلاة، ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله.

قال أنس : فما فرحنا بشيء ، بعد الإسلام ، فرحنا بقول النبي ﷺ : إنك مع من أحببت. قال : فأنا أحب رسول الله ﷺ ، وأبا بكر ، وعمر ، وأنا أرجو أن أكون معهم ، لحبي إياهم ، وإن كنت لا أعمل بعملهم.

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه: – قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: المرء مع من أحب متفق عليه.

ثانيا / متى الساعة

بدأ الرجل كلامه بسؤاله عن الساعة والنبي ﷺ كما نعلم لا يدري متى الساعة فنقل السائل لما هو أهم وهو فقال: ماذا أعددت لها ؟ لأن هناك ما هو أقرب من الساعة :ألا وهو الموت لقاء الله عز وجل، لأن المسلم يعمل دائما لآخرته ، فهو مشغول بها وقد جعلها همه، ولا يهمه أبدا متى تقوم القيامة إنما يهمه ماذا أعد لها ؟

ومن مات فقد قامت قيامته [29] ،

عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ: "من كانت الآخرة همه ، جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمه ، ومن كانت الدنيا همه ، جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له." أخرجه الترمذي وصححه الألباني

ثالثا/ حب رسول الله سبب لمرافقته في الجنة

سأل النبي ﷺ الرجل ماذا أعددت لها ؟فأجاب بأنه أعد لها حب الله ورسوله . فهو قد عرف أن محبة الله ورسوله جالبة لكل خير ، دافعة لكل شر ، فمحبة النبي ﷺ من محبة الله تعالى ، قال تعالى : **"قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)" [آل عمران:31]**

وقال : (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) [سورة النساء: 80.]

وفي الصحيحين : عن أنس عن النبي ﷺ (والذي نفسه بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب من والده وولده والناس أجمعين)
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله والله لأنت أحب إلي من كل شي إلا من نفسي فقال: (لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال : والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال : (الآن يا عمر)

رابعا/ المرء مع من أحب

الحب الحقيقي هو الذي يكون لله ؛ إنه الحب الذي يقرب إلى الله وإلى رسوله ﷺ.

والمحبة ليست قصصا تروى، ولا كلمات بليغة تقال، وإنما هي طاعة لله ولرسوله ﷺ، لأن المحبة عمل بمنهج الرسول ﷺ، وهي تتجلى في السلوك والأفعال والأقوال **{قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم }** [آل عمران: 31] .

---

[29] وهذا ليس بحديث لكن معناه صحيح، والمقصود أن موت الإنسان هو بداية قيامته الخاصة به، لأنه انتقل من دار العمل إلى دار الجزاء، وأُغلق باب التوبة والعمل، فموت كل إنسان هو قيامته الخاصة، لأنه صار إلى ما قدم، فلا رجوع إلى الدنيا.

.

عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ: وددت أني لقيت إخواني ، قال : فقال أصحاب النبي ﷺ : أوليس نحن إخوانك ؟ قال : أنتم أصحابي ، ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني. أخرجه أحمد

وهذه المحبة وإن كانت عملا قلبيا، إلا أن آثارها ودلائلها لابد وأن تظهر على جوارح الإنسان، وفي سلوكه وأفعاله ، فالمحبة لها مظاهر وشواهد تميز المحب الصادق من المدعي الكاذب ، وتميز من سلك مسلكا صحيحا ممن سلك مسالك منحرفة في التعبير عن هذه المحبة .

وأول هذه الشواهد والدلائل طاعة الرسول ﷺ واتباعه ، فإن أقوى شاهد على صدق الحب – أيا كان نوعه – هو موافقة المحب لمحبوبه ، وبدون هذه الموافقة يصير الحب دعوى كاذبة ، فإذا كان الله عز وجل قد جعل اتباع نبيه دليلا على حبه سبحانه ، فهو من باب أولى دليل على حب النبي ﷺ .

قال الحسن البصري رحمه الله " زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية .

أقسام محبة النبي ﷺ:

ذكر ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى أن محبة النبي ﷺ درجتين:
الأولى: فرض وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به النبي ﷺ من عند الله، وتلقيه بالمحبة والرضى والتعظيم والتسليم.

والثانية: فضل وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به وتحقيق الاقتداء بسنته وأخلاقه وآدابه ونوافله وطاعاته وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه وغير ذلك من آدابه الكاملة وأخلاقه الطاهرة.

وقد نظم ابن حجر معنى الحديث في بيتين فقال :

وقائل هل عمل صالح أعددته ينفع عند الكرب

فقلت حسبي خدمة المصطفى وحبه فالمرء مع من أحب

قصة ثوبان :

غاب النبي ﷺ طوال اليوم عن ثوبان خادمه وحينما جاء قال له ثوبان: أوحشتني يا رسول الله وبكى، فقال له النبي ﷺ: ' أهذا يبكيك ؟ ' قال ثوبان: لا يا رسول الله ولكن تذكرت مكانك في الجنة ومكاني فذكرت الوحشة فنزل قول الله تعالى

{ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا } [69] سورة النساء

الخلاصة:

1- لم يجب عن سؤال الأعرابي عن موعد الساعة، لأنه أمر غيبي لا يعلمه إلا الله. وبدلاً من ذلك، وجهه إلى ما هو أهم وأقرب إليه : الاستعداد للموت .

2- موت الإنسان هو "قيامته الصغرى" التي ينتقل بها من دار العمل إلى دار الجزاء.

3- حب الرسول ﷺ سبب لمرافقته في الجنة.

4- الحب الحقيقي ليس مجرد مشاعر، بل هو اتباع وطاعة .

5- محبة النبي ﷺ هي شرط للإيمان الكامل

6- محبة النبي ﷺ ليست مجرد ادعاء، بل يجب أن تظهر آثارها في السلوك والأفعال.

7- محبة النبي ﷺ قسمين:

-محبة فرض :وهي قبول ما جاء به النبي من عند الله، والرضا به والتعظيم له.

-محبة فضل :وهي الاقتداء بسنته وأخلاقه وآدابه في كل تفاصيل الحياة.

****

(22)
حلاوة الإيمان

عناصر الخطبة:

أولا/ حلاوة الإيمان

ثانيا/ تقديم محبة الله ورسوله على ما سواهما

ثالثا/ الحب في الله

رابعا/ التمسك بدين الإسلام

(22) حلاوة الإيمان

شرح حديث: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان"

عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (ثلاثٌ من كُنَّ فيه، وجَد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون اللهُ ورسوله أحَبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرءَ لا يحبه إلا لله، وأن يَكرهَ أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يَكرهُ أن يُقذَف في النار) متفق عليه.

عناصر الخطبة:

أولا/ حلاوة الإيمان

ثانيا/ تقديم محبة الله ورسوله على ما سواهما

ثالثا/ الحب في الله

رابعا/ التمسك بدين الإسلام

أولا/ حلاوة الإيمان

الإيمان له حلاوة وطعم يذاق بالقلوب، كما تذاق حلاوة الطعام والشراب بالفم، وكما أن الجسد لا يجد حلاوة الطعام والشراب إلا عند صحته، فكذلك القلب إذا سلم من مرض الأهواء المضلة والشهوات المحرمة، وجد حلاوة الإيمان، ومتى مرض وسقم لم يجد حلاوة الإيمان، بل قد يستحلي ما فيه هلاكه من الأهواء والمعاصي.

قال الإمام النووي: معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضا الله عز وكل، ورسوله ﷺ ، وإيثار ذلك على عرض الدنيا ، ومحبة العبد ربه – سبحانه وتعالى – بفعل طاعته ، وترك مخالفته ، وكذلك محبة رسول الله ﷺ)[30]

وقال ابن حجر: وفي قوله: « **حلاوة الإيمان** » استعارة تخييليه، شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو وأثبت له لازم ذلك الشيء وأضافه إليه ، وفيه تلميح إلى قصة المريض والصحيح أن المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرا، والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه، وكلما نقصت الصحة شيئا ما

---

[30] شرح صحيح مسلم (1/213)

نقص ذوقه بقدر ذلك .[31]

إن لذة الطاعة لا تعادلها لذة وحلاوة الإيمان لا تعادلها حلاوة وعز الطاعة لا يعادله عز ، كما أن مرارة المعصية لا تعادلها مرارة وشؤم الذنب لا يعادله شؤم ، وذل المعصية لا يعادله ذل.
وحب الطاعة هو أن تحب طاعة الله تعالى وتستمتع بها، وتشعر بالطمأنينة والهدوء فيها؛ كالنبي ﷺ، حينما قال: **(وجعلت قرة عيني في الصلاة)** وكان يقول لبلال: **(أقم الصلاة يا بلال، أرحنا بها)**

وحلاوة الإيمان لا يحسها ولا يعايشها أي أحد ، كما أنها لا تباع ولا تستجدى.

يقول أحدهم من شدة سروره بتلك النعمة : لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه – يعني من النعيم – لجالدونا (لقاتلونا)عليه بالسيوف.

وقال بعض العارفين: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها. قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبَّة الله تعالى ومعرفته وذكره .

يقول ابن تيمية رحمه الله : " فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه من عبوديته لغيره، إذ ليس في القلب السليم أحلى ولا أطيب ولا ألذ ولا أسر ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له وإخلاص الدين له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيباً إلى الله خائفاً منه راغباً راهباً".[32]

ثانيا/ تقديم محبة الله ورسوله على ما سواهما

الخصلة الأولى : (أن يكون اللهُ ورسوله أَحَبَّ إليه مما سواهما)

محبة الله تعالى أعلى درجات العبودية له سبحانه، فيقدمها المؤمن على جميع المحاب من والد، وولد، وزوجة، وصديق، وجاه، ومال، وغيرها، فيعبد الله تعالى محبا له، هذه المحبة التي تتطلب الذل والخضوع والطاعة والانقياد له سبحانه، وعليه فلا يجوز أن يساوي محبة غيره لقوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ**

---

[31] فتح الباري(1/90)
[32] رسالة العبودية فصل "ثمرة الإخلاص تظهر بتذوّق الطاعة"، ص 123

وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: 165]

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ : «كان من دعاء داوود: اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي، وأهلي، ومن الماء البارد» رواه الترمذي

الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى: هناك كثير من الأعمال التي تجلب محبة الله تعالى، فمنها ما يأتي:

1 -مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته، وأفعاله، أحب الله لا محالة.

ولذلك أثنى الله على عباده الذين يتفكرون في خلق الله؛ قال تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 190-191]

2- أداء الفرائض، جاء في الصحيح: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه» البخاري

فيحافظ على الصلوات الخمس في أوقاتها مع الجماعة، ففي صحيح البخاري

عن عبد الله بن مسعود قال : سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال : الصلاة على وقتها).

3- التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض. فعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها..)
4- دوام ذكره على كل حال؛ باللسان والقلب، والعمل والحال.

كما في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه

ذكرته في تفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خرمنهم، وإن تقرب إلي بشبر تقطربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» صحيح البخاري

5- إيثار ما يحبه سبحانه ويرضاه على ما تحبه أنت وتشتهيه نفسك عند غالبات الهوى. كما في الحديث الذي بين أيدينا: (أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)

محبة رسول الله ﷺ

محبة رسول الله ﷺ تابعة لمحبة المؤمن لله عز وجل، فلا يكتمل إيمان العبد إلا بحبه لله ورسوله بدلالة اقتران محبة الله مع محبة رسوله في كثير من الآيات والأحاديث.

فمن الآيات:

قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24]، فمحبة الله ومحبة الرسول مقدمة على محبة الأب والابن والزوجة، وعلى محبة الأهل جميعاً، وعلى محبة التجارة، والأموال، والمساكن، لا تستقيم حياة المسلم ولا يستقيم دينه ولا تستقيم عبادته إلا بهذا التقديم المتضمن كمال الحب والخضوع لأوامر الله ورسوله.

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]

قال الحسن البصري: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية ، فقال : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله).

وأما الأحاديث فمنها: الحديث الذي معنا عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: ...)

دل الحديث العظيم على وجوب تقديم محبة الرسول ﷺ على محبة غيره،

وجعلها بعد محبة الله تعالى، وقد جاء ذلك في كثير من الآيات والأحاديث بالنص عليها مباشرة، وبدلالة التضمن أيضا، مثل قوله تعالى: **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) [النساء:65].**

يقول الدكتور موسى شاهين: (إن حب الشيء يدعو إلى حب الموصل إليه، وإن حب الإيمان وبغض الكفر يستلزم حب المتسبب فيه والداعي إليه، فحب الرسول ﷺ دليل على حب الإيمان، وبقدر ارتفاع درجة هذا الحب أو انخفاضها ترتفع درجة الإيمان أو تنخفض، فإذا وصل المؤمن إلى أن يكون رسول الله أحب إليه من أمه وأبيه وصاحبته وبنيه و من المال والأهل والأقارب والناس أجمعين، كان كامل الإيمان، وأكمل منه؛ أن يكون رسول الله أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه، يبذلها فداء له في حياته، كما قرأنا عن أبي بكر الصديق و كثير من الصحابة رضي الله عنهم الذين عرضوا أنفسهم للأخطار حماية لرسول الله من الكفار.)[33]

ومن لوازم محبته ألا تعصيه ولا تخالف سنته وألا تحدث في دينه كما جاء في قوله تعالى : ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ **[النور: 63]**

وعن أنس أيضا قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده، والناس أجمعين)
قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله! لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال ﷺ: لا، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك . فقال له عمر : فإنك الآن أحب إليّ من نفسي، فقال: الآن يا عمر.
وعن أنس أيضا رضي الله عنه: (أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: متى الساعة يا رسول الله؟! فقال عليه الصلاة السلام لهذا الرجل: ما أعددت لها؟
قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله.
قال: فأنت مع من أحببت.قال أنس : ففرحنا يومئذ فرحاً شديداً؛ لأن الرسول ﷺ يقول: (أنت مع من أحببت).

---

[33] فتح المنعم شرح صحيح مسلم 1/ 249

ثالثا/ الحب في الله

الخصلة الثانية : (وأن يُحِبَّ المرء لا يحبه إلا لله)

أن يحب المرء لا يحبه إلا الله دل هذا على أن محبة المؤمنين لإيمانهم من أعلى درجات الإيمان، وبناء على ذلك يبني المسلم صلته بالآخرين، وعلاقته بهم على المحبة الإيمانية فيحب فلان لأنه مؤمن، وفلان لأنه مصل، أو لأنه منفق في الخير، أو لبره بوالديه، أو لإحسانه ومعروفه على الآخرين فتكون العلاقة علاقة إيمانية.

وعليه فلا تبن العلاقة على المصالح الدنيوية، فيحبه لأنه صاحب مصلحة له، فإذا انتهت هذه المصلحة انتهت العلاقة، أو تنقلب إلى عداوة.

والأشد من ذلك أن تكون العلاقة على ما يجمعهم من معصية الله تعالى، كالذين يجتمعون على شرب مسكر، أو لسرقة مال، أو الاعتداء على الآخرين ونحو ذلك.

وهذه العلاقات – ما عدا العلاقة الإيمانية – زائلة بل تنقلب إلى ويلات وحسرات وعداوات يوم القيامة، **قال تعالى : (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين)** [الزخرف:67]

فعلى المسلم أن يجعل علاقته علاقة أخوة ومحبة إيمانية لأجل أن ينعم بفضلها وخيراتها.

وفي الحديث القدسي: قال الله: «حقت محبتي للمتحابين في، وحقت محبتي للمتواصلين في، وحقت محبتي للتناصحين في، وحقت محبتي للتزاورين في، وحقت محبتي للمتباذلين في)

تميز الحب في الله عن غيره

الفرق الأول: أن الحب في الله يزيد بالطاعة، وينقص بنقصها، أما هذا النوع من المحبة المنحرفة فلا شأن له بالطاعة، هو لا يتأثر بزيادة الطاعة، ولا ينقص بنقصها، فهو تعلق إما بالصورة والشكل، أو بأي أمر من الأمور التي ينجذب إليها.

الفرق الثاني: أن المحبة في الله يحصل معها الانشراح وقوة القلب، وازدياد الإيمان، وأما المحبة المنحرفة فيحصل معها الألم في القلب، وضعفه وتلاشيه، فينعصر القلب بسبب هذه المحبة المرضية، فيجد كأن قلبه منقبض دائماً.

رابعا/ التمسك بدين الإسلام

الخصلة الثالثة : (وأن يَكرهَ أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يَكرهُ أن يُقذَف في النار)

يعني: يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، وهذه ظاهرة فيمن كان كافرًا ثم أسلم، لكن من وُلد في الإسلام فيكره أن يكون في الكفر وقد مَنَّ الله عليه بالإسلام، كما يَكرهُ أن يُقذف في النار، يعني أنه لو قُذف في النار لكان أهونَ عليه من أن يعود كافرًا بعد إسلامه.

وقد جاء بيان أهمية الثبات على الإيمان والحث عليه في أحاديث كثيرة: منها **حديث سفيان بن عبيد الله الثقفي، قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك». قال: "قل آمنت بالله فاستقم" صحح مسلم**

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: (فاستقم كما أمرت) [هود: 112] ما نزلت على رسول الله ﷺ في جميع القرآن آية أشد ولا أشق عليه من هذه الآية، ولذلك قال ﷺ لأصحابه حين قالوا: قد أسرع إليك الشيب فقال: «شيبتني هود وأخواتها.»

يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: إن حلاوة الإيمان لا توجد إلا بتكميل هذه المحبة بثلاثة أمور:

أولاً: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما

وثانياً: تفريع هذه المحبة وهو: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله؛ لأن محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب.

والثالث: دفع ضد هذه المحبة، وهي: أن يكره المسلم ضد الإيمان، وهو الكفر كما يكره أن يقذف في النار.[34]

---

[34] مجموع *الفتاوى* لابن تيمية.(206/10)

الخلاصة:

1-حلاوة الإيمان معنى قلبي يُذاق بالروح، كما يذاق الطعام بالفم.

2-سببها: صفاء القلب من الأهواء والشهوات.

3-حقيقتها: استلذاذ الطاعات، والصبر على المشقات في رضا الله ورسوله.

4-لذتها: لا يعادلها لذة، ولا تُشترى، ولا ينالها إلا من أخلص لله.

5-محبة الله أعلى مقامات الإيمان، لا يُقدَّم عليها والد ولا ولد ولا مال.

6-من أعظم أسباب محبة الله: معرفة أسمائه وصفاته، أداء الفرائض، الإكثار من النوافل، دوام الذكر، إيثار طاعته على الهوى.

7-محبة النبي ﷺ من كمال محبة الله، ولا يكتمل إيمان العبد حتى يكون الرسول أحبَّ إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين.

8-علامة كمال الإيمان: أن تحب المرء لا تحبه إلا لله.

9-الحب في الله يربط القلوب بالإيمان، ويثمر الأخوة الصادقة.

10-الثبات على الإسلام أجلّ نعمة، والخوف من الردة أشد من الخوف من النار.

****

(23)

كيف نغرس حب النبي ﷺ وسنته في نفوس أبنائنا

عناصر الخطبة:

أولاً / الشعور بالمسؤولية نحو الأبناء

ثانيا/ لماذا نحب رسول الله ﷺ ؟

ثالثا/ كيف نعلم أبناءنا حب رسول الله ﷺ؟

(23) كيف نغرس حب النبي وسنته في نفوس أبنائنا

تمهيد:

نحتفي في هذه الأيام بذكرى ميلاد رسول الله ﷺ ، وقد تربينا من الصغر على حب النبي ﷺ وإجلاله وتوقيره؛ فمحبته مغروسة في قلوبنا ، وهو عظيم في عيوننا .... كنا نسمع ونحن صغار عن الرسول ﷺ ، من آبائنا وأمهاتنا ومن المعلمين في المدرسة ومن الإذاعة والتليفزيون ، ومن شيوخ المساجد ، بل كل الجو المحيط يعلم ويربي على هذه القيم ، لكن الإشكال الآن في أبنائنا الذين نشأوا في الغرب فالجو المحيط بهم في المدارس والمجتمع احتفالات الكريسماس والهالوين وعيد الحب ...الخ، فنجد ما تربينا عليه غريبا عن أبنائنا والتحدي كبير.

ويتساءل كثير من الآباء والأمهات الغيورين على دينهم وأبنائهم :

كيف نربي أبناءنا التربية الإسلامية الصحيحة ؟

كيف نحافظ على سلامة أخلاقهم وسلوكهم من الانحراف ؟

كيف نحافظ على عقيدتهم وثقافتهم الأصيلة من الضياع ؟

كيف نغرس حب النبي ﷺ وسنته في نفوس أبنائنا ؟

عناصر الخطبة:

أولاً / الشعور بالمسؤولية نحو الأبناء

ثانيا/ لماذا نحب رسول الله ﷺ ؟

ثالثا/ كيف نعلم أبناءنا حب رسول الله ﷺ؟

أولاً / الشعور بالمسؤولية نحو الأبناء

وأقصد بذلك أنه لا بد أن يتحقق لدى الآباء شعور قوي بالمسؤولية نحو الأبناء؛ يدفعهم للمتابعة والاهتمام بالأبناء إلى درجة القلق والخوف، إذ أن هذا الشعور يُعتبر شرطاً لأي حل أو علاج، لا تنفع من دونه الحلول الأخرى.

والشعور بأن هؤلاء الأبناء أمانة في أعناق الآباء سيُسألون عنهم أمام الله تعالى: هل وفوا بحقهم عليهم، أم قصروا وفرطوا وضيعوا ؟ قال تعالى : ﴿يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]

وقال رسول الله ﷺ:" كُلُّكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته؛ الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجلُ راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأةَ راعية في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيتها، والخادمُ راعٍ في مالِ سيده ومسؤول عن رعيته، فكلكُم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته " متفقٌ عليه.

وقال ﷺ:" كفى بالمرءِ إثماً أن يُضيع من يَقوتَ " أخرجه الحاكم.
أي من يُعيل من الأهل والأبناء.

وكما قال الشاعر أحمد شوقي

ليس اليتيم من مات أبواه وتركاه ذليلا

إنما اليتيم من له أما تخلت أو أبا مشغولا

عندما ترى أبا كل همه في الحياة جمع المال والعمل اعتقادا منه أنه بذلك قد أدى الدور المطلوب منه في الحياة تاركا بيته وأولاده بدون رعاية أو دراية فهو كما يطلق عليه البعض (الرجل الفندقي) لا يأتي للبيت إلا للنوم والأكل فقط .. أما السؤال عن حال بيته وزوجته وأولاده فليس هذا في حساباته فيشعر من بالبيت بفقدان الأمان والحماية والسكينة التي قد يحققها الأب بتواجده وتفاعله ، وقربه مع أولاده.

وذكر الدكتور عمر عبد الكافي أن طفلا في أحد بلاد الغرب أراد أن يجلس مع أبيه ، وكلما أراد الابن أن يجالس أباه تعلل الأب أن وقته ضيق وأنه مشغول بعمله ، فلما يئس الابن من أبيه قال له بكم تعمل في الساعة يا أبي ؟ قال بخمسة عشر دولارا في الساعة ، فذهب الابن حتى ادخر من مصروفه خمسة عشر دولارا ، ثم ذهب إلى أبيه وناوله الخمسة عشر دولارا وقال: أريد أن أجلس معك ساعة يا أبي!!!

ورغم رمزية القصة لكنها تشير بمرارة إلى إشكالية كبيرة لأبناء المسلمين في الغرب وهي انشغال الأبوين الدائم عن أبنائهما.
والإشكالية الأكبر التي نعاني منها هنا في الغرب الاستسلام والذوبان في المجتمع الغربي بعاداته ، وثقافته ، وتصوراته.

ونحن لا نريد أن نعزل أبناءنا عن المحيط الذي يعيشون فيه، وفي نفس الوقت

لا نريد أن يذوبوا ذوبانا تاما في المجتمع، بل لابد من الحفاظ على الهوية الإسلامية.

وسوف نتكلم الآن عن كيف نغرس حب النبي ﷺ وسنته في نفوس أبنائنا ؟

ثانيا/ لماذا نحب رسول الله ﷺ ؟

1- نحب رسول الله ﷺ؛ لأن الله اصطفاه لتأدية الرسالة ،وأنه لاقى الصعاب في سبيل تبليغ دعوته ، فالدين لم يأتنا على طبق من ذهب إنما عانى رسول الله أشد المعاناة ، فأوصلها إلينا الأمانة كاملة كما أنزلها إليه رب العالمين .

2- حب رسول الله واتباعه موجبان لمحبة الله لنا، قال تعالى : ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [آل عمران: 31]

3- اكتمال الإيمان :من كمال الإيمان حب رسول الله ﷺ **(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) أخرجه البخاري**.

4- الجنة هي مستقر من أحبه ؛ وأطاعه ، فقد روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **(كلكم يدخل الجنة إلا مَن أبى قالوا:"ومَن يأبى يا رسول الله؟"،قال مَن أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)**

لماذا يجب أن نحببه إلى أطفالنا ؟

لأن مرحلة الطفولة المبكرة هي أهم المراحل في بناء شخصية الإنسان، فإذا أردنا تربية نشء مسلم يحب الله ورسوله، فلنبدأ معه منذ البداية، فيستأنس الطفل بهذا الحب منذ الصغر ، ويسهل عليه قبوله عند الكبر.

ثالثا/ كيف نعلم أبناءنا حب رسول الله ﷺ؟

1- القدوة الصالحة

إن أول خطوة لتعليمهم ذلك الحب هو أن يحبه الوالدان أولاً، فالطفل كجهاز

الرادار الذي يلتقط كل ما يدور حوله، فإن صدق الوالدان في حبهما لرسول الله ، أحبه الطفل بالتبعية، ودون أي جهد أو مشقة من الوالدين لأنه سيرى ذلك الحب في عيونهم ، ونبرة صوتهم حين يتحدثون عنه وفي صلاتهم عليه دائما – حين يرد ذكره، وفي أتباعهم لسنته قائلين دائما: نحن نحب ذلك لأن رسول الله كان يحبه ونحن نفعل ذلك لأن رسول الله كان يفعله ونحن لا نفعل ذلك لأن الرسول نهى عنه أو تركه...

فالابن سيشاهد أمه أو أباه وهو يصلي ، أو وهو يقرأ القرآن أو وهو صائم الاثنين والخميس ، وهو لا يكذب ولا يغتاب ....الخ

وهكذا يتشرب الطفل حب النبي ﷺ دون أن نبذل جهداً مباشراً لتعليمه ذلك الحب!
فالقدوة هي أيسر وأقصر السبل للتأثير على الطفل، فإذا اقتدوا بنا تحولوا – بفضل الله – من عبء علينا إلى عون لنا.

2- الحديث الدائم عن النبي وسيرته :

بما يتناسب مع أعمارهم المختلفة ،حتى يتعرفوا على الرسول ﷺ ،وتتهيأ نفوسهم لمحبته والتعلق به.

والطفل في هذه المرحلة يكون شغوفاً بالاستماع للقصص لذا فمن المفيد أن نعرّفه ببساطة وتشويق برسول الله ﷺ بذكر القصص والمواقف البطولية للرسول ﷺ وبأسلوب مشوق، ونحكي له عن عبد الله، وآمنة والدي الرسول الكريم، وقصة ولادته ﷺ ، وقصة حليمة معه، ونشأته يتيماً، خاصة قبل النوم وفي بعض المناسبات مثل المولد النبوي والهجرة والإسراء وغيرها من المناسبات الإسلامية.

وينبغي أن نستخدم الإثارة المُشَوِّقَة والمُحَبَّبَة للنفوس وانتقاء الألفاظ السهلة ومحاولة التصوير بالعين وقسمات الوجه وطريقة الكلام وحركة اليد ونحن نَقُصُّ عليهم سيرته العطرة.

3-أن نحكي لهم مواقف الرسول ﷺ مع الأطفال:

وحبه لهم ، ورحمته بهم واحترامه لهم،وملاطفته ومداعبته لهم.. فيستشعروا محبته لهم، وهي مواقف كثيرة مثل:

عن عبد الله بن شداد رضي الله عنه قال: "خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً أو حسينا فتقدم رسول الله ﷺ

فوضعه ثم كبَّر للصلاة فصلى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، قال أبي فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر الرسول الكريم وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي.

فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس:" يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يُوحى إليك؟

فقال :"كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني ،فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته"!!!

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه،قال:"كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: "صدق الله :(إنما أموالُكم وأولادُكم فتنة)،فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران ،فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما"

وموقفه مع "أبي عمير" الأخ الأصغر لأنس بن مالك، حين علم أنه اشترى عصفورا وكان شديد الفرح به ،فكانﷺ يداعبه كلما رآه قائلاً: "يا أبا عمير ما فعل النغير؟" [35]

وذات مرة كان ﷺ يمشي في السوق فرآه يبكي، فسأله عن السبب ،فقال له: "مات النغير يا رسول الله "،فظل ﷺ يداعبه، ويحادثه ،ويلاعبه حتى ضحك فمر الصحابة بهما فسألا الرسول ﷺ عما أجلسه معه، فقال لهم: "مات النغير، فجلست أواسي أبا عمير"!!!

4-كما يمكن تحفيظه كل أسبوع أحد الأحاديث الشريفة القصيرة مع توضيح معناها ببساطة

من هذه الأحاديث مثلاً:

" من قال لا إله إلا الله دخل الجنة"

"إن الله جميل يحب الجمال"

"خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه"

---

[35] النغير صيغة لتصغير "النُّغَّر "،وهو العصفور الصغير

"إماطة الأذى عن الطريق صدقة"

"من لم يشكر الناس، لم يشكر الله "

"الكلمة الطيبة صدقة"

"لا تغضب، ولك الجنة"

"تَبسُّمك في وجه أخيك صدقة"

"خير الناس أنفعهم للناس"

5-الحديث عن الأخلاق الإسلامية ، ومظاهر كل خُلق لدي الرسول الكريم:

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن تعليم أخلاق الرسول الكريم لأطفالنا قد يخلق لهم مشكلة وهي أنهم سيواجَهون في المجتمع بمن يتصرفون بعكس هذه الأخلاق ، بل والأسوأ من ذلك أن هؤلاء الأقران قد يتعاملون معهم على أنهم ضعفاء أو أغبياء لتمسكهم بهذه الأخلاق!!! مما يسبب لهم إحباطا واضطراباً وعدم ثقة فيما تعلموه من والديهم .

وقد يتسبب هذا أحياناً في أن يندم الوالدان على تربية أولادهم على الأخلاق في زمن لا يقدِّر الأخلاق كما ينبغي فنعلم أطفالنا أن يقول كل منهم لنفسه حين يرى تلك النماذج المؤسفة لسوء الخلق:**" أنا على حق"، "إنهم هم المخطئون"،**
واجبي أن أتمسك بأخلاقي حتى يفعلوا مثلي يومًا ما كما فعل رسول الله حين كان هو المسلم الوحيد على وجه الأرض وإن لم يفعلوا أكون من الفائزين بالجنة إن شاء الله!

وينبغي أن نساعدهم على اختيار الأصدقاء الذين يشاركونهم هذه الأخلاق فإن ذلك يعينهم ،ويشعرهم أنهم ليسوا بغرباء في المجتمع.

6- نعلِّمُهُم الصلاة على النبي عندما يسمعون اسمه .

7- نُربيهم على السلوكيات التي كان يتمثل بها ﷺ:

كطَلاقَة الوجه والسماحة والتبسم ،وتعويدهم إلقاء السلام عند الدخول ، وفي موقف نقول :سيدنا محمد كان كذا وكذا .

8- تحفيظهم الأدعية اليومية: التي كان يدعو بها ﷺ، وذلك باستخدام

أسلوب التدرج في التعليم، ومن أمثلة أدعيته اليومية، دعاء الاستيقاظ من النوم والدعاء عند الأكل، ودعاء الخلاء والدخول والخروج من المنزل...

ويكون ذلك بترديدها في الأحوال المختلفة وتكرارها حتى يحفظوها، ورفع الصوت بأذكار الأحوال حتى يتعلمها الطفل بتلقائية، أو طلب الصمت عند سماع شيء لإثارة الانتباه مثل :اسمع !! ما هذا الصوت ؟ إنه صوت ديك ، فماذا نقول ، وعند الأذان نطلب منه الصمت لنردد وراء المؤذن فيتربى على احترام قدسية الأذان، وهكذا، وبالنسبة لمن يعيشون في بلاد الغرب فالبديل ضبط برنامج الأذان على جهاز الكمبيوتر، أو الهواتف.

ومن الممكن الاستعانة ببعض الملصقات التي تعين على تذكر ذلك ، ونقوم بلصق دعاء الخلاء قريبا من الحمام ليتذكره ونلصق على باب الشقة دعاء الدخول والخروج من المنزل ،وهكذا ليتعود الطفل على الأذكار فيشب على حفظها من الصغر.

وقد حدث أن ذهبت إحدى الأسر للتنزه ، وعندما نزلت الأسرة أحد الحدائق ذهب الطفل مسرعاً يجري فرحاً مسروراً وإذا به يعود مسرعاً سائلاً والدته :

ما هو الذكر الذي يقال في هذا المكان ؟

فانتبهت الأم لغرابة السؤال فألهمها الله أن تعلمه ما ورد عن الرسول ﷺ **(من نزل منزلاً ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك.)** فعلمته له وأخذ يردده وراءها .

ومن الطرائف أن أما أخرى كان ابنها يتضرر كثيرا من قرصات الناموس ويصاب بالحساسية الشديدة ، فسألها ببراءة : هل هناك ذكر للوقاية من الناموس؟
فألهمها الله ان تعلمه الذكر السابق (**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**)

إن هذا الطفل أحس أن المسلم له أذكار معينة بعضها خاص بالزمان وبعضها خاص بالمكان وهكذا ، وقد أدرك هذا الطفل حقيقة العلاقة بربه وأنها دائمة مستمرة مما تعوده من والديه ، وإذا تربى الطفل على ذلك كان صالحاً بإذن الله ، وكان له أثر على أقرانه ومن لهم به صلة .

9-ومن الممكن أن يخصص الأب جلسة أسبوعية: يجمع فيها أفراد الأسرة ويحدثهم عن الرسول ﷺ بحب، وأن تتسم تلك الجلسة بالمرح فهذا مما

يقرب بينهم وبين رسولنا الكريم ويسهل عليهم إتباع السنة.

10-ومن المفيد أيضاً تحبيب الأبناء في القراءة المفيدة :في الكتب التي تتحدث عن سيرة المصطفى وسنته ﷺ بالنسبة لصغار السن (بداية من 4 سنوات) نجمع القصص المصورة من قصص سيرة الرسول من منهاج المسلم الصغير ونقرأها سويا بالصور.

11- المكافآت المادية والمعنوية عند حفظ الأحاديث النبوية مثلما نعمل في حفظ القرآن.

12- معالجة الأخطاء والمشاكل، ورد كل شيء إلى الله ورسوله:
مثلا: عندما يكذب نرجعه فورا إلى حديث " **إن الصدق يهدي إلى البر**" وعندما يتطفل لمعرفة شيء نذكره بالحديث " **من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه** "وهكذا.

13-تحديد الأعمال الواجبة عليهم مثل المذاكرة والتنظيف: وأكافئهم معنويا بالدعاء لهم من أدعية الرسول ﷺ مثل جزاك الله خيرا ، والله يرضى عليك ....الخ

14- نحبب لهم الطعام الذي كان يتناوله ويحبه الرسول ﷺ كالتمر والعسل والثريد (الفتة) ولحم الكتف.

15- حكاية معجزاته ﷺ:

وربط ذلك بقدرة الله وتأييده ،وخاصة أن الأطفال يبهرهم أي شيء فيه الخروج على المألوف فنحكي لهم مثلا :معجزة انشقاق القمر ،والإسراء والمعراج ،والهجرة ، تكثير الطعام ، وفوران الماء من بين أصابعه ﷺ ، كل هذا بأسلوب مشوق مناسب لعقلية الأطفال .

16- حكاية أخلاقه العظيمة ونصرته للمظلومين :

وعطفه على الفقراء ووصيته باليتيم ، وحكاية أخبار رقته ﷺ ورحمته، وبكائه ، وذلك يسهم بتنمية حب هذا الجانب عند الطفل وترقيق عواطفه ، ومن الممكن إذا كان مدركا أن نرسله ليدفع كفالة الأيتام بنفسه أو نجعل الكفالة باسمه ، أو عمل صندوق فلسطين يضع فيه جزءا من مصروفه .

17- تعويد الأبناء على الصلاة في وقتها:

ونبدأ بالتعليم في سن سبع سنوات في هذه المرحلة يكون الأمر سهلاً،

فالكلام البسيط اللطيف الهادئ عن نعم الله تعالى وفضله وكرمه (المدعَّم بالعديد من الأمثلة)، وحب الله لعباده ورحمته، يجعل الطفل من تلقاء نفسه يشتاق إلى إرضاء الله سبحانه وتعالى؛ ففي هذه المرحلة يكون الاهتمام بكثرة الكلام عن الله سبحانه وتعالى، وقدرته، وأسمائه الحسنى، وفضله، وفي المقابل ضرورة طاعته، وجمال الطاعة، ويسرها، وبساطتها.

في نفس هذا الوقت لا بد من أن يكون هناك قدوة صالحة يراها الطفل أمام عينه؛ فمجرد رؤية الأب والأم، والتزامهما بالصلاة 5 مرات يوميًّا دون ضجر أو ملل يؤثر إيجابيًّا في نظرة الطفل لهذه الطاعة، فيحبّها لحبِّ المحيطين به لها، ويلتزم بها كما يلتزم بأي عادة وسلوك يومي.

وبالنسبة للبنات:نحبِّب البنات في الصلاة في هذه السن بمراعاة أمور قد تبدو

صغيرة تافهة، ولكن لها أبعد الأثر، مثل:

-شراء طرحة صغيرة مزركشة ملوَّنة.

-توفير سجادة صغيرة خاصة بالطفل.

-وبالنسبة للذكور: تشجيع الصغير على مصاحبة أبيه إلى المسجد.

18-مشاهدة كرتون إسلامي عن الرسول: وسيرته وأخلاقه وصفاته

19-تعليمه الدعاء والتأمين على الدعوات(قول آمين)

فإذا مرض أحد أفراد الأسرة نجتمع وندعو له بدعاء رسول الله (اللهم أذهب البأس رب الناس .....)

وإذا كان عنده امتحان أو عمل فنقول له ادع الله أن يوفقك وأن تكون ناجحا ، وإذا طلب من أبيه شيئا قال له: ادعي معي اللهم ارزقنا ، اللهم ارزقنا البركة .

20- كما ينبغي ألا نغفل كثيرا من السنن والأمور التي ينبغي التركيز عليها دائما في المنزل:

على سبيل المثال :

-ذكر الله دائما بالتسمية على كل شيء.

-الابتسامة المتبادلة.

-استخدام السواك أو الفرشاة.

-الاستئذان في دخول الغرف الأخرى.

-إلقاء السلام.

-المزاح المحمود.

-كف الأذى.

-احترام الكبير.

-الرحمة بالصغير.

-النوم المبكر.

-الاستيقاظ المبكر

-تقبيل الوالدين حال مقابلتهما.

-القناعة وعدم الطمع والنظر إلى ما في يد الغير.

-استخدام الألفاظ المشروعة عند الرد أو الغضب أو العتاب مثل : جزاك الله خيرا الله يسامحك – هداك الله – غفر الله لك اذكر الله – ما شاء الله لا قوة إلا بالله

خاتمة

وبعد فالواجب علينا جميعاً أن ننصر نبينا وأمامنا وحبيبنا محمد ﷺ – كلٌ حسب استطاعته – وألا ندخر جهداً في سبيل غرس حب سنته في النفوس
وهذا ما يسره الله من الخطوات والاقتراحات في سبيل غرس السنة في أبنائنا وأسأل الله أن ينفع بها ، وأن يغفر لنا تقصيرنا ، وأن يجبر كسرنا.

****

(24)

الرد المبين على منكري سنة النبي الأمين

عناصر الخطبة:

أولا/ إنكار السنة مؤشر خطير

ثانيا/ حجية السنة

ثالثا / تفرد الامة الإسلامية باتصال السند

رابعا/ لماذا الهجوم على البخاري؟

(24)الرد المبين على منكري سنة النبي الأمين

عناصر الخطبة:

أولا/ إنكار السنة مؤشر خطير

ثانيا/ حجية السنة

ثالثا / تفرد الامة الإسلامية باتصال السند

رابعا/ لماذا الهجوم على البخاري؟

أولا/ إنكار السنة مؤشر خطير

كلنا والحمد لله رب العالمين إذا سئلنا عن حبنا لرسول الله ﷺ فهذا سؤال لا يحتاج إلى كثير بحث أو طول تأمل، فكلنا نحب رسول الله ﷺ، لكن لكل قول حقيقة، فأنا حينما أقول أنا أحب رسول الله، فما هي حقيقة قولي؟

من أولى الحقائق الدالة على صدق محبتك لرسول الله ﷺ أن تصدقه في كل ما جاء به، وإني لا أحب أبداً أن أقف على المنبر، وأتكلم عن الشبهات أو عن الأمور التي فيها إرجاف، أو تشكيك في الدين، لكن لما يتحول الأمر إلى ظاهرة ويتكرر، وتصلني العديد من القصص البائسة لمسلمين يشهدون معنا الصلاة ، وينكرون حجية السنة، وأن علينا أن نأخذ بالقرآن فقط ، فإن هذا مؤشر خطير.

لماذا مؤشر خطير؟

لأن إنكار السنة كأنه تكذيب برسول الله ﷺ، فمن الذي جاءنا بالقرآن؟

إنه رسول الله ﷺ.

فكيف نصدقه في القرآن ولا نصدقه في السنة؟

أقول لهذا الرجل: أتشهد أن لا إله إلا الله؟

نعم، أشهد أن لا إله إلا الله.

من الذي علمك أن تشهد أن لا إله إلا الله؟

إنه محمد رسول الله.

فكيف قبلت الشهادة بالتوحيد ورددت على من جاءك بها ما أخبرك به وحياً

عن ربه جل وعلا؟

ثانيا/ حجية السنة

ومسألة حجية السنة مسألة قديمة حديثة ومكانها الدراسات الشرعية في الجامعات الإسلامية، لكن أنا أريد منك كمسلم تحب الله ورسوله حقاً أن تدرك الأمر بوضوح تام، ما هو شكل الدين بدون السنة؟
لو فرضنا جدلا أننا سنقبل قول من ينكرون السنة ولن نأخذ من السنة شيئاً.

ما هو شكل الدين بدون السنة؟

-من أين لكم العلم بالصلوات الخمس؟ هل ورد في القرآن مواقيت الصلاة وعدد ركعات الصلاة وكيفية الصلاة؟ لم يرد شيء في القرآن، فالسنة شرحت ما أجمل في القرآن بقول الله تعالى: **"وأقيموا الصلاة"**[البقرة :43]
-كيف عرفتم أنصبة الزكاة وأن هناك زكاة تسمى زكاة المال (الذهب والفضة)، وهناك زكاة التجارة، وزكاة الثروة الحيوانية، والثروة الزراعية، هذه نصابها كذا، مقدار الزكاة كذا، هذه التفاصيل من أين جئنا بها؟ من السنة.
-الحج ومناسك الحج، من أين عرفنا مسألة الإحرام من الميقات، الميقات الزماني والمكاني، الطواف بالبيت سبعاً، السعي بين الصفا والمروة سبعاً، الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذي الحجة، رمي الجمار في اليوم الأول من أيام العيد سبع جمار، ثم إلى آخره إلى آخره، من أين علمنا بهذه التفاصيل؟

أنتم تريدون ديناً غير هذا الدين الذي نعرفه!!!

ولذلك أقول لمن يردد هذا الكلام بجهل: إن ما تفعله إنما هو خروج من الدين والعياذ بالله، لأن الله سبحانه وتعالى كما أوحى لنبينا بالقرآن أوحى إليه بالسنة، قال رسول الله ﷺ :**(ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، وإن ما حرم رسول الله – ﷺ – كما حرم الله)**
ومعنى قوله: ومثله معه: يقصد السنة، والمثلية هنا يقصد بها الحجية، حجية السنة كما حجية القرآن، يعني إذا ورد الأمر من رسول الله ﷺ أو النهي، فهو تماماً كما ورد في القرآن، طبعاً مع الاختلاف في رتبة الحكم الشرعي، لكن

أقصد الحجية، أن هذا كلام أنت كمكلف مخاطب به، وهذا مصداق قول الله عز وجل: **(وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول)** [المائدة:92] و**(من يطع الرسول فقد أطاع الله)[النساء 80]،و(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[الحشر :7]**

فكما جاء النبي بكلام الله عز وجل القرآن، فقد جاء بالسنة، والنبي ﷺ كان يوحى إليه بالسنة كما يوحى إليه بالقرآن، إلا أن القرآن نزل نصاً من الله فبلغه لنا رسول الله كما نزل عليه به جبريل، أما السنة فقد بلغها لنا رسول الله بلفظه هو.

إذن، فاللفظ القرآني لفظ مقدس ليس فيه أي شك، أما اللفظ النبوي فهو لفظ رواه لنا رسول الله بوحي أوحاه الله تعالى إلى نبينا وعبر عنه بلفظه، أنا أحملك رسالة: قل لفلان كذا وكذا وكذا، أنت لا تحتاج إلى أن تكتب نصاً تتلوه، إنما فهمت فحوى الرسالة فتعبر عنها بلسانك.

فالرسول علمه الله عز وجل **(وعلمك ما لم تكن تعلم)**[النساء 113] فلما علمه السنة أخبرنا بها صلوات ربي وسلامه عليه.

وهناك أسئلة عديدة، النبي سئل عنها كان يتوقف فيها حتى يسأل جبريل:

ثبت أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أي البلاد أحب الله؟ وأي البلدان أبغض إلى الله؟– والبلاد هنا بمعنى :المواطن والأماكن فقال :لا أدري حتى أسأل جبريل، فأتاه جبريل فأخبره أن أحب البقاع إلى الله المساجد، وأبغض البقاع إلى الله الأسواق).

كان الرسول يستطيع أن يجيب اجتهاداً مثلاً، **لكن (وما ينطق عن الهوى)**[النجم: 3] فلما جاءه جبريل أخبر بالإجابة.

وسئل النبي: أي الأجلين قضى موسى؟ في قصة المرأتين في مدين، الرجل الصالح خيره أن يتزوج إحدى بناته ومهرها أن يكون أجيراً على الغنم ورعاية الغنم ثماني حجج أو سنوات ، قال: فإن أتممت عشراً فمن عندك، **قال: يا رسول الله، أي الأجلين قضى موسى؟ إما عشر وإما ثمانية، لن يخطئ أحدهما، قال: حتى أسأل جبريل، فلما سأل جبريل قال: حتى أسأل رب العزة، الله أكبر، قال الجواب: قضى أتمهما وأكملهما.**

إذاً في أمور لم يكن النبي يفتي بها من رأسه أو من عند نفسه، إنما كان ينتظر الوحي لأنه لم يؤذن له بأن يتكلم فيها، أوليس عنده علم في هذه المسألة ، والأمثلة كثيرة، لكن أنا أوضح بعض الأمثلة حتى نستوعب أن السنة وحي من

الله عز وجل.

وهذا عبد الله بن عمرو بن العاص من شباب الصحابة الأكابر، قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشرٌ يتكلَّم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال:
(اكتب؛ فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق)

ثالثا / تفرد الامة الإسلامية باتصال السند

السنة وحي من الله كما أن القرآن وحي من الله، وإن تفاوتت الرتبة في الثبوت، القرآن ثبوته قطعي متواتر، أما السنة فتميزت بما يعرف بسلسلة السند، وهذا هو موضع الشبهة التي يرددونها، يقولون: كم بيننا وبين رسول الله؟
ألف وأربعمائة سنة، طيب كيف لنا أن نعرف أن هذا هو الحديث الذي قاله رسول الله؟

متى ولد البخاري؟ سنة 194هجرية.

كيف عرف البخاري أن هذا كلام رسول الله؟

ويغيب عن هذا الجاهل المفتون أن هناك شيئاً تميزت به هذه الأمة اسمه السند، السند المتصل إلى رسول الله ﷺ، فالحديث قاله رسول الله، سمعه منه الصحابة، فنقل الصحابة الحديث إلى أمثالهم من الصحابة والتابعين، والتابعون نقلوا الحديث إلى من بعدهم، ومن بعدهم.... وهكذا.

أنا مثلاً، وهذا لا أذكره على سبيل تزكية نفسي، أستغفر الله، إنما حتى أقرب الأمر، أنا عندي إجازة في القرآن الكريم في رواية حفص، كل من يحفظ القرآن على يد شيخ مجاز يعلم هذه المسألة، أول ما يختم القرآن الشخص يعطيه إجازة، ما هي الإجازة؟ الإجازة هي السند المتصل بالتلاوة من أول شيخك إلى رسول الله ﷺ، بيني وبين رسول الله ﷺ 43 شيخا من أول شيخي إلى رسول الله ﷺ ، فهذا سند متصل إلى رسول الله، هل تعلمون أن الإمام البخاري في بعض الأحاديث، بينه وبين رسول الله ثلاثة فقط؟ وهذه التي أطلق عليها النبي ﷺ تسميتها بالسلسلة الذهبية، وهي من أعلى الأسانيد المتصلة إلى رسول الله ﷺ

فالبخاري يقول: حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ ....

هذا السند المتصل كالسلسلة، حلقة تمسك بحلقة، حلقة تمسك بحلقة، ولذلك

البخاري تميز بأنه اشترط أعلى درجات الصحة في الأحاديث التي ضمها في كتابه.

رابعا/ لماذا الهجوم على البخاري؟

ولماذا البخاري يغيظهم إلى هذا الحد؟ يعني ما سمعتهم مرة يتكلمون عن الترمذي أو أبو داود أو ابن ماجه، مع احترامنا طبعاً لكل علمائنا، لكن أقصد الهجوم كله على البخاري، لماذا؟

لأن البخاري هو القمة، فلو أفلحوا في هدم البخاري فما دونه أسهل، حتى يصلوا إلى تحطيم الرمزية الكبيرة لصحيح البخاري في نفوس المسلمين، لدرجة أن العامة من المسلمين إذا حدث بينه وبين أحد رأيا أو شيئا يقول: (هل غلطنا في البخاري)، لأنهم يعلمون ما معنى البخاري.

واصطلح العلماء على قولهم بأن صحيح البخاري هو أصح الكتب بعد كتاب الله.

لماذا؟ لأن الإمام البخاري وضع أعلى درجات اتصال السند وضبط المتن، لا يروي حديثاً عن رسول الله في صحيحه إلا إذا اتصل سنده من أول البخاري إلى رسول الله، فالبخاري يروي عن الراوي الذي روى عن التابعي، والتابعي روى عن الصحابي، والصحابي روى عن رسول الله مباشرة، أي انقطاع في السلسلة لا يقبله البخاري، وهذا يسمى من أمثلة الحديث الضعيف عند العلماء ولا يؤخذ به في الحلال والحرام، إنما يعمل به في الفضائل.

واشترط الإمام البخاري، وهذا ما تميز به عن مسلم، أن يثبت معاصرة الراوي لمن روى عنه واللقاء، الاثنين التقوا، الإمام مسلم كان يكتفي بالمعاصرة، يعني أن الاثنين في زمن واحد.

البخاري يروي مثلاً عن واحد من أهل مكة، شيخه لم يقم بمكة، لم ينزل إلى مكة، لا يقبل البخاري هذا في صحيحه، لابد أن يثبت التقاء الاثنين بمكة، أو بالمدينة، أما إذا لم تثبت اللقيا، فالإمام البخاري لا يضع الحديث في صحيحه،

وبقي رحمه الله عليه 16 سنة يجمع هذا الصحيح، 16 سنة يجوب البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً، يسمع لحديث رسول الله وينتخب مما سمع أعلى درجات الصحة، عدد الأحاديث في صحيح البخاري 7275 حديثاً، وبحذف المكرر تصل لأربعة آلاف حديث.

وقال إنه يحفظ من الضعيف والمكذوب أضعاف أضعافها.

ثم يأتي قزم لا يحفظ جزء عم ، وربما لا يعرف آداب الاستنجاء، ينكر قائلا: وهل البخاري سمع الرسول؟

أي نعم ،سمع من سمع من الرسول ونقل عمن نقل عن الرسول ﷺ.

أكذوبة أن أبا حنيفة لم يصح عنده إلا 17 حديثا:

والعجيب أن عندهم شبهة يرددونها بحماقة أو بجهل، يقولون: لم يصح عند أبي حنيفة إلا 17 حديثاً!!!

وهذا كلام سخيف، لأنا لو قرأنا في كتب المذهب الحنفي بداية من الإمام أبي حنيفة مروراً بتلامذته لرأينا الكثير من الأحاديث في كتبهم ، يعني هذه أكذوبة لا تصح لا واقعاً ولا حتى فقهاً، واحد يتكلم في المسائل الشرعية والفقهية والأحكام، سبحان الله، يعني لم يصح عنده إلا 17 حديثاها غير صحيح فمن أين جاء هذا العلم الغزير؟ مذهب الإمام أبو حنيفة كان مذهب الخلافة العثمانية، وإلى الآن الإخوة في العراق وباكستان والهند وفي الشام وفي أماكن كثيرة مذهبهم المذهب الحنفي، سبحان الله!! فكيف لم يصح عنده إلا 17 حديثاً؟

هذا كلام لا يصح لا واقعاً ولا حتى تاريخياً، وكلها أكاذيب تردد.

كان الإمام البخاري رجلاً ربانياً:

والإمام البخاري كان رجلاً ربانياً يا إخواني، وفقه الله تعالى إلى ترتيب عجيب في صحيحه، أتدرون بماذا بدأ الإمام البخاري كتاب الصحيح؟
بدأ بكتاب بدء الوحي.[36]

ما هو الكتاب الأخير؟ كتاب التوحيد.

بدأ بكتاب بدء الوحي وانتهى بكتاب التوحيد، وكتاب بدء الوحي كتاب تفرد به الإمام البخاري دوناً عن غيره من المحدثين، الإمام مسلم والترمذي وغيرهم، وكأنه يشير إلى هذا المعنى الذي نحكي فيه، وهو أن السنة جاءت وحياً من الله تعالى، وبينها لنا رسول الله ﷺ، وبين أنه يجب على المسلم في كل عمل وكل عبادة أن يبدأ بتجديد وتحديد نيته لله بحديث **"إنما الأعمال بالنيات"**، هذا أول حديث في صحيح البخاري: **"إنما الأعمال بالنيات"**، ما هي نيتك؟ ماذا تريد؟

فبدأ بكتاب بدء الوحي وكأنه يجيب على سؤال: ما هو مصدر هذه الأحاديث؟

---

(36) كلمة كتاب في عرف العلماء قديما مثل كلمة فصل الآن يقال الفصل الأول الفصل الثاني وهكذا..، لكنهم كانوا يقولون كتاب الوضوء، كتاب الصلاة في نفس الكتاب.

هذا الوحي من الله، أوحى به الله إلى نبيه ﷺ.

ثم ختمها بالتوحيد، إشارة إلى أنه يسأل الله الخاتمة على التوحيد.

وآخر حديث في الصحيح حديث: **"كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم"**

فختم الكتاب بكتاب التوحيد وختمه بالتسبيح، والحمد ، مقتدياً بحبيبنا وإمامنا ﷺ لما قال له الله: **"إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، فسبح بحمد ربك واستغفره، إنه كان تواباً"**

هؤلاء هم العظام العمالقة:

هؤلاء هم العلماء، هؤلاء هم العظام العمالقة، أما الأقزام النكرات الذين يملك أحدهم كاميرا هاتف أو صفحة على الفيسبوك، ثم يأتي بمنتهى البساطة ويقولون: أنا لا أصدق، أنا لا أسلم، أنا أرفض!!

أيها القزم، الزم حدك، الزم حدك ولا تتكلم عن هؤلاء العمالقة، هؤلاء قمم كالجبال، رضوان الله عليهم، حفظوا لنا الدين وبذلوا النفس والنفيس والأيام والأوقات والليالي وأفنوا الأعمار في سبيل أن يصلك الحديث هكذا، يصلك وأنت مطمئن، فإذا رأيت حديثاً ذُيِّل برواه البخاري، فهو في أعلى درجات الصحة، لا يحتاج إلى كلام ولا جدال.

لكن أنا لم أفهم الحديث، الحديث غير واضح؟

اسأل أهل العلم، كل علم له رجال، ما في أحد يتطفل على أحد في علمه وهو لا يدري شيئاً، أنا إذا حدثتكم عن المعلومات الطبية، سيكون بيننا طبيب يضحك علي ويقول: الشيخ معلوماته ضحلة، لماذا؟

لأن هذا ليس تخصصي، أنا أتكلم في فن غير فني، في تخصص غير تخصصي، ربما أقول لكم معلومة ساذجة في المحاماة، وبيننا محامي فيقول: الشيخ يعني كيف يقول هذا الكلام؟

لماذا نسلم بأن من تكلم في غير تخصصه جاء بالعجائب ولا نسلم بهذا في القرآن؟

ذات مرة أحد الشباب سألني في موضوع.

فقلت له: أفضل من تكلم فيه الشيخ يوسف القرضاوي رحمة الله عليه.

قال: لا، أعوذ بالله، هذا خبيث.

قلت: الشيخ القرضاوي خبيث؟

شيخ الإسلام، علم من أعلام الأمة، ومفخرة هذه الأمة كلها، خبيث؟

قلت له: كم تحفظ من القرآن؟

قال: ما تيسر.

قلت له: حدد بالضبط كم تحفظ؟

قال: قصار السور!!

قلت: كم تعرف من السنة؟

قال: ما تيسر.

قلت: هل قرأت الأربعين النووية؟

قال: نعم، قرأت بعضها.

فقلت له منفعلا: أيها القزم، تحفظ قصار السور وبعض الأحاديث من الأربعين النووية قرأتها، وتأتي للقرضاوي وتقول إنه خبيث؟

طبعاً ليس المقصود القرضاوي بذاته ، أو غيره من أسماء العلماء، المقصود هو الجرأة على تحطيم الرموز بمنتهى البساطة.

يأتي شخص نكرة لا حظ له من العلم ويسب إمام علَم بمنتهى السهولة.

إما اتباع الحق أو اتباع الهوى

من يتكلم في الأمور الشرعية إما أنه متبع للحق وإما أنه متبع لهواه، فالحق فيما جاء به القرآن أو تكلم به رسول الله ﷺ أو ما ترتب على فهم القرآن والسنة، أما الهوى فهو هذا الهراء الذي نسمعه بين الحين والآخر.

قال جل وعلا: (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه)[الكهف :28]، هنا اتباع الهوى، وقال: (يا داوود، إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) [ص:26]
وقال: (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) [القصص:50]

وأحد الخبثاء طالع الآن على الإنترنت وله ذيوع وانتشار، ينادي بحرق كتب ابن حجر والنووي، وأنهم أشاعرة، والأشاعرة ليسوا من أهل السنة، وقضية كبيرة فيها خبث عجيب، ومقصود حتى ينشغل الناس عن غزة، وأحداث غزة، والمصائب التي تنزل على رأس الأمة، فيفتن به الشباب ويفتت به الناس.

الخلاصة:

1- أي مسلم لابد وأن يعتقد أن رسول الله ﷺ كما أوحي إليه بالقرآن فقد أوحي إليه بالسنة.

2- سنة رسول الله فيما صح عن رسول الله يجب العمل بها، لأن هذا من تمام طاعة الله جل وعلا.

3- العلماء لما نقلوا لنا سنة رسول الله نقلوها بالسند المتصل إلى رسول الله، ليس هناك خبط عشواء ولا تأليف ولا أكاذيب؛ إنما هذا بالسند المتصل، فجردوا أنفسهم لله، حتى وصل إلينا العلم، ووصل إلينا الدين والحديث كما نراه الآن.

4- الهدف من الهجمة على الإمام البخاري وتسفيهه وتخطئته والجرأة عليه إنما هو تحطيم أعلى رأس، وأول سد من سدود السنة، لأن ما بعده أسهل وأيسر في ظنهم، ونسي هؤلاء أن هذا دين الله، وأن هذا رسول الله، وأن هذه الأمة باقية بأمر الله.

اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك،
وحب كل عمل يقربنا إلى حبك،
وارزقنا اللهم حب نبيك وحب سنته، والموت على ملته،
وانفعنا يوم القيامة بشفاعته، واحشرنا إلى الجنة في زمرته،
اللهم كما آمنا به ولم نره، فلا تفرق بيننا وبينه
حتى تدخلنا مدخله مع النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.
اللهم آمين

****

. . . . . .

(25)

حقوق
آل بيت النبي ﷺ

عناصر الخطبة:

أولا/ من هم آل البيت؟

ثانيا/ ما هي حقوق آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

الحق الثالث: الصلاة عليهم عند الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

الحق الرابع/ عدم الغلو فيهم.

الحق الخامس: تحريم أكل الصدقة عليهم.

(25) حقوق آل بيت النبي ﷺ

تمهيد:

نتكلم اليوم عن موضوع: حقوق آل بيت النبي - ﷺ-لتأكيد وتبيين الحق فيها.

ودائماً حينما يتكلم الشيعة، عن هذه القضية المحورية في عقيدتهم عن آل البيت، يصلون بهم إلى درجة الغلو في حبهم، ويتهمون أهل السنة بأنهم لا يحبون آل البيت، أو لا يتحدثون عن حب آل البيت وما شابه ذلك.

فأريد أن أفرد هذه الخطبة لأبين قولاً حقاً لا غلو فيه ولا تمييع ولا إفراط في حق آل البيت.

عناصر الخطبة:

أولا/ من هم آل البيت؟

ثانيا/ ما هي حقوق آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

الحق الثالث: الصلاة عليهم عند الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

الحق الرابع/ عدم الغلو فيهم.

الحق الخامس: تحريم أكل الصدقة عليهم.

الحق السادس/ إعطاؤهم خُمُس الخمس من الغنيمة والفيء.

أولا/ من هم آل البيت؟

آل الرجل أهله، أصلها أهل، ثم أبدلت الهاء همزة فصارت آل، فلما توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفا.

وآل بيت النبي هم أزواجه وذريته وبنو هاشم وبنو المطلب.

لقول الله تعالى بعد أن أمر نساء النبي ﷺ بالحجاب: **(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)** [الأحزاب 33]

وفي صحيح مسلم بالإسناد إلى صفية بنت شيبة قالت: «خرج النبي غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال:

﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ [الأحزاب:33][37]

وأما آل المطلب فقد جاء عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه قال: (مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله أعطيت بني المطلب وتركتنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة؟!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد رواه البخاري.

ويدخل في آل البيت بنو هاشم بن عبد مناف، وهم آل علي، وآل عباس، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل الحارث بن عبد المطلب.

جاء ذلك فيما رواه الإمام أحمد عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ يوما خطيبا فينا بماء يدعى خُمًّا بين مكة والمدينة؛ فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال:

أما بعد ألا يا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي عز وجل فأجيب؛ وإني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به – فحث على كتاب الله ورغب فيه –

قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي.

فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال: إن نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده.
قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.
قال: أكل هؤلاء حرم الصدقة! قال: نعم. رواه أحمد

ثانيا/ ما هي حقوق آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

الحق الأول/ وجوب محبتهم:

لأن محبتهم من الإيمان، وهي محبة تابعة لمحبتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن المراد بالمودة هنا قدرا زائدا عن مودة غيرهم من المؤمنين،

---

(37) المرط :هو كساء من الصوف أو الخز أو الكتان، غير مخيط، يلفه الشخص، وتستخدمه المرأة للتلفع، ومرحّل: وصف للكساء يدل على أن فيه نقوشاً أو صوراً تشبه رحال الإبل، والرحل هو ما يوضع على الجمال لركوبها، من شعر أسود :تشير إلى أن لون هذا الكساء هو الأسود .

ولو كانوا من الأقربين.

ومن الأدلة على ذلك:
1- ورد في تفسير قول الله تعالى: **(قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)** [الشورى :23].

في هذه الآية تفسيران:

التفسير الأول: قل لا أسألكم أجراً في مقابل ما أدعوكم إليه إلا أن تراعوا القربى التي بيني وبينكم؛ فالنبي ﷺ من بني عبد مناف، وهم بطن من بطون قريش؛ فراعوا هذه القرابة وهذا النسب الذي يجمعنا جميعاً، فلا تؤذوني ولا تؤذوا من اتبعني. هذا قول في التفسير.

التفسير الثاني: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى، أي أن تراعوا حرمة قرابتي وآل بيتي، فلا تتعرض لهم بأذى ولا انتقاص.

2- حديث في صحيح مسلم، النبي ﷺ يقول: "أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي"، قالها ثلاث مرات.

ومعنى (أذكركم الله) يعني أذكركم بأنه ينبغي عليكم أن تراعوا حرمة آل البيت بحبهم وعدم انتقاصهم أو إيذائهم أو النيل منهم، لأن هذا يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

3- وفي الصحيحين أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني)
وفي رواية في الصحيحين: (فاطمة بضعة مني يريبني ما يريبها، ويؤذيني ما آذاها)

4- وقال عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: (إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين) (رواه البخاري).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال للحسن: (اللهم إني أحبه فأحب من يحبه)

هذه بعض الأحاديث التي تبين حب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ونحن المسلمين، والحمد لله، نكنّ لرسول الله ولآل بيته الكرام كل حب وإكبار وتقدير.

فلهم المكانة، ولهم الدرجة، ولهم المحبة في القلوب التي ينبغي أن تكون رمزاً وإشارة إلى حبنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

الحق الثاني/ إكرامهم وتوقيرهم:

التوقير بمعنى الاحترام والإجلال لحرمة رسول الله ﷺ وقرابتهم منه.
وقد كان الصحابة يتعاملون مع آل بيت النبي بهذه النظرة، نظرة التوقير والاحترام.
ومن الأدلة على ذلك:

1- **كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يأتي الصحابة ليأخذ عنهم حديث رسول الله ويتعلم منهم، فكان يأتي زيد بن ثابت رضي الله عنه، فلما أراد زيد أن يركب الدابة، أمسك عبد الله بن عباس بركاب الدابة، (الزمام أو الحبل) قال: ما تفعل يا ابن عم رسول الله؟ قال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا. قال: أرني يدك. فلما أراه يده، قبلها. قال: هكذا أمرنا أن نفعل بآل بيت نبينا.**

فكانوا ينزلون آل بيت رسول الله المنزلة التي تليق بهم.

2- **وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: (لأن أصل قرابة رسول الله أحب إلي من أن أصل قرابتي)**

3- **ولما رأى الحسن وهو يلعب بين الصبيان، حمله وقال ضاحكاً: (بأبي شبيه النبي، ليس شبيهاً بعلي)، وعلي يضحك رضي الله عنه.**

ومعنى (بأبي) يعني أفديه بأبي، وهذه كلمة تقال من باب الإكرام والتوقير والحب فنقول لمن نحب: فداك أبي وأمي.

4- **عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول لعم النبي العباس رضي الله عنه: والله لقد كان إسلامك أحب إلي من إسلام الخطاب، الخطاب والد عمر، لأن ذلك كان يسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

5- **ولما خرج عمر مع المؤمنين لصلاة الاستسقاء، قال رضي الله عنه: "اللهم إنا كنا نستسقي بنبيك فتسقينا"، يعني يخرجون وعلى رأسهم إمامهم نبيهم ﷺ فيدعو النبي ويؤمنون ويسقيهم الله عز وجل. أما وقد مات رسول الله وارتقى إلى الرفيق الأعلى، قال: "فإنا نستسقي إليك بعم نبينا"، وقدّم العباس عم النبي ﷺ ليدعو في صلاة الاستسقاء.**
وهذا من باب الإكرام والتوقير لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الحق الثالث: الصلاة عليهم عند الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

فنحن نقول في الصلاة بعد التشهد: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد...)
(وآل محمد) من هم آل محمد؟

لأهل العلم قولان مشهوران:

الأول: هم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وبنو هاشم وبنو المطلب.
والدليل:

أخرج مسلم في صحيحه عن عائشة قالت: (إن كنا آل محمد ﷺ لنمكث شهرا ما نستوقد بنار؛ إن هو إلا التمر ظاهرا)

وأخرج البخاري في صحيحه: عن أنس قال: «سمعته أي النبي ﷺ يقول: "ما أمسى عند آل محمد–صلى الله عليه وسلم– صاع بر ولا صاع حب" وإن عنده لتسع نسوة". فهذه دلالة صريحة على دخول أزواج النبي في كلمة "آل محمد".

القول الثاني: (آل محمد) أتباعه إلى يوم القيامة:

وممن اختار هذا القول: جابر رضي الله عنه والثوري، وبعض أصحاب الإمام الشافعي، والنووي رحمهم الله تعالى

قال الناظم رحمه الله:

آل النبي همو أتباع ملته على.... الشريعة من عجم ومن عرب

لو لم يكن آله إلا قرابته صلى..... المصلي على الطاغي أبي لهب

وعليه حمل قول الله –تبارك وتعالى–: {**وإذ نجيناكم من آل فرعون**} [البقرة:50.]

والمقصود: أتباع فرعون وليس أولاده؛ فإنه لم يكن له ولد أصلا – باتفاق المفسرين–، ولذلك قبل أن تتبنى امرأته آسية –عليها السلام– موسى –عليه السلام– كولد، كما قال الله تعالى: {**وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون**} (القصص:9).

ولا خلاف أن الذين كانوا يذبحون أبناء بني إسرائيل والذين أغرقهم الله، هم جند فرعون وأتباعه، وليس أولاده.

ويشهد لذلك إجماع العلماء أن الكفار من ذرية محمد ليسوا من آله ولا من أهله.
وقال الله –سبحانه وتعالى–: {ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين (45) قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين} (هود:46).

فخرج أن يكون ابن نوح من أهله لأنه كافر، رغم أنه ولده من صلبه.

وقوله –تبارك وتعالى–: {وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه...} [غافر:28]

أي أن هذا الرجل كان من أتباع فرعون كما يظهر، فدخل في آل فرعون عندهم، لكنه كان في حقيقة أمره مؤمن يكتم إيمانه.

وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ غير سر يقول: ألا إن آل أبي – يعني فلان (طالب)– ليسوا لي بأولياء، إنما ولي الله وصالح المؤمنين"

عموماً، سواء كانت الصلاة على النبي هي صلاة على آل النبي خاصة زوجاته أمهات المؤمنين، وآل بيته من نسل فاطمة الزهراء، وغيرهم، أو كان أتباعه المؤمنين، فهم مشمولون في القولين.

يعني إذا صلينا على النبي وآله جميع المؤمنين، فهذا يشمل آل بيته أيضاً رضوان الله عليهم.

فنحن نقول: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد" .

ومن اللطائف أن بعض العلماء قالوا إن من بر الرجل بوالديه أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم؛ قالوا كيف ذلك؟

قال: لأنه إذا صلى على النبي وآله شمل والداه بالصلاة، لأن آل النبي هم أتباعه، فكأنه بذلك يوصل البر لوالديه بصلاته على النبي وعلى آله.

اللهم صل على سيدنا وحبيبنا وإمامنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام.

الحق الرابع/ عدم الغلو فيهم:

هذا حق لهم؟ نعم، هذا حق أن ننزلهم منازلهم؛ فآل النبي ليسوا معصومين، ليسوا أنبياء يوحى إليهم، وليسوا منزهين عن الخطأ.
آل النبي بشر كسائر البشر، يصيبون ويخطؤون، وهذا لا ينقص من قدرهم ولا

مكانتهم ولا يقلل من شأنهم ولا يحط من درجتهم.

إنما لنبين الحقائق، لأن الشيعة عدّوا الأئمة من آل البيت معصومين كعصمة الأنبياء، بل ربما البعض منهم يغلو إلى درجة رفعهم إلى مراتب الألوهية، وبعضهم يرفعهم إلى درجات أعلى من النبوة.

وهذا ليس اعتقاداً صحيحاً؛ فلا يجوز بحال من الأحوال إذا دعونا الله أن ندعو آل البيت.

وهذا الذي ينادي: "يا حسين، يا فاطمة، يا علي"، هذا نداء لغير الله عز وجل، ولا يفرح النبي أبداً ولا آل بيته الكرام المؤمنين أن يستغاث بهم من دون الله تعالى.

فنبينا المصطفى الكريم، الله تعالى أمره أن يعلمنا بقوله: **(قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء)** [الأعراف:188] فهذا رسول الله.

وعلم ابن عمه عبد الله بن عباس، قال: "يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل لله".

فتقول داعيا، يا الله، اللهم إني أسألك يا رب العالمين..... فإذا سألت، لا تسأل الرسول ولا علي ولا فاطمة ولا الحسين ولا أي اسم من الأسماء البشرية.

وقد توسع هذا الشرك الآن؛ فيقال: ولي الله فلان، والعارف بالله فلان، وسيدي فلان، ووصل الأمر في الأمة الإسلامية إلى تقديس القبور والمشاهد التي فيها أضرحة لمشايخ، أو أحد من آل البيت، أو من الصوفية، إلى أنهم يسألون من دون الله ويرجون من دون الله، ويستغاث بهم من دون الله سبحانه وتعالى.
وهذا شرك يقع بسببه غضب الله ومقته، لأن الله يغار، وغيرته أن تنتهك محارمه؛ وليس هناك ذنب أبغض إلى الله من الشرك؟

ونجد أن الشيعة غالوا في هذه المسألة غلواً كبيراً، حتى إنهم يعدون هذا من أقرب القربات وأعظم الأعمال أن تنادي على آل البيت وتستغيث بهم وتدعوهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأذكر والله أني سمعت أحد المعممين يقول: إن هتلر النازي المعروف في الحرب العالمية، كاد أن ينهزم في إحدى المعارك واشتد الأمر عليه واشتد الحصار، فنادى بأعلى صوته: "يا حسين"، فانتصر!!!!
لا إله إلا الله، هتلر النازي انتصر لأنه نادى على الحسين؟ لا إله إلا الله.

فهذا طبعاً ولا شك من المبالغات السخيفة والعجيبة التي لا يصدقها عقل، لكنهم يستسيغون هذه الأمور وينشرونها على أنها حق ودين، وهذا لا ينبغي أبدا باسم آل البيت.

وجناب توحيد الله عز وجل يجب أن يصان من أي شيء يمسه.

لما سأل عبد الله بن مسعود النبي: "أي الذنب أعظم؟" قال: "أن تجعل لله نداً وهو خلقك". هذا أعظم ذنب لا يغفره الله عز وجل.

فاحترامنا وإجلالنا وتوقيرنا وإكبارنا لآل بيت رسول الله كل هذا لا يعني أبداً أن نرفعهم إلى درجة الألوهية أو إلى درجة النبوة أو نعتقد أن لهم عصمة أو تصريفاً في الكون أو تدبيراً للأعمال.

كل هذا يتنزه الرسول عنه وآل بيته الكرام، لأنهم عبيد لله عز وجل، لم يدعوا لأنفسهم هذا ولم يطلبوا من البشر ذلك مطلقاً.

ولقد بين النبي ﷺ أن العبادة يوم القيامة لن يأتوا بين يدي الله بأحسابهم، يعني لن يأتي أحد من آل البيت ويقول: "أنا من آل بيت رسول الله" إنما كما قال الله عز وجل: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ**﴾ **[المؤمنون: 101]**

وقال رسول الله ﷺ: "من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه "

يعني من كان عمله الصالح ضعيف أو قليل، لن يأتي يوم القيامة فيقول أنا من آل البيت، فيكون ذلك سببا لدخوله الجنة.

وقام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل (وأنذر عشيرتك الأقربين) قال: (يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا) رواه البخاري ومسلم

ورؤي علي زين العابدين حفيد النبي ﷺ وهو يبكي خشية وخضوعاً لله عز وجل. فقيل له: "تبكي وأنت من آل بيت رسول الله ﷺ؟

قال: إن الله خلق الجنة لمن أطاعه.. ولو كان عبدًا حبشيًا... وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرًا قرشيًا... أليس الله تعالى يقول: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا**

﴿أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 101-103]

ولما سرقت امرأة شريفة من قريش فأهم ذلك قريشاً، كيف لشريفة قرشية أن تقطع يدها؟ وهذا معرة عليها وعلى أهلها وقبيلتها.

من يشفع لنا عند رسول الله؟ لم يجدوا إلا أسامة بن زيد، وكان النبي يحبه فهو "الحبيب ابن الحبيب" أسامة بن زيد، لأن النبي تبنى زيد والده قبل أن يحرم التبني.

فذهب أسامة ليشفع عند رسول الله في شأن هذه المرأة، فغضب رسول الله ﷺ قائلاً: أتشفع في حد من حدود الله؟، ثم قام فاختطب ثم قال: (إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يداها) متفق عليه.

ولذلك لعلكم قرأتم في تواريخ بعض الطغاة، كانوا يحاولون عمل بروباجندا إعلامية بأن يأتي أحدهم ويقول إنه من آل بيت رسول الله؛ كالقذافي الذي كان يدعي أنه من آل بيت رسول الله، وصدام حسين كان يدعي أنه من آل بيت رسول الله، وغيرهم كثير.

ولو ثبت هذا، لو ثبت فعلاً أنهم من آل بيت رسول الله، هل هذا معناه أن لهم العصمة؟

هل هذا معناه استحلال ما سفكوا من دماء؟

هل هذا معناه استحلال ما سرقوا من أموال المسلمين؟

هذا كما قال البعض إن من ادعى من آل بيت رسول الله، فلعله كان من نسل أبي لهب !!!فليس معنى أن واحداً من آل بيت رسول الله أن يفعل ما يشاء، يأكل، يسرق، ينهب، يظلم، يسفك الدماء، وهو مسؤول وزعيم عربي وحاكم لدولة إسلامية ومن آل البيت.

هذا لا يبرر أبداً الظلم ولا سفك الدماء ولا سرقة الأموال ولا كبت الحريات وما يفعلونه.

إنما هذا من باب، كما قلت، الظهور الإعلامي وتحبيب الناس في الرجل، وأنه من آل بيت رسول الله، لكن سبحان الله، هؤلاء الذين ينسبون أنفسهم لآل بيت

رسول الله وهم ظلمة فجرة، هم عار على الإسلام قبل أن يكونوا عاراً على آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الحق الخامس: تحريم أكل الصدقة عليهم:

قال صلى الله عليه وسلم:(إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد، ولا لآل محمد) رواه مسلم.

ومعنى أوساخ الناس أنها تطهير أموالهم ونفوسهم .

الحق السادس/ إعطاؤهم خُمُس الخمس من الغنيمة والفيء:

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: 41]

وقال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7]

الخلاصة:

1- آل بيت النبي هم :أزواجه، وذريته، وبنو هاشم، وبنو المطلب .

2- وآل البيت لهم حقوق أولها: وجوب محبتهم :لأن محبتهم جزء من الإيمان، وهي محبة تابعة لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم.

3- إكرامهم وتوقيرهم :يجب احترامهم وإجلالهم بسبب قرابتهم من النبي صلى الله عليه وسلم.

4- الصلاة عليهم :من حقوقهم أن نصلّي عليهم مع الصلاة على النبي في التشهد الأخير بالصلاة الإبراهيمية: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد".

5- عدم الغلو فيهم :هذا حق لهم. يجب إنزالهم منزلتهم الحقيقية كبشر غير معصومين من الخطأ، فهم ليسوا أنبياء أو آلهة، وحرمة الاستغاثة بهم من دون الله لأن هذا شرك أكبر.

6- تحريم الصدقة عليهم :حُرّم على آل البيت أخذ الصدقات، وهذا التحريم هو تشريف لهم وتكريم لمكانتهم.

7- إعطاؤهم نصيباً من الغنيمة والفيء :لهم حق في خمس الخمس من الغنائم التي يكتسبها المسلمون في الحروب، وهذا ثابت بنصوص من القرآن الكريم.

اللهم صل الله على النبي محمد

وعلى آله وصحبه وآل بيته الكرام أجمعين،

وألحقنا الله بهم على خير.

اللهم آمين.

****

(26)

فضل الصلاة والتسليم على النبي ﷺ

عناصر الخطبة:

أولا/ معنى الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

ثانيا/ أفضل صيغ الصلاة على النبي ﷺ

ثالثا/ فضل الصلاة والتسليم على النبي ﷺ

رابعا/ المواطن التي يشرع فيها الصلاة على النبي ﷺ

(26) فضل الصلاة والتسليم على النبي ﷺ

عناصر الخطبة:

أولا/ معنى الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

ثانيا/ أفضل صيغ الصلاة على النبي ﷺ

ثالثا/ فضل الصلاة والتسليم على النبي ﷺ

رابعا/ المواطن التي يشرع فيها الصلاة على النبي ﷺ

أولا/ معنى الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

قال الله جل ثناؤه: " إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما".[الأحزاب: 56]

معنى الآية:

بين تعالى – في الآية – أنه يثني على نبيه محمد ﷺ عند ملائكته المقربين ، وملائكته يثنون عليه ﷺ ويدعون له ، فيا أيها الذين آمنوا صلوا أنتم على رسول الله ﷺ وسلموا تسليما، لأنكم أحق بذلك، لما نالكم ببركة رسالته من شرف الدنيا والآخرة، وقد علمنا رسول الله ﷺ كيف نصلي عليه:

فعن كعب بن عجرة رضي الله عنه ، قال : قلنا : يا رسول الله ، قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ قال ﷺ : (فقولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد).

قوله (اللهم صل) الصلاة من الله :ثناؤه سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ في الملأ الأعلى ، ورفعه لذكره.

–**والصلاة من الملائكة عليهم السلام:** سؤال الله تعالى أن يعلي ذكر نبيه ﷺ ويثني عليه.

–**والصلاة من العبد المصلي:** ثناء من المصلي على رسول الله ﷺ ، وسؤال الله تعالى أن يثني عليه ﷺ في الملأ الأعلى.

وقوله (وآل محمد) من هم آل محمد؟

لأهل العلم قولان مشهوران:

الأول: هم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وبنو هاشم وبنو المطلب.
والدليل:

أخرج مسلم في صحيحه عن عائشة قالت: (إن كنا آل محمد ﷺ لنمكث شهرا ما نستوقد بنار؛ إن هو إلا التمر ظاهرا)

وأخرج البخاري في صحيحه: عن أنس قال: «سمعته أي النبي ﷺ يقول: "ما أمسى عند آل محمد–صلى الله عليه وسلم– صاع بر ولا صاع حب" وإن عنده لتسع نسوة". فهذه دلالة صريحة على دخول أزواج النبي في كلمة "آل محمد".

القول الثاني: (آل محمد) أتباعه إلى يوم القيامة:

وممن اختار هذا القول: جابر رضي الله عنه والثوري، وبعض أصحاب الإمام الشافعي، والنووي رحمهم الله تعالى

قال الناظم رحمه الله:

آل النبي همو أتباع ملته على.... الشريعة من عجم ومن عرب

لو لم يكن آله إلا قرابته صلى..... المصلي على الطاغي أبي لهب

وعليه حمل قول الله –تبارك وتعالى–: {**وإذ نجيناكم من آل فرعون**} [البقرة:50.]، والمقصود: أتباع فرعون وليس أولاده؛ فإنه لم يكن له ولد أصلا – باتفاق المفسرين–، ولذلك قبل أن تتبنى امرأته آسية –عليها السلام– موسى –عليه السلام– كولد، كما قال الله تعالى: {**وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون**} (القصص:9).

ولا خلاف أن الذين كانوا يذبحون أبناء بني إسرائيل والذين أغرقهم الله، هم جند فرعون وأتباعه، وليس أولاده.

ويشهد لذلك إجماع العلماء أن الكفار من ذرية محمد ليسوا من آله ولا من أهله.
وقال الله –سبحانه وتعالى–: {ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين (45) قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من

الجاهلين} (هود:46).

فخرج أن يكون ابن نوح من أهله لأنه كافر، رغم أنه ولده من صلبه.

وقوله –تبارك وتعالى–: {وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه...} [غافر:28]

أي أن هذا الرجل كان من أتباع فرعون كما يظهر، فدخل في آل فرعون عندهم، لكنه كان في حقيقة أمره مؤمن يكتم إيمانه.

وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ غير سر يقول: ألا إن آل أبي – يعني فلان (طالب)– ليسوا لي بأولياء، إنما ولي الله وصالح المؤمنين"

عموماً، سواء كانت الصلاة على النبي هي صلاة على آل النبي خاصة زوجاته أمهات المؤمنين، وآل بيته من نسل فاطمة الزهراء، وغيرهم، أو كان أتباعه المؤمنين، فهم مشمولون في القولين.

يعني إذا صلينا على النبي وآله جميع المؤمنين، فهذا يشمل آل بيته أيضاً رضوان الله عليهم.

لكن فقط أنا أحرر القول حتى نفهم معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

فنحن نقول: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد" .

ومن اللطائف أن بعض العلماء قالوا إن من بر الرجل بوالديه أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم.

قالوا كيف ذلك؟

قال: لأنه إذا صلى على النبي وآله شمل والداه بالصلاة، لأن آل النبي هم أتباعه، فكأنه بذلك يوصل البر لوالديه بصلاته على النبي وعلى آله.

اللهم صل على سيدنا وحبيبنا وإمامنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام.

وقوله : (آل إبراهيم) معلوم أن سيدنا محمدا ﷺ هو خير آل إبراهيم.

فعندما يسأل المصلي ربه عز وجل أن يصلي على محمد ﷺ ، ثم يسأله أن يصلي عليه كما صلى على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، يكون قد صلى على محمد ﷺ أولا ، ثم صلى عليه ثانيا مع آل إبراهيم لأنه داخل معهم ، فتكون الصلاة على آل إبراهيم أفضل لأنها تضمنت الصلاة على رسول الله ﷺ ومعه

سائر الأنبياء والمرسلين من ذرية إبراهيم عليهم السلام.

وهذا سر كون الصلاة الإبراهيمية أفضل صيغ الصلوات على رسول الله ﷺ ، لكونها تضمنت فضل الصلاة على محمد ﷺ ، وفضل الصلاة على إبراهيم وذريته من الأنبياء والمرسلين ، لتكون كلها لرسول الله ﷺ.

وقوله : (وبارك) طلب مثل الخير الذي أعطاه الله لإبراهيم وآله ، لمحمد ﷺ وآله ، وأن يدوم هذا الخير ويتضاعف.

و(الحميد) هو الذي له من صفات وأسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محمودا في نفسه.

و(المجيد) هو المستلزم للعظمة والجلال ، والحمد والمجد إليهما يرجع الكمال كله ، فناسب أن يختم بهما طلبا لزيادة الكمال في حمد النبي ﷺ وتمجيده عند الله تعالى.

ثانيا/ أفضل صيغ الصلاة على النبي ﷺ

1- عن كعب بن عجرة رضي الله عنه ، قال : قلنا : يا رسول الله ، قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ قال ﷺ : (فقولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد).

2- وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه : أنهم قالوا : يا رسول الله ، كيف نصلي عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ : (قولوا : اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته ، كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته ، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد).

ثالثا/ فضل الصلاة والتسليم على النبي ﷺ

1-من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا " صحيح

2-"من كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم مني منزلة " حديث حسن.

3-أتى جبريل النبي ﷺ فقال: (يا محمد! أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول: إنه لا يصلي عليك من أمتك أحد صلاة، إلا صليت عليه بها عشرا، ولا يسلم عليك أحد من أمتك تسليمة إلا سلمت عليه بها عشرا، فقلت: بلى

أي ربي) رواه أحمد وهو حديث صحيح.

4-وقال رسول الله ﷺ: (أتاني آت من عند ربي عز وجل، فقال: من صلى عليك من أمتك صلاة، كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ورد عليه مثلها) رواه أحمد

أربع مكافآت لمن يصلي على رسول الله ﷺ، عشر حسنات تكتب، وعشر سيئات تمحى، وعشر درجات ترفع، ويرد عليه بمثل ما صلى على رسوله ﷺ.

5-ولأجل هذه النعمة التي أنعم الله بها على نبيه ﷺ، فقد سجد عليه السلام شكرا لربه عليها كما جاء في الحديث الصحيح، وأخبر عليه السلام أيضا، بقوله: (ما من عبد يصلي علي إلا صلت عليه الملائكة، مادام يصلي علي، فليقل العبد من ذلك أو ليكثر) حديث حسن.

6-وخص الله ملائكة معينين وظيفتهم السياحة في الأرض لتبليغ الرسول ﷺ سلام أمته عليه، فقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي يرويه الإمام أحمد وغيره: (إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام)

7-ويقول عليه الصلاة والسلام : (إن لله تعالى ملكا معينا أعطاه الله سمع العباد، فليس من أحد يصلي علي إلا أبلغنيها، وإني سألت ربي ألا يصلي علي عبد صلاة إلا صلى الله عليه عشر أمثالها). حديث حسن رواه الطبراني

8-وقال عليه الصلاة والسلام موضحا أكثر: (أكثروا الصلاة علي، فإن الله وكل بي ملكا عند قبري، فإذا صلى علي رجل من أمتي قال لي ذلك الملك: يا محمد! إن فلان بن فلان صلى عليك الساعة) حديث حسن

سبحان الله ملك أعطاه الله أسماء العباد يبلغ رسول الله ﷺ سلام كل واحد باسمه.

9-وقال عليه الصلاة والسلام: (ما من واحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي، حتى أرد عليه السلام) حديث حسن، رواه أبو داود.
فترد الروح إليه ﷺ لكي يرد على المصلي منا عليه صلاته وسلامه، فأي أجر وأي فضل أعظم من هذه الأشياء.

10-وبلغ من فضل الله علينا أنه جعل صلاتنا على رسوله ﷺ تبلغ الرسول ﷺ أينما كان المصلي عليه في أي مكان من أقطار الأرض، فقال عليه

الصلاة والسلام: (حيث ما كنتم فصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني) سواء كنت عند قبره أو كنت في هذا المكان، أو كنت في أقصى الأرض، فإذا صليت على رسول الله بلغ الله تعالى صلاتك لرسوله ﷺ.

رابعا/ المواطن التي يشرع فيها الصلاة على النبي ﷺ

1-الصلاة على النبي ﷺ آخر التشهد في كل صلاة:

وهي الصلاة الإبراهيمية المعروفة: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

2-الصلاة على رسول الله ﷺ في التشهد الأول من الصلاة:

بعد التشهد الأول من الصلاة يسن الصلاة على رسول الله كذلك، ليس فقط في التشهد الأخير كما يعلمه عامة الناس، وإنما حتى في التشهد الأول
للحديث الوارد عند أبي عوانة والنسائي: أنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي على نفسه في التشهد الأول وغيره.

الفرق بينهما أن الصلاة على رسول الله ﷺ في التشهد الأخير مختلف على وجوبها، أما الصلاة عليه ﷺ بعد التشهد الأول فهي سنة، إن تركها الإنسان فلا حرج، ولكن يسن له أن يصلي على رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى بعد التشهد الأول قبل أن يقوم إلى الركعة الثالثة.

3- الصلاة على النبي ﷺ في دعاء القنوت:

عن الحسن بن علي رضي الله عنهما ، قال : علمني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات في الوتر ، قال : (قل : اللهم اهدني فيمن هديت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وتولني فيمن توليت ، وقني شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت ، تباركت ربنا وتعاليت . وصلى الله على النبي محمد) ﷺ.

4- الصلاة على النبي ﷺ في صلاة الجنازة:

في صلاة الجنازة : يقرأ المصلي بفاتحة الكتاب، ثم يصلي على النبي ﷺ، بعد التكبيرة الثانية ...

5-الصلاة على النبي ﷺ بعد إجابة المؤذن:

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة ... الحديث)
بعد الانتهاء من الترديد مع المؤذن يصلى على النبي ﷺ.

6-الصلاة على النبي ﷺ عند الدعاء:

عن فضالة بن عبيد قال : (سمع النبي ﷺ رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : عجل هذا ، ثم دعاه فقال له أو لغيره : إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ، ثم ليصل على النبي ﷺ ، ثم ليدع بعد بما شاء).
وعن عمر بن الخطاب قال : (إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك ﷺ).

وعن عبد الله بن مسعود قال: إذا أراد أحدكم أن يسأل فليبدأ بالمدحة والثناء على الله بما هو أهله، ثم ليصل على النبي ﷺ ثم ليسأل بعد فإنه أجدر أن ينجح.

وقال احمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان الداراني يقول: من أراد أن يسأل الله حاجته فليبدأ بالصلاة على النبي وليسأل حاجته وليختم بالصلاة على النبي فإن الصلاة على النبي مقبولة والله أكرم أن يرد ما بينهما .ا.هـ.

7-الصلاة على النبي ﷺ عند الهم والشدائد:

ومن المواطن كذلك: الصلاة عليه عند الهم والشدائد وعند طلب المغفرة، فعن أبي بن كعب قال: (قلت: يا رسول الله! إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟) قال ابن القيم رحمه الله: وقد سئل شيخنا أبو العباس ابن تيمية رحمه الله عن هذا الحديث، فقال: كان لأبي دعاء يدعو به، دعاء خاص، فقال لرسول الله ﷺ: (يا رسول الله! أنا أدعو وأثناء دعائي أصلي عليك، (أي كم النسبة التي أخصص لك الصلاة عليك فيها في دعائي؟ فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ما شئت، فقلت: الربع؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير، قلت: النصف؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: فالثلثين؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: أجعل لك صلاتي كلها، قال: إذا يكفى همك ويغفر لك ذنبك).

فإذا: هذا الصحابي أبي بن كعب صار دعاؤه كله لرسول الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام له: أنه إذا فعل هذا يكفى الهم، ويغفر له ذنبه، فصار إذا نزل بالإنسان هم يستحب له الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ.

قال بعض العلماء معلقا على هذا الحديث :من أعظم مطالب الدنيا " أن يكفيك الله الهم " ومن أعظم مطالب ادخره " أن يغفر الله لك الذنب " وهما مضمونان ومكفولان بكثرة الصلاة والسلام على المصطفى ﷺ ..ففي الحديث قال ﷺ للمكثر من الصلاة عليه : (إذن تكفى همك ويغفر ذنبك)

8- الصلاة على النبي ﷺ عند دخول المسجد والخروج منه:

ومن المواطن المعروفة كذلك: عند دخول المسجد والخروج منه، فقد كان ﷺ إذا دخل المسجد قال: (بسم الله، اللهم صل على محمدويضيف إليها اللهم افتح لي أبواب رحمتك)، وإذا خرج قال: (بسم الله، اللهم صل على محمدويضيف إليها اللهم إني أسألك من فضلك)

9- الصلاة على النبي ﷺ عند اجتماع القوم وقبل تفرقهم:

قال ﷺ: (ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر لله، وصلاة على النبي ﷺ إلا قاموا على أنتن جيفة)

والمعنى : خذ أكثر جيفة نتنا وأشدها تعفنا، ثم تصور أنك إذا جلست في أي مجلس، وقمت من ذلك المجلس بغير ذكر الله وصلاة على نبيه ﷺ، فإنك تقوم على هذا النتن الصادر من هذه الجيفة.

وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح أيضا: (أيما قوم جلسوا فأطالوا الجلوس، ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله تعالى أو يصلوا على نبيه، كانت عليهم ترة من الله حسرة إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم)

فكروا في مجالسنا اليوم التي نجلس فيها، كم من المجالس التي نجلس فيها ونقوم من غير ذكر لله ولا صلاة على رسوله ﷺ، وإنما تكون مجالسنا غيبة ونميمة، وتفكها في أعراض الناس، والجهر بالسوء من القول، والنكت والضحك، والاستهزاء بعباد الله الصالحين، والكلام في أخبار فلان وفلان من الناس، أو الكلام في عروض التجارة وأنواعها، ولكننا قلما نقوم من مجلس فنذكر الله تعالى ونصلي على رسول الله ﷺ.

ولذلك جاء في حديث جبريل لما قال لرسول الله ﷺ: (ومن ذكرت عنده يا محمد! ﷺ فلم يصل عليك، فمات فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين).

ولذلك قال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: تجب الصلاة عليه ﷺ كلما ذكر اسمه، شفهيا أو تحريريا، وهذه مسألة وقع فيها تقصير عند كثير من المسلمين، فإنهم إذا جاءوا يكتبون اسم رسول الله ﷺ، فإنهم لا يصلون عليه عند الكتابة، ولا يكتبون الصلاة عليه، وبعضهم يكتب بين قوسين صاد، وبعضهم يكتب صلعم، هذه لا تغني شيئا مطلقا، كأنها غير موجودة، لابد كما ذكر العلماء أنك عندما تكتب اسم رسول الله ﷺ أن تصلي عليه عند كتابتك فتكتب: ﷺ، أو عليه الصلاة والسلام ونحو ذلك من الألفاظ.

بل لقد بلغ من دقة بعض العلماء، وهو عبد الرحمن بن مهدي من المحدثين أنه قال: كنا في عجلة من أمرنا ونحن نكتب الحديث، ولم يكن عندنا وقت لكتابة ﷺ لأننا نكتب عن الشيخ، والشيخ يسرع في الحديث فتركنا فراغا بيضنا له، فإذا انتهى مجلس الإملاء ذهبنا فملأنا الفراغات كلها ﷺ.

قال أبو الحسن الميموني : رأيت الشيخ الحسن بن عيينة – في المنام – بعد موته ، وكأن على أصابع يديه شيء مكتوب بلون الذهب ، فسألته عن ذلك ، وقلت : يا أستاذ ! أرى على أصابعك شيئا مليحا مكتوبا، ما هو؟ قال : يا بني ! هذا لكتابتي(ﷺ) في حديث رسول الله ﷺ.

وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: بحسب أهل الحديث خيرا أنهم كلما كتبوا حديث رسول الله صلوا عليه وسلموا.

فكان أهل الحديث تقع لهم هذه الفائدة أكثر مما تقع لغيرهم، جعلنا الله وإياكم من أهل الحديث وأتباع السنة، وصلى الله على نبينا محمد.

10-الصلاة على النبي ﷺ في الصباح والمساء:

من أذكار الصباح والمساء الصلاة على رسولكم ﷺ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام **قال في الحديث الحسن الذي يرويه الطبراني عن أبي الدرداء مرفوعا: (من صلى علي حين يصبح عشرا، وحين يمسي عشرا، أدركته شفاعتي يوم القيامة)** ضعفه الالباني وجوده الدمياطي في المتجر الرابح.

****

(27)

الرد على شبهة
زواج النبي ﷺ من عائشة

عناصر الخطبة:

أولا/ كم كان عمر عائشة عند زواجها بالنبي ﷺ؟

ثانيا/ الرد على شبهة زواج النبي من عائشة

ثالثا/ الحكمة من تعدد زوجات الرسول

(27) الرد على شبهة زواج النبي ﷺ من عائشة

تمهيد:

في الأسبوع الماضي أثارت تصريحات مسيئة للرسول الكريم ﷺ أطلقها سياسيان في الحزب الحاكم في الهند بهاراتي جاناتا الذي يتزعمه رئيس الوزراء ناري ندرا مودي.

وبدأت الأزمة بتغريدة نشرها المتحدث باسم الحزب نافين يندال على حسابه الرسمي على تويتر، تساءل فيها عن سبب زواج النبي محمد من السيدة عائشة وهي لم تبلغ حينها عشر سنوات وقال ألا تندرج تلك العلاقة ضمن فئة الاغتصاب؟

وأريد في هذا اللقاء أن أجلي الأمر لإخواني وبيان بطلان شبهة زواجه ﷺ من عائشة.

عناصر الخطبة:

أولا/ كم كان عمر عائشة عند زواجها بالنبي ﷺ؟

ثانيا/ الرد على شبهة زواج النبي من عائشة

ثالثا/ الحكمة من تعدد زوجات الرسول

أولا/ كم كان عمر عائشة عند زواجها بالنبي ﷺ؟

ثبت بحديث في الصحيحين :عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: (أنَّ النبيَّ ﷺ تزوَّجها وهي بنتُ ستِّ سنين، وأُدخِلت عليه وهي بنتُ تِسع، ومكثَت عنده تِسعًا) رواه البخاري ومسلم .

ولقد رآها النبي ﷺ زوجاً له قبل أن يتزوجها، والحديث في الصحيحين من حديثها – رضي الله عنها –قال رسول الله ﷺ: (أريتك في المنام ثلاث ليال، جاء بك الملك في سرقة من حرير، ويقول لي الملك :هذه زوجتك) قال: (فأكشف فأراك أنت ثلاث ليال ، فقلت: (إن يك من عند الله يمضه) .
سرقة: بفتح السين والراء والقاف أي قطعة من حرير.
(إن يك من عند الله يمضه) أي: إن كان ربنا – جل وعلا – قدّر ذلك فسيكون ما قدّر – تبارك وتعالى .

ثانيا/ الرد على شبهة زواج النبي من عائشة

أولا /عائشة رضي الله عنها تزوجها النبي ﷺ وقد تجاوز الخمسين بأربع سنوات، وهو سن لا ينبغي أن يفسر فيه الزواج على أنه محض شهوة وطلب متعة، وإنما تزوج ﷺ بعائشة طلبا لتوثيق العلاقة بينه ﷺ وبين صاحبه أبي بكر رضي الله عنه.

وما كان حبّ الرسول ﷺ للسيدة عائشة رضي الله عنها إلاّ امتداداً طبيعياً لحبّه لأبيها رضي الله عنهما.

ولقد سُئل عليه الصلاة والسلام: من أحبّ الناس إليك؟ قال: (عائشة) قيل: فمن الرجال؟ قال: (أبوها).

هذه هي السيدة عائشة رضي الله عنها الزوجة الأثيرة عند الرسول ﷺ وأحبّ الناس إليه؛ لم يكن زواجه منها لمجرّد الشهوة ، ولم تكن دوافع الزواج بها المتعة الزوجية بقدر ما كانت غاية ذلك تكريم أبي بكر وإيثاره وإدناؤه إليه وإنزال ابنته أكرم المنازل في بيت النبوّة .

ثانيا / أما قول الطاعنين في سيد البشر ﷺ: كيف جمع النبي بين الطفولة والكهولة، وكيف يتزوج الشيخ الوقور البنت الصغيرة ؟

فالجواب على ذلك أننا لو طبقنا المعايير الغربية على حياتنا نحن المسلمين اليوم، لعدَّ الغربُ كثيرا مما نمارسه غريبا ومستشنعا، فكيف الحال بعادة عند العرب مضى عليها أربعة عشر قرنا من الزمان!!!!

فلم يكن الزواج من الصغيرات مستنكرا في أعرافهم، ولو كان كذلك لعاب كفار ذلك الزمان على النبي ﷺ زواجه من عائشة رضي الله عنها، ولوجهوا إليه سهام النقد والاتهام، ولم ينتظروا حتى يأتي كتاب أمريكا ومستشرقو الغرب ليوجهوا إليه تلك المطاعن.

لقد كان زواج الصغيرات في العرف العربي عادة معروفة، فقد تزوّج عبد المطلب الشيخ الكبير من هالة بنت عمّ آمنة في اليوم الذي تزوّج فيه عبد الله أصغر أبنائه من صبيّة هي آمنة بنت وهب.

وتزوّج عمر بن الخطّاب رضي الله عنه من بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو في سنّ جدّها، كما أنّ عمر بن الخطّاب عرض بنته الشابة حفصة على أبي بكر الصدّيق وبينهما من فارق السنّ الكثير .

وذكر الحافظ ابن كثير في ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص أنه كان بينه وبين أبيه أحد عشر سنة ومعنى ذلك أن عمرو على الأقل تزوج في العاشرة من عمره !!!

ثالثا/ ينبغي أن يعلم هنا أن بلوغ البنت غير مرتبط بالسن، فقد تبلغ البنت وهي صغيرة، فتظهر عليها علامات البلوغ من الحيض وغيره ولما تبلغ التاسعة .

ومن الثابت طبياً أيضاً أن أول حيضة (menarche) تقع بين سن التاسعة والخامسة عشر.

ويجب الانتباه أيضاً إلى أنّ نضوج الفتاة في المناطق الحارّة مبكّر جداً وهو في سنّ الثامنة أو التاسعة عادة، وتتأخّر الفتاة في المناطق الباردة إلى أكثر من ذلك حتى تتجاوز الخامسة عشر.

كل هذه المعطيات تدل على أنه ليس في زواج النبي ﷺ من عائشة رضي الله عنها ما يعيب لا من ناحية العرف الاجتماعي، ولا من ناحية الطب والصحة البدنية .

رابعا/ بل الأعجب من ذلك أن عائشة عندما خطبها الرسول ﷺ لم يكن هو أول المتقدمين لخطبتها بل سبقه غيره ، فقد ذكر المؤرخون أن جبير بن المطعم بن عدي تقدم لخطبة عائشة، غير أنهما خشيا بعد قليل أن يترك ابنهما دين آبائه، ويعتنق الإسلام متأثرًا بأصهاره، فتريثا في الأمر، وبدا لهما أن يرجئاه.
وهنا جاءت خولة بنت حكيم إلى أبي بكر تذكر أن النبي ﷺ يتجه إلى طلب عائشة، وذهب أبو بكر إلى المطعم يسأله: أهو باق على رغبته في خطبتها لابنه؟ فاعتذر إليه، وترك له حرية التصرف.

وعندئذ لم يبق هنالك وعد ولا عهد، وتم زواج محمد ﷺ من بنت أبي بكر! وعلى هذا فأم المؤمنين كانت في عمر الزواج ، وكانت تطيقه فلا عجب إذا أن يخطبها النبي ﷺ .

إذن عائشة يوم بنى بها الرسول كانت أهلاً للزواج يقينًا، وما نشك في أن الدافع الأول لهذا الزواج كان توثيق العلائق بين النبي الكريم وصاحبه الأول، وهو الدافع لتزوجه من حفصة بنت عمر بن الخطاب لما مات زوجها.

ثالثا/ الحكمة من تعدد زوجات الرسول

لقد جاء الإسلام والزواج بأكثر من واحدة ليس له ضابط ولا قيد ولا شرط، فللرجل أن يتزوج من النساء ما شاء، وكان ذلك في الأمم قديمًا .

حتى يروى في أسفار العهد القديم: أن داود كان له مئة امرأة، وسليمان كان عنده سبعمائة امرأة، وثلاثمائة سرية، ونحن لا نصدق ذلك ولا نكذبه وإنما ذكرته للاستئناس فقط .

فلما جاء الإسلام أبطل الزواج بأكثر من أربعة، وكان الرجل إذا أسلم وعنده أكثر من أربع نسوة، **قال له النبي ﷺ: " اختر منهن أربعًا وطلق سرائرهن "** فلا يبقى في ذمته أكثر من أربع نسوة لا يزيد.

والشرط الذي لابد من توفره في التعدد هو العدل بين نسائه، وإلا اقتصر على الواحدة كما قال تعالى: **(فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ). (النساء: 3)**، هذا ما جاء به الإسلام.

ولكن الله عز وجل خص النبي ﷺ بشيء دون المؤمنين وهو أن أباح له ما عنده من الزوجات اللاتي تزوجهن، ولم يوجب عليه أن يطلقهن ولا أن يستبدل بهن من أزواج يبقين في ذمته، ولا يزيد عليهن، ولا يبدل واحدة بأخرى:

قال تعالى: (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا). (الأحزاب: 52).

والسر في ذلك أن زوجات النبي ﷺ لهن مكانة خاصة، وحرمة متميزة فقد اعتبرهن القرآن " أمهات " للمؤمنين جميعًا .

وقال تعالى: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا). [الأحزاب: 6]

ومن فروع هذه الأمومة الروحية للمؤمنين أن الله حرم عليهن الزواج بعد رسول الله ﷺ **فقال: (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا)** [الأحزاب: 53]

ومعنى هذا أن التي طلقها النبي ﷺ ستظل محرومة طول حياتها من الزواج بغيره، مع حرمانها من الانتساب إلى بيت النبوة .

وهذا يعتبر عقوبة لها على ذنب لم تجنه يداها.

ثم لو تصورنا أنه أمر باختيار أربع من نسائه التسع، وتطليق الباقي، لكان اختيار الأربع منهن لأمومة المؤمنين، وحرمت الخمس الأخريات من هذا الشرف، أمرًا في غاية الصعوبة والحرج . فمن من هؤلاء الفضليات يحكم عليها بالإبعاد من الأسرة النبوية، ويسحب منها هذا الشرف الذي اكتسبته ؟ لهذا اقتضت الحكمة الإلهية أن يبقين جميعًا زوجات له، خصوصية للرسول الكريم . واستثناء من القاعدة **(قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [آل عمران: 73]**

أما الزواج من هؤلاء التسع من الأصل، لماذا كان ؟

هذه الزيجات التي أتمها النبي ﷺ كلها ليست لأي غرض مما يتقول المتقولون ويروج المستشرقون، والمبشرون من إفك وكذب على هذا النبي العظيم .

لم تكن الشهوة ولا الناحية الجنسية هي التي دفعت النبي ﷺ أن يتزوج واحدة من هؤلاء .

ولو كان عند هذا النبي العظيم كما يقول ويفتري الأفاكون الدجالون عليه، لما رأيناه وهو في شبابه وفي عنفوان حياته ومقتبل عمره يتزوج امرأة تكبره بخمسة عشر عامًا؛ فقد كان في الخامسة والعشرين وتزوج خديجة في سن الأربعين ، وقد تزوجت من قبله مرتين ، ولها أولاد من غيره وعاش مع هذه الطاهرة الزكية خديجة شبابه كله أسعد ما يكون الأزواج، حتى ماتت، وظل يثني عليها حتى بعد موتها، ويذكرها بكل حب وتقدير، حتى غارت منها – وهي في قبرها – عائشة رضي الله عنها.

وبعد الثالثة والخمسين من عمره عليه الصلاة والسلام أي بعد أن توفيت خديجة وبعد الهجرة بدأ النبي ﷺ يتزوج نساءه الأخريات، فتزوج سودة بنت زمعة وهي امرأة كبيرة، لتكون ربة بيته.

ثم أراد أن يوثق الصلة بينه وبين صديقه ورفيقه أبي بكر .
ثم رأى أن أبا بكر وعمر وزيرا رسول الله ﷺ ينبغي أن يكون لديه بمنزلة واحدة في ذلك، فتزوج حفصة بنت عمر، كما كان من قبل قد زوج علي بن أبي طالب ابنته فاطمة، وعثمان بن عفان ابنته رقية ثم أم كلثوم.

وحفصة ابنة عمر كانت ثيبًا، وكذلك أم سلمة، تزوجها ثيبًا، حيث مات زوجها أبو سلمة وكانت تظن زوجته أنه ليس هناك من هو أفضل من أبي

سلمة . . إذ هاجرت معه، وأوذي كلاهما من أجل الإسلام، وأصابها ما أصابها ، ومات عنها زوجها ، فأوصاها النبي ﷺ أن تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم أجرني في مصيبتي وأخلفني خيرًا منها.
وحين قالت ذلك بعد وفاة زوجها، تساءلت في نفسها: من يكون من الناس خيرًا من أبي سلمة ؟ ! ولكن الله عز وجل عوضها خيرًا منه، وهو محمد رسول الله ﷺ .

فخطبها ليجبر مصيبتها ويجبر كسرها، ويعوضها عن زوجها بعد أن هاجرت وتركت أهلها وعادتهم من أجل الإسلام.

وكذلك تزوج النبي ﷺ جويرية بنت الحارث ليسلم قومها ، ويرغبهم في دين الله .
وذلك أن الصحابة بعد أن أخذوا السبايا في غزوة بني المصطلق وجويرية منهم، علموا أن النبي ﷺ قد تزوج منها، فأعتقوا من عندهم من إماء ومن سبايا لأنهم أصبحوا أصهار النبي عليه الصلاة والسلام ومثلهم لا يسترقون .

وهذه أم حبيبة وهي ابنة أبي سفيان، الذي كان يناوئ المسلمين على رأس المشركين تركت أباها وآثرت الهجرة مع زوجها فرارًا بدينها، ثم توفي عنها زوجها عبيد الله بن جحش. [38]
فماذا يفعل النبي عليه الصلاة والسلام هل يتركها دون رعاية وعناية ؟ كلا بل قام بنفسه ليجبر خاطرها ويهدئ من روعها ، فأرسل إلى النجاشي يوكله عن نفسه في زواجها ويصدقها عنه، وتزوجها وبينه وبينها بحار وقفار جبرًا لحالتها في مثل تلك الغربة .

وهناك حكمة أخرى نذكرها، وهي: أن زواج النبي ﷺ من ابنة أبي سفيان يرجى أن يكون له أثر طيب في نفس أبي سفيان، قد يكفكف من عدائه، ويخفف من غلوائه في محاربة النبي ﷺ بعد أن ربطت بينهما هذه المصاهرة

---

[38] ذكر ابن حجر في ترجمة أم حبيبة في "الإصابة" أن زوجها عبيد الله تنصر وارتد عن الإسلام وفارقها، بينما في "التهذيب" لم يذكر تنصره، أما الإمام الذهبي: فإنه يرجح أن خبر ارتداد عبيد الله بن جحش غير صحيح، حيث ذكر في ترجمة أم حبيبة في "السير" أن رواية ارتداده منكرة .

الجديدة.
وقريبا منها صفية بنت حيي بن أخطب : وكان أبوها من أشد أعداء الله حيي بن أخطب قتل بعد غزوة الأحزاب وزوجها كنانة بن أبي الحقيق ، قتل يوم خيبر ، وأُخذت هي مع الأسرى ، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه ، وخيّرها بين الإسلام والبقاء على دينها فاختارت الإسلام .

وكان هدف رسول الله ﷺ من زواجها إعزازها وإكرامها ورفع مكانتها ، إلى جانب تعويضها خيراً ممن فقدت من أهلها وقومها ، ويضاف إلى ذلك إيجاد رابطة المصاهرة بينه وبين اليهود لعله يخفّف عداءهم ، ويمهد لقبولهم دعوة الحق التي جاء بها .

تقول صفيّة " دخلت على النبي ﷺ وقد بلغني عن عائشة وحفصة كلام ، فقلت له : بلغني أن عائشة وحفصة تقولان نحن خير من صفية ، نحن بنات عم رسول الله ﷺ وأزواجه ، **فقال : (ألا قلت : وكيف تكونان خيراً مني ؟ وزوجي محمد وأبي هارون وعمّي موسى)** .

وأما زينب بنت جحش فهي ابنت عمته ﷺ أمها أميمة بنت عبدالمطلب، وكان زيد بن حارثة مولى خديجة وهبته لرسول الله ﷺ قبل البعثة وهو ابن ثماني سنوات فأعتقه وتبناه، وكانوا يدعونه زيد بن محمد، وقد زوجه رسول الله ﷺ بنت عمته "زينب بنت جحش" إلا أنه كان يشكوها لرسول الله ﷺ لعدم التوافق بينهما ، فكان يقول له "أمسك عليك زوجك": أي لا تطلقها، لكنه لم يطق معاشرتها وطلقها، وبعد أن انقضت عدتها تزوجها رسول الله ﷺ بأمر الله لأنه كان أهل الجاهلية يحرمون الزواج من زوجة الابن المتبنى ، ونزل تحريم التبني فكان يدعى بعد ذلك زيد بن حارثة وأراد الله بيان جواز أن يتزوج الرجل من زوجة الابن المتبنى فكان ذلك الزواج.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَايِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: 37]

وقد أوحى الله إلى رسوله أن زيداً سيطلق زوجته ويتزوجها بعده، إلا أن النبي ﷺ بالغ في الكتمان وقال لزيد "اتق الله وأمسك عليك زوجك" فعاتبه الله

على ذلك ، وكانت زينب بعدها تفخر بذلك على سائر أزواج النبي ﷺ فتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من السماء.

ولو بحثنا وراء زواجه من كل نسائه ، لوجدنا أن هناك حكمة هدف إليها النبي ﷺ من زواجه بكل واحدة منهن جميعًا .

فلم يتزوج لشهوة، ولا للذة، ولا لرغبة دنيوية، ولكن لحكم ولمصالح، وليربط الناس بهذا الدين، وبخاصة أن للمصاهرة وللعصبية قيمة كبيرة في بلاد العرب، ولها تأثير وأهمية ، ولذا أراد عليه الصلاة والسلام أن يجمع هؤلاء ويرغبهم في الإسلام، ويربطهم بهذا الدين، ويحل مشكلات اجتماعية وإنسانية كثيرة بهذا الزواج.

ومن الحكم أيضا أن تكون نساؤه عليه الصلاة والسلام أمهات المؤمنين، ومعلمات الأمة في الأمور الأسرية والنسائية من بعده يروين عنه حياته الخاصة في بيته كزوج للناس، حتى أخص الخصائص، إذ أنه ليس في حياته أسرار تخفى عن الناس لأنه قدوة للمؤمنين .

ومن الحكم أيضا:

أنه عليه الصلاة والسلام قدوة حسنة للمسلمين في كل ما يتصل بهذه الحياة، سواء كان من أمور الدين أو الدنيا، ومن جملة ذلك معاملة الرجل لزوجه وأهل بيته.

فالمسلم يرى قدوته الصالحة في رسول الله ﷺ إذا كان زوجًا لامرأة ثيب، أو بكر، أو تكبره في السن أو تصغره، أو كانت جميلة أو غير جميلة، أو كانت عربية أو غير عربية، أو بنت صديقه أو بنت عدوه، كل هذه الصور من العلائق الزوجية يجدها الإنسان في حياة النبي محمد ﷺ على أكمل وأفضل وأجمل صورة.

فهو قدوة لكل زوج، في حسن العشرة، والتعامل بالمعروف، مع زوجته الواحدة، أو مع أكثر من واحدة، ومهما كانت تلك الزوجة، فلن يعدم زوجها الإرشاد القويم إلى حسن معاشرتها في حياة النبي ﷺ الزوجية.

الخلاصة:

1-إثارة الشبهة جاءت من إساءة سياسيين في الهند، حيث اتهموا النبي ﷺ بالاغتصاب بسبب زواجه من عائشة رضي الله عنها.

2-تزوج النبي ﷺ بعائشة وهي بنت 6 سنوات، ودخل بها وهي بنت 9 سنوات.

3-هذا السن كان آنذاك سنّ بلوغٍ ونضجٍ عند كثير من الفتيات في البيئة الحارة كجزيرة العرب.

4-دلّت الأحاديث على أن زواج النبي ﷺ بها كان بوحي وإرشاد من الله، إذ رآها في المنام ثلاث مرات.

5-النبي ﷺ تزوجها وهو ابن 54 عامًا، أي بعد مرحلة الشباب، فالدافع ليس الشهوة.

6-الغرض الأساس تكريم أبي بكر رضي الله عنه، وتوثيق الصلة به.

7-الزواج بالصغيرات لم يكن مستنكراً عند العرب ولا عند الأمم، بل كان عرفًا سائداً، ولو كان معيبًا لاعترض عليه المشركون زمنها، وهم أحرص الناس على الطعن بالنبي ﷺ.

8-البلوغ لا يرتبط بعمر معيّن، بل قد تبلغ الفتاة في التاسعة أو أقل، خاصة في المناطق الحارة.

9-عائشة رضي الله عنها كانت في عمر الزواج، وقد خطبها قبل النبي ﷺ غيره (جبير بن مطعم).

10-الحكمة من تعدد زوجات النبي ﷺ

- التدرج في تشريع الأحكام (تحريم التبني، إبطال عادة حصر الزواج بلا قيود).

- **جبر خواطر الأرامل والثيبات وتعويضهن (مثل أم سلمة وحفصة).**
- **توثيق الروابط مع أصحابه (أبي بكر، عمر).**
- **تأليف القلوب ودعوة القبائل (جويرية، صفية، أم حبيبة).**
- **تعليم الأمة أمور الدين والأسرة، فزوجاته صرن أمهات المؤمنين وناقلات لخصوصيات بيته ﷺ.**
- **بيان القدوة في كل صور الحياة الزوجية: مع البكر والثيب، الصغيرة والكبيرة.**

****

تم الكتاب

والحمد لله رب العالمين

فهرس الموضوعات

الموضوع	ص
المقدمة	2
1-الرسول ﷺ كأنك تراه	5
2-قدر الرسول ﷺ ومكانته عند الله	15
3-لماذا نحتفل بميلاد النبي ﷺ؟	31
4-محمد ﷺ النبى الإنسان	41
5-"وإنك لعلى خلق عظيم"	49
6-جوانب العظمة في حياة الرسول ﷺ	58
7-كيف ربى الرسول ﷺ أصحابه ؟	65
8-كيف ربى الرسول ﷺ أصحابه على العزة والكرامة	76
9-الرسول ﷺ(بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)	85
10-ما الحكمة أن رسول الله ﷺ كان أميا ؟	96
11-المهام الخمس للرسول ﷺ وأمته	105
12-الرسول القدوة ﷺ	117
13-أخوة محمد والمسيح عليهما الصلاة والسلام	125
14-ماذا قدم رسول الله ﷺ للعالم ؟	142
15-ماذا كتب مايكل هارت عن الرسول ﷺ	151
16-فضل الله على المؤمنين ببعثة رسوله	163
17-وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ	174
18-أسباب مرافقة النبي ﷺ في الجنة	183
19-سبيل الوصول إلى محبة الرسول	191

20 - النبي الشهيد هل قتل النبي مسموما؟	203
21-أنت مع من أحببت	209
22-حلاوة الإيمان	214
23-كيف نغرس حب النبي وسنته في نفوس أبنائنا	223
24-الرد المبين على منكري سنة النبي الأمين	234
25-حقوق آل بيت النبي ﷺ	244
26-فضل الصلاة والتسليم على النبي ﷺ	256
27-الرد على شبهة زواج النبي ﷺ من عائشة	266